مدينة الرباط فى التاريخ الإسلامى

(منذ إنشائها حتى نهاية عصر بنى مرين)

تأليف

الدكتورة / سحر السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

١٩٩٦



مدينة الرباط فى التاريخ الإسلامى

(منذ إنشائها حتى نهاية عصر بنى مرين)

تأليف الدكتورة

سحر السيد عبد العزيز سالم

استاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الإداب جامعة الاسكندرية

١٩٩٦

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

ت : ٤٨٣٩٤٧٢ الإسكندرية

اهـــــداء

إلــى روح جدتــى لوالــدى

مغربيــة الأصــل

اهدى هذا البحث

شكر

اتقدم بخالص الشكر وعميق الامتنان والعرفان لكل من عاونني على اخراج هذا البحث.

وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور/ **عبد الله أزماني** وزير الشؤون الثقافية بالمملكة المغربية الذى تفضل مشكوراً بدعوتى دعوة إسمية كريمة للمشاركة فى مهرجان «المعتمد بن عباد» الذى عقد فى مراكش فى الفترة من ٦-٨ ديسمبر ١٩٩٥ مما كان له أكبر الأثر فى مساعدتى على استكمال ما احتجت إليه من مراجع وجمع ماتبقى لى من مادة علمية متعلقة بهذا الكتاب.

كما أتوجه بعميق شكرى لكل من الأستاذ/ **عبد الواحد بنداود** قيدوم كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط والأستاذ الدكتور/ **مانويل فايشر** مدير معهد كونراد أدناور بالعاصمة المغربية والأستاذ/ **عبد الكريم بنانى** رئيس جمعية رباط الفتح والدكتور/ **عبد الكريم كريّم** رئيس اتحاد مؤرخى المغرب والدكتور/ **محمد حمام** أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة محمد الخامس على دعواتهم لى للمشاركة فى مؤتمرات **«الغرب الإسلامى والغرب المسيحى فى العصور الوسطى»** و**«الخطاب حول المرأة»** و**«الرباط فى ذاكرها الثمانمائه»** على التوالى خلال عامى ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ مما أتاح الفرصة أمامى ومكننى من جمع كل ما احتجته من مادة علمية لازمة لهذا الكتاب كما أتوجه بعميق الشكر إلى الأستاذ/ **أحمد شوقى بنبين** مدير الخزانة الملكية بالرباط على اتاحته الفرصة أمامى وتقديمه كل التسهيلات للاطلاع على ما احتجته من مطبوعات ومخطوطات.

ولايفوتنى أن أشكر أستاذى الكريم الدكتور/ **عفيف ترك**، الأستاذ بكلية الآداب بجامعة بيروت العربية فهو الذى صوّر لى نسخة من كتاب كاييه Caillé عن مدينة الرباط من مكتبة الجامعة اليسوعية ببيروت.

أما الأخت الفاضلة الدكتورة/ **ثريا لهيى** الأستاذة بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس والزميل الكريم الدكتور/ **محمد الزرورة** نائب قيدوم هذه الكلية والزميل الأستاذ **محمد المغراوى** الأستاذ بنفس الكلية والأستاذ الدكتور/ **محمد رزوق** أستاذ التاريخ الأندلسى بكلية الآداب بالدار البيضاء، فلهم منى كل الشكر والعرفان جزاءً لهم على ماقدموه لى من معونة علمية صادقة.

كذلك اتوجه بعميق امتنانى للأستاذ الدكتور/ **محمد نصر الدين دمير** الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية والمستشار الثقافى السابق لسفارة مصر بالمملكة المغربية على كل التسهيلات والمساعدات التى قدمها لى عندما قمت بزياراتى المتتالية للرباط بهدف جمع المادة العلمية لهذا الكتاب وإلى السيد **محمد ايت وعلى** المستشار الثقافى لسفارة المملكة المغربية بالقاهرة على معاونته الصادقة لى وتذليله كل الصعاب لتمكينى من اتمام مهمتى العلمية.

وختاماً اعترف بأننى أدين بأى انجاز احققه لوالدى وأستاذى الأستاذ الدكتور/ **السيد عبد العزيز سالم** فهو أول من علمنى رسم الحروف وهجائها وغرس فى ضميرى ووجدانى حب بلاد المغرب والميل لدراسة تاريخها ولاعجب فهو أول من أرخ لها من المؤرخين الحديثين فى كتابه «تاريخ المغرب الكبير» فجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء

المقدمـــة

قمت بزيارة مدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية للمرة الأولى فى نوفمبر عام ١٩٩٤ بدعوة كريمة من كلية الآداب جامعة محمد الخامس للمشاركة فى مؤتمر دولى بعنوان «الغرب الإسلامى والغرب المسيحى فى العصور الوسطى». وكان يترسب لدى اعتقاد قوى أن تاريخ هذه المدينة العريقة، مدينة رباط الفتح قد دُرِسَ بعمق وتفصيل، ففوجئت أثناء هذه الزيارة أنه لم يكتب فى العصر الحديث عن تاريخها سوى كتاب وحيد باللغة العربية هو كتاب «تاريخ رباط الفتح» ومؤلفه الأستاذ عبد الله السويسى، والذى نص فى مقدمة كتابه أنه ليس مؤرخاً وانما هو مواطن رباطى اجتهد فى التأريخ لمدينتة عبر العصور المختلفة، فظهر الكتاب كمحاولة لسرد بعض الأحداث التاريخية التى مرت بها مدينة الرباط خلت من التوثيق بالمصادر فى أغلب الأحيان.

أما كتاب المستشرق الفرنسى كاييه Caillé عن مدينة رباط الفتح الذى أصدره عام ١٩٤٥، فهو أيضاً محاولة مشابهة، لأن كاييه لم يكن مؤرخاً كما أنه حين كتب هذا المؤلف لم يعتمد على كثير من المصادر التى لم تكن قد نشرت وحققت بعد مثل **«المن بالإمامة»** لابن صاحب الصلاة و**«البيان المغرب»** لابن عذارى ففاته الكثير من الحقائق الهامة التى وردت فى هذين المصدرين والتى غيرت من مجرى تاريخ المدينة كلية.

كما أنه أهمل الرجوع إلى كتابى **«المعجب»** و**«روض القرطاس»** لعبد الواحد المراكشى وابن ابى زرع فى كثير من الأحيان معتمداً على مصادر مشرقية ومغربية متأخرة، كذلك تبنى كاييه رأياً مفاده أن دور مدينة الرباط كمركز استراتيجى وقاعدة حربية إسلامية زمن الموحدين وبنى مرين اقتصر على الجانب البرى دون البحرى، ونفى نفياً قاطعاً أى دور بحرى ريادى لمدينة رباط الفتح فى العصر الإسلامى.

وقد اعتمدنا على كل المصادر المتاحة والتى فات كاييه الرجوع إليها مما ألقى الضوء على بعض الغموض فى الحوادث التاريخية التى مرت بها المدينة وصحح كثيرا من المعلومات التى وردت فى كتاب كاييه.

كذلك أثبتنا على مدى صفحات الكتاب المختلفة بالحجج والبراهين والأدلة العلمية المستندة على النصوص التاريخية والأدبية أن مدينة رباط الفتح كانت قاعدة بحرية إسلامية إلى جانب كونها مركزاً برياً انطلقت منه القوات الإسلامية الموحدية والمرينية للجهاد ضد الأسبان والأعداء فى أفريقية.

كما عرضنا فى كتابنا لرأى جديد مخالف للرأى السائد سابقاً والذى كان يأخذ به كاييه، ومفاده أن الخليفة المنصور الموحدى هو بانى مدينة رباط الفتح، فقد أثبتنا فى كتابنا هذا رأياً جديداً من خلال اعادة استقراء وتفسير وتركيز الأنظار على ماورد فى المصادر العربية المختلفة، ففى تصورى أن الأعمال التى قام بها الخليفة عبد المؤمن بن على منذ بداية تعميره القصبة التى ستسمى بالمهدية (قصبة الودايا) ومده المياه إليها من عين غبولة وشروعه فى بناء القصر واتصال العمران بها وانتقال الناس لسكناها وبنيان الدور واحاطتها بالبحائر والبساتين والجنات يؤكد تماماً أن ابتداء عمران أرض مدينة رباط الفتح قد بدأ منذ عهد الخليفة عبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين وان كان استمرار تشييد المنشآت وتعمير المدينة وتخطيطها على نحو منظم ودقيق استمر طوال عهد ولده يوسف كما تم احاطتها بالأسوار والشوارع والشروع فى انشاء الجامع فى عصر حفيده أبى يوسف يعقوب المنصور الذى احتفل باتمام الأعمال البنائية بالمدينة التى شرع جده فى بنائها بعد عودته من الأرك بنحو عامين وذلك فى أواخر عام ٥٩٣هـ، وبذلك تكون مدينة رباط الفتح قد تم بناؤها على مراحل ثلاثة بعكس الرأى السائد سابقاً والذى يرجع إلى المنصور الموحدى فضل بنائها وحده.

وقد أثبتُ أن اسم رباط الفتح الذى أطلق على مدينة الرباط كان معاصراً لإسم المهدية بخلاف ماذكره كاييه.

وقد توالت زياراتى لمدينة الرباط فزرتها خلال عامى ١٩٩٤ و ١٩٩٥ أربع مرات للمشاركة فى مؤتمرات احدها كان مؤتمراً كبيراً نظمته جمعية رباط الفتح، لاحياء الذكرى الثمانمائة لبناء المدينة مما أتاح لى الفرصة للرجوع إلى المصادر المختلفة والاطلاع على المراجع والابحاث المطلوبة فى جمع المادة العلمية. كما قمتُ بعدة زيارات ميدانية للمواقع الأثرية التى تعرضت لذكرها فى البحث بداية من القصبة وأسوارها وحتى أسوار المدينة وأبوابها المتعددة ومسجدها الجامع المعروف بجامع حسان. ان دراسة تاريخ مدينة رباط الفتح ليعد دراسة فى نفس الوقت لتاريخ دولة الموحدين الذين أنشأوها واتخذوها قاعدة رئيسية لجيوشهم ويتبعهم فى ذلك بنو مرين الذين اهتموا بها برياً وبحرياً.

وقد حرصت على دراسة تاريخ هذه المدينة العظيمة دراسة كاملة وذلك لرسم صورة متكاملة عن تاريخها وحضارتها فى العصر الإسلامى، وقسمت دراستى إلى دراسة تمهيدية وبابين، **الباب الأول** يتناول التاريخ السياسى لمدينة رباط الفتح زمن الموحدين وزمن بنى مرين ويشتمل على فصلين، **الفصل الأول** يتعلق بتاريخ المدينة زمن الموحدين وينقسم إلى ثلاث مراحل زمنية **والفصل الثانى** يتناول عصر بنى مرين.

أما الباب الثانى فيتناول أهم مظاهر الحضارة فى رباط الفتح فى عصر دولتى الموحدين وبنى مرين ويتألف من فصلين، **الأول** يعالج بعض ملامح الحياة العلمية والاقتصادية **والثانى** يتناول أهم الآثار المتبقية وختمت الكتاب بدراسة تفصيلية عن أوجه التشابه بين مدينتى الإسكندرية ورباط الفتح.

أرجو أن أكون قد وفقت فى رسم صورة كاملة واضحة المعالم لمدينة رباط الفتح فى العصر الإسلامى بعد دراسة استغرقت منى نحو عامين والله ولى التوفيق.

سحر السيد عبد العزيز سالم

الإسكندرية فى يناير ١٩٩٦

تمهيد

الأوضاع الجغرافية والجذور التاريخية لمدينة رباط الفتح

تقع مدينة رباط الفتح (الرباط) على الساحل الغربى من المغرب الأقصى المطل على المحيط الأطلسى، شمال الخط العرضى بدرجة ٣٧,٨١ درجة وغرب الخط الطولى بـ ١٠,١٩ درجة، وتقوم فى منحنى ينحدر بنسبة ١٦ متراً ويرتفع جهة الجنوب بنحو ١٠٠ متراً[١]. وتمتد الرباط بعمرانها على الضفة اليسرى لنهر أبى رقراق الذى يصب فى ذلك المحيط، فهى بذلك تقع على النهر قرب مصبه من جهة، وعلى المحيط من جهة أخرى[٢].

وكان هذا الموقع على الضفة اليسرى من نهر أبى رقراق سبباً فى أن يشبهها المؤرخ ابن صاحب الصلاة بالعراق الذى تقع عاصمته بغداد على شاطئ دجلة[٣]. ويفصل نهر أبى رقراق الذى ينحدر من جبال أطلس بينها وبين مدينة سلا التى تقع على ضفته اليمنى[٤].

لم تظهر مدينة رباط الفتح منذ إنشائها زمن الموحدين منفصلة عن المدن المجاورة لها، فقد ارتبطت فى معظم تاريخها إلى حد كبير بمدينة سلا كما أن موضعها لم يكن بمنأى عن الأحداث التى مرت بها هذه المنطقة[٥] منذ أقدم العصور.

وتعتبر سلا إحدى مدينتين ظهرتا فى المحيط الجغرافى لمدينة رباط الفتح، والأخرى مدينة شالة وكانت كلتا المدينتين مجالاً خصباً للمناقشات والآراء المتضاربة حول أصل اسميهما، وسمة كيانهما السياسى، بين المؤرخين قديماً وحديثاً، عرباً أو مستشرقين[٦]. وتشغل مدينة شالة موضعاً يقع جنوبى مدينة رباط الفتح بحيث تطل على الضفة اليسرى لنهر أبى رقراق قبل أن يصب فى المحيط بنحو ميلين قبالة سلا[٧]. وعُرفَ اسم شالة فى اللغة البربرية القديمة والحديثة كما عرف فى اللغة الآرامية واللغة الفينيقية ويعنى «الكثرة»،و اسم شالة[٨] هو الاسم الأقدم أما اسم سلا

فلايعدو نطقاً رومانياً دون تشديد لشالة القديمة، أطلق على المدينة الرومانية التى ورثت المدينة الفينيقية[٩]. ولايفصل بين أطلال شالة وبين أسوار الرباط سوى مسافة لاتكاد تصل إلى مائتى متر[١٠].

وتتميز رباط الفتح التى أنشئت زمن الموحدين بأن لها جذوراً تاريخية موغلة فى القدم فهى لاترجع إلى عهد الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان فحسب، بل أن موقع المدينة يرجع إلى العصر الحجرى القديم الأدنى، فقد أهلت المقومات الاقتصادية الوفيرة التى يتمتع بها موقع شالة وسلا والرباط فيما بعد أن تكون مركزاً عمرانياً مزدهراً منذ أقدم حقب التاريخ، فقد تم العثور فى الهضبة التى تشرف عليها على آثار عديدة أحدثها من العصر النيوليتى[١١]، كما عثر فى شهر فبراير من عام ١٩٣٣م فى نواحى مدينة الرباط على بقايا انسان يعرف باسم انسان الرباط[١٢]، حيث وجد الفك الأسفل لهذا الإنسان مختلطاً بالحصى والحجر الخاص برصف طريق فى هذا التاريخ. وقد بلغ مجموع القطع العظيمة المنتمية لهذا الإنسان ٢٣ قطعة مفككة من الصعب ترميمها. وينتمى إنسان الرباط إلى مجموعة أتلانثروبوس[١٣]. كما عثر الباحث روش سنة ١٩٥٦هـ على فك سفلى قرب قرية تمارة يظهر أنه يقارب النوع النياندرتالى[١٤]. وتم الكشف فى سنة ١٩٧٧م بشاطئ الهرهورة الواقعة على مقربة من الرباط عن مغارة ومقابر ومساكن يرجع تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ[١٥]. أما إنسان كهف دار السلطان الذى يقع جنوبى الرباط فقد اعتبر العلماء أن بقاياه العظمية تنتمى إلى الإنسان الحديث أى العاقل Home Sapiens† وأنه يرتبط بمجموعة إنسان مشطة العربى بالجزائر[١٦].

وقد بدأ إنسان المغرب القديم العصر التاريخى مع هجرة العناصر الفينيقية من الشرق الأدنى القديم إلى بلاد المغرب، وقام الفينيقيون منذ بداية وصولهم المغرب بتأسيس مراكز تجارية أو مستعمرات لهم، وكان ذلك إيذاناً ببداية عصر جديد فى تاريخ المغرب القديم، وهو العصر الفينيقى. وأقام الفينيقيون لأنفسهم محطات تجارية

ساحلية أو قريبة من الساحل ابتداء من لبدة الكبرى وطرابلس حتى المغرب الأقصى متضمناً الساحل الغربى للمغرب المطل على المحيط الأطلسىعلى الأقل حتى جزيرة الصويرة. وكانت أهم تلك المراكز التجارية ليكسوس (العرائش حاليا) والصويرة.

ويتضح من ذلك أن الفينيقيين كانوا يعرفون الموقع الذى قامت عليه فيما بعد مدينة رباط الفتح الواقعة بين كل من العرائش والصويرة، وهو موقع يتوسط البلدتين سالفتى الذكر، كان من الطبيعى أن يطأه الفينيقيون لما يتميز به من مقومات اقتصادية واستراتيجية وفيرة. كما يشير النص اليونانى الخاص برحلة الملك القرطاجى هانو Hanno فى بداية القرن الخامس ق.م. إلى أهم مظاهر النشاط القرطاجى الفينيقى وهو ما يتعلق بمجال الكشف الجغرافى لأول مرة لمنطقة الساحل الأفريقى الغربى والساحل الأوروبى. ويؤكد هذا النص وصول القرطاجيين فى رحلتهم إلى مكان يعرف باسم ثايميا تريون يعتبره بعض المؤرخين نفس الموقع الذى تشغله المهدية فى شمال الرباط، وقد توغلت هذه الرحلة القرطاجية إلى مناطق جنوبية أبعد من هذا الموقع إلى حد وصولها إلى منطقة الكونغو الاستوائية والكاميرون(١٧). ويذكر بعض المؤرخين أن الفينيقيين اختاروا الموضع الذى تشغله شالة الواقعة جنوبى الرباط الحالية كأول نقطة للماء قابلوها قرب المصب لما عُرِفَ عنهم وعن اتباعهم القرطاجنيين من عدم الرغبة التوغل فى داخل البلاد، ثم أصبحت شالة عاصمة الفينيقيين كما أنها عرفت الديانة القرطاجنية، وعلى هذا النحو كان الموضع الذى ستقوم عليه الرباط فيما يلى ذلك بقرون عامراً فى العصر الفينيقى كذلك كانت هذه المنطقة بمثابة المركز التجارى للفينيقيين فى المغرب الأقصى، ولاتزال سكة هؤلاء القرطاجنيين الذهبية والفضية تكتشف لتؤكد المكانة التى كانت عليها المنطقة التى أسست فيها مدينة الرباط(١٨).

وفى العصر الرومانى أصبحت المنطقة الواقعة شمال الرباط الحالية، تابعة لإقليم موريطانيا الطنجية وهو أحد الأقاليم التابعة للمغرب فى العصر الرومانى(١٩). ومن

أهم مخلفات الرومان بالمغرب شبكة الطرق الطويلة، التي كانت من أشهرها الطريق الساحلي الممتد من مدينة قرطاجنة في الشرق حتى لبدة وإلى الغرب حتى طنجة والطريق الممتد من طنجة حتى شالة التي تقع جنوبي موضع مدينة رباط الفتح[٢٠]. ويذكر بعض المؤرخين أن الرباط كانت مدينة صغيرة ومسوّرة في عهد الرومان[٢١] وأنه كان يوجد في موضع القصبة الحالي حصن روماني قديم[٢٢].

وقد برز في العصر الروماني اسم سلا الرومانية، في المنطقة المحيطة والمجاورة للرباط التي أنشئت في العصر الإسلامي، وسلا هي التي ورثت مكانة شالة الواقعة على ضفة النهر المقابلة لها. وصرحت إحدى البعثات العلمية الفرنسية بأن سلا، المستعمرة الرومانية، كانت تشتمل على شالة وموقع الرباط الحالية[٢٣]، وإن كان بعض المؤرخين يذكرون أنه في عام ١٧٠م قام البرغواطيون بثورة ضد الرومان. وكان البرغواطيون سكان تامسنا يتخذون شالة الواقعة إلى الجنوب من رباط الفتح في العصر الإسلامي أو الرباط في العصر الحالي، حصناً لهم في الشمال ومركزاً لحركة العصيان ضد الاحتلال الروماني، وهذا الفريق يؤكد بذلك أن الاحتلال الروماني لم يتعد مطلقاً سلا جنوباً، وإن شالة أوقفت بذلك المستعمرين الرومان تحت أقدامها، ثم تجددت ثورة أهالي شالة ضد الرومان سنة ٢٢٥م[٢٤].

واستمرت سلا القائمة قبالة موضع الرباط الحالية مزدهرة في العصر الروماني ولكن مكانتها تقلصت بعض الشيء عند ظهور الوندال، ولم تلبث أن استعادت مكانتها في العصر البيزنطي[٢٥].

وكان أول اتصال مباشر بين المنطقة التي ستنشأ فيها مدينة رباط الفتح في عصر الموحدين، والإسلام، عندما أغار عقبة بن نافع على بلاد تامسنا بالسوس الأدنى، في ولايته الثانية على المغرب، وانتهت غارته السريعة بوقوفه على ساحل البحر المحيط عند ايغيران يطوف ودخوله بفرسه في مياه المحيط حتى بلغ الماء بطن الفرس[٢٦]. ولكن حملة عقبة كانت مجرد غزوة هدفها أشعار البربر بقوة العرب ولم تكن فتحاً

يستهدف الاستقرار ونشر الإسلام فى أطراف المغرب، وهو ما حققته حملة موسى ابن نصير فيما يقرب من عام ٨٧هـ، عندما خرج موسى غازياً من أفريقية إلى طنجة، متتبعاً البربر فقتل منهم بإقليم موريطانيا عدداً كبيراً وسبى سبياً كثيراً، وظل يفتتح قلاع البربر ويستولى على مدنهم حتى بلغ السوس الأدنى وهو بلاد درعة كما أرسل ولده مروان إلى السوس الأقصى عام ٨٧هـ. وبذلك تمكن موسى بن نصير من إخضاع بلاد المغرب كلها للإسلام، ولم تستعص عليه سوى مدينة سبتة، وأقام طارق بن زياد على طنجة وماولاها وترك معه ١٧ رجلاً من العرب يعلمون البربر القرآن وشرائع الإسلام(٢٧).

ومنذ ذلك التاريخ ارتبط الموقع الذى ستقوم عليه مدينة رباط الفتح فى العصر الموحدى فيما بعد، بالمدن المجاورة له والمحيطة به، حيث أنه حتى بداية ظهور المرابطين لم يظهر موضع مدينة رباط الفتح كمكان له أية ملامح أو كيان سياسى مستقل أو شخصية محددة ومميزة. وكانت شالة هى أهم المدن التى ارتبط بها موضع المدينة التى ستسمى فيما بعد برباط الفتح تاريخياً، منذ أن خضعت شالة لدولة برغواطة التى أتخذها العديد من أمراء هذه الدولة حاضرة لهم فى كثير من الأحيان(٢٨). وكذلك فى عهد تبعية شالة وسلا للأ دارسة ثم للزناتيين(٢٩). ولسنا هنا فى معرض سرد تفاصيل الأحداث السياسية التى مرت بها شالة فى هذه الفترات التاريخية لأنها كانت موضع دراسة متأنية ومستفيضة من العديد من المؤرخين(٣٠). ولكن يكفينا أن نشير إلى أن الموضع الذى ستنشأ عليه مدينة رباط الفتح كان حتى ظهور المرابطين مجرد منطقة فضاء تقع شمالى مدينة شالة وترتبط بها سياسياً وتاريخياً وكذلك بمدينة سلا الواقعة على الضفة اليمنى من نهر أبى رقراق وبه آثار لحصن رومانى قديم.

وما يهمنا هنا فى هذا البحث هو تسليط الضوء على الفترة التاريخية التى بدأ بعدها موضع الرباط فى الظهور تاريخياً كموضع له سماته الخاصة به المميزة له عن

كل من شالة الواقعة إلى الجنوب منه، وعن سلا المقابلة له على الضفة اليمنى من النهر. **ونستطيع أن نقرر بكل ثقة واطمئنان أن البداية الحقيقية لظهور الموضع الذى ستنشأ عليه مدينة رباط الفتح كموقع له أهمية استراتيجية وسياسية خاصة ومتميزة تتفق تماماً مع بداية ظهور المرابطين.**

ونحن نعلم أن شالة برزت على أكمل وجه فى عصر الزناتيين، وذلك منذ أن طرد موسى بن أبى العافية جميع الأدراسة وأجلاهم عن ديارهم، ومنها شالة حتى آلت إلى زيرى بن عطية وبنى يفرن من بعدهم(٣١). **ويذكر الدكتور عثمان عثمان اسماعيل** أنه مع ظهور المرابطين خلعت شالة تاج الملك، وغلب عليها صفة الرباط وأصبحت مركزاً للصراع العنيف بين المرابطين وبين زناتة من بنى يفرن ومغراوة تارة، وبين المرابطين وقبائل برغواطة تارة أخرى، وهو يستنتج أن بنى يفرن قد اتخذوا من شالة حصناً أو رباطاً حربياً تصدوا منه للمرابطين المتدفقين من الجنوب، ثم استولى المرابطون على شالة سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) لأول مرة ثم استعادها بنو يفرن الذين استمروا يحاربون منها المرابطين حتى سنة ٤٦٢هـ (١٠٦٩م) عندما سقطت شالة نهائياً فى أيدى المرابطين، فأصبحت رباطاً مرابطياً يحارب منه المرابطون برغواطة الخارجة عن تعاليم الإسلام(٣٢).

وطبقاً لهذا الرأى نجد أنه كان بشالة رباط حارب منه بنى يفرن المرابطين، ثم اتخذه المرابطون بعد ذلك رباطاً انطلقوا منه لجهاد برغواطة. ولكن لم يكن رباط شالة هو الرباط الوحيد الذى أقيم فى هذه المنطقة، فلدينا **نصان** أولهما يرجع إلى القرن الرابع الهجرى وهو نص **لابن حوقل النصيبى**، وثانيهما يرجع إلى القرن الخامس الهجرى وهو **للبكرى**.

أما النص الأول فنجد أن ابن حوقل يذكر فيه مايلى «مصب وادى سبُو وهو وادى فاس ومن ورائه إلى ناحية برغواطة على نحو بريد وادى سله وإليه ينتهى سكن المسلمين. وبسله رباط يرابط فيه المسلمون. وعليه (على وادى سلا) المدينة الأزلية

المعروفة بسله القديمة وقد خربت. والناس يسكنون ويرابطون برباطات تحف بها[٣٣]، ربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون في وقت وينقصون لوقت، ورباطهم على برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط...»[٣٤]. وهو نفس ما أورده البكرى فيما بعد.

ونستنتج من هذا النص أنه كان بجوار مدينة سلا القديمة والمقصود بها شالة عدة رباطات تحف بها، أحدهما رباط اتخذه المرابطون لقتال برغواطة على وجه الخصوص، وكان يطل على المحيط الأطلسي.

إذن لم يكن رباط مدينة شالة الذى تحدث عنه الدكتور عثمان عثمان اسماعيل هو الرباط الوحيد بالمنطقة، إنما كانت هناك أيضاً عدة أربطة أهمها رباط كان يطل على المحيط الأطلسي. وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل، وهو على أى ضفة من ضفاف نهر سله أو نهر أبى رقراق كان يقع هذا الرباط الذى اتخذه المرابطون على المحيط الأطلسي لقتال برغواطة ؟؟

والإجابة على هذا التساؤل واضحة وحاسمة إذا ما عاودنا النظر إلى نص ابن حوقل واضعين فى الاعتبار أن رحلة أبى القاسم بن حوقل كانت تتجه من الشمال إلى الجنوب مروراً بالساحل المغربى المطل على المحيط الأطلسى[٣٥]. وبذلك نجد أن هناك رباط أول ذكره ابن حوقل فى نصه ووصفه «برباط سله» كان يقع فى موقع مدينة سلا الحالية على الضفة اليمنى لنهر أبى رقراق. ثم انتقل ابن حوقل بالحديث عن «مدينة سله القديمة» أو شالة ذاكراً أن عدة رباطات كانت تحف بها (بخلاف كونها هى ذاتها رباطاً مثلما يؤكد د. عثمان عثمان اسماعيل) أهمها رباط عند مصب المحيط، فندرك بذلك أن هذا الرباط الثانى المذكور فى نص ابن حوقل كان يقع على نفس الضفة التى تقع عليها شالة وهى الضفة اليسرى من نهر أبى رقراق ولكن إلى الشمال منها عند مصب النهر فى المحيط الأطلسى، وهو نفس الموقع الذى ستحتله مدينة رباط الفتح الموحدية، أو مدينة الرباط الحالية.

ومن خلال نص ابن حوقل، والدراسات الأثرية والتاريخية القيمة التى قام بها الدكتور عثمان عثمان اسماعيل فى موضع شالة نستنتج **الحقائق التالية** :-

١- كانت مدينة شالة بعد سقوطها فى أيدى المرابطين سنة ٤٦٢هـ رباطاً هاماً من أربطتهم لقتال برغواطة الخارجة عن تعاليم الإسلام.

٢- وُجد رباط آخر فى موضع مدينة سلا على الضفة اليمنى من نهر أبى رقراق.

٣- وُجد رباط ثالث على الضفة اليسرى من نهر أبى رقراق عند مصبه على المحيط الأطلسى فى موضع مدينة الرباط[٣٦].

٤- أمتلأت هذه المنطقة بالرباطات المتعددة التى لانعرف اسماءها جميعها، وكان يقيم بهذه الرباطات ما يزيد عن مائة ألف مجاهد من المرابطين[٣٧].

أما النص الثانى الذى أورده **البكرى** فيتعلق بأنهار برغواطة وهو نص سجله على لسان أبى صالح زمور البرغواطى سفير أبى منصور عيسى بن أبى الأنصار عبد الله، ملك برغواطة إلى الخليفة الأموى الحكم المستنصر بالأندلس (٣٥٠-٣٦٦هـ)ن (٩٦١-٩٧٦م)[٣٨]، وفى ذلك يقول البكرى «وعدّد زمور من أنهار بلادهم الجارية أزيد من مابة نهر أعظمها نهر ماسنات وهو يجرى من القبلة إلى الجوف، وبين عنصره وموقعه فى البحر مسيرة ستة أيام، ونهر وانسيفين يقع فى نهر سله تحت الرباط فى البحر المحيط....»[٣٩].

ومن هذا النص يتبين لنا أن رباطاً كان يقوم بالقرب من المحيط الأطلسى ولكن النص لم يحدد مكانه أن كان على الضفة اليسرى من نهر السله (أبى الرقراق) أو على الضفة اليمنى.

ولكننا إذا قرأنا ما سبق أن كتبه البكرى عن أهم مدن المغرب ومموانيه نجد أن خط سيره ووصفه كان يتجه من الجنوب إلى الشمال فالشمال الشرقى بعكس خط سير ابن حوقل. فالبكرى يقول فى أحد مواضع كتابه «وتسير السفن من

ساحل نول إلى وادى السوس ثلاثة أيام ثم من وادى سوس إلى مرسى امفدول وهو مرسى مشتى مأمون وهو ساحل بلاد السوس ثم إلى مرسى فوز وهو رباط يعمره الصالحون وهو ساحل أغمات ثم إلى مرسى أسفى إلى البيضاء، وهو رأس جبل داخل فى البحر ثم إلى جزيرة فضالة وهو ساحل بلد تامسنى بلد برغواطة ثم إلى مرسى ماريفن ثم إلى وادى سلى وهناك مدينة أولية آثارها قائمة تسمى شلة.....[٤٠].

ولما كان نص البكرى يشير إلى أن نهر وانسيفين كان رافداً يصب فى نهر أبى رقراق فان من الطبيعى أن يتجه مجراه من الجنوب إلى الشمال، كما أن النص يشير بالتحديد إلى أنه يصب جنوبى الرباط القائم، ومعنى ذلك أن هذا الرباط كان يقع على الضفة اليسرى من نهر أبى رقراق فى الموضع الذى ستقوم عليه مدينة رباط الفتح فى عصر الموحدين[٤١].

ونستنتج مما سبق ذكره، حقيقة هامة وهى أنه كان هناك بداية من عصر المرابطين رباط يقع على الضفة اليسرى من نهر أبى رقراق عند مصبه فى المحيط الأطلسى اتخذه المرابطون منطلقاً للجهاد ضد برغواطة، وأن هذا الرباط سيكون النواة لقصبة رباط الفتح التى ستنشأ فى العصر الموحدى[٤٢].

ويذكر بعض المؤرخين أن هذا الرباط الذى سيكون نواة لقصبة الودايا ومدينة رباط الفتح فى عصر الموحدين، كان فى عصر المرابطين مجرد ثغر عسكرى ثانوى لحماية فم نهر أبى رقراق ولحماية مدينة سلا وأنه لم تصبح له أهمية استراتيجية كبرى إلا بداية من عهد الموحدين[٤٣].

ويذكر كل من **ابن عذارى، وصاحب الحلل الموشية** ما يؤكد على أن تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين بنى قصبة فى هذا الرباط المطل على المحيط الأطلسى عبد مصب نهر ابى رقراق. وفى ذلك يقول **ابن عذارى** فى سياق حديثه عن افتتاح عبد المؤمن بن على الموحدى لمدينة سلا سنة ٥٤٠هـ «وتغلب على سلا من ساعته وفتحها قبل راحته وأمن أهلها ورتب أحوالها وإنضافت قصبتها التى

كان تاشفين بناها فى الرباط وكان دخوله لها فى السابع من ذى الحجة من سنة أربعين...»(٤٤).

أما صاحب **الحلل الموشية** فيذكر فى ترجمة أمير المسلمين ابراهيم بن تاشفين فى معرض حديثه عن وصول عبد المؤمن بن على إلى سلا «تغلب عليها من ساعته وفتحها قبل نزوله وطاعت له قصبتها التى كان بناها الأمير تاشفين فى الرباط...»(٤٥).

وتذكر كل من جانيت أبو لغد Janct Abu Lughod† والمؤرخ عبد الله السويسى أن تاشفين بن على ابتنى هذه القصبة لمقاومة المهدى بن تومرت وأن هذه القصبة عرفت فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) بقصبة تاشفين أو قصر بنى تارجا(٤٦).

ونتوقف لمناقشة أصل هذا المسمى (قصر بنى تارجا) الذى أُطلِقَ كما يذكر كل من جانيت أبو لغد وعبد الله السويسى على قصبة الرباط التى ابتناها تاشفين ابن على. وبالبحث فى المصادر التى نسبت بناء القصبة إلى تاشفين لم نعثر على هذا المسمى على الإطلاق كما أنه لم يرد فى أى مصادر عربية أخرى(٤٧).

وهناك ثمة احتمال فى أن يكون هذا الاسم «قصر بنى تارجا» مشتقاً من اسم «ترغة أو «ترجة»(٤٨)، وهى اسم قبيلة من مجموعة القبائل التى تم تحالفها على أن ترفع لواء مذهب مالك فى أقاصى الصحراء، وأن تخرج من ديارها مجاهدة لاحياء الإسلام مؤسسة بذلك دولة المرابطين. هذه القبائل كانت وفيرة العدد، وقيل أنها تجاوزت السبعين، ذكر المؤرخون أن أهمها، قبيلة لمطة وترغة وسرته وجزولة، ودكالة ومسوفة وزغاوة، وجدالة وهسكورة(٤٩).

وكانت قبيلة ترغة تنتشر على وادى درعة، وكانت هناك مدينة تحمل اسم هذه القبيلة ترغة تقع بالقرب من مدينة سجلماسة سنة ١٤٠هـ(٥٠)، كما أشار

البكرى إلى وادى يسمى بوادى «تارجا» يقع على بعد خمسة مراحل من وادى درعة، كان أول الصحراء إلى بلاد السودان، ونرجح أنه فى المنطقة التى عاشت فيها ترغة(٥١).

ويذكر الدكتور **حسن محمود** أن منازل قبيلة ترغة كانت تمتد غرباً حتى تتجاوز منازل قبيلتى لمطة وجزولة اللتين كانتا تحتلان المنطقة الممتدة من جبال درن حتى واد نول القريبة من المحيط الأطلسى(٥٢).

ومما يُذكَر أن اسم الطوارق الذى خلع على الملثمين فى الوقت الحاضر مشتق من «ترغة» التى كانت تنزل على وادى درعة فى المغرب الأقصى، فلما إنهار حلف المرابطين بعد سقوط دولتهم تشتت شمل القبائل فتفرقت وأخذت تضرب فى الصحراء بحثاً عن وطن تأوى إليه، فهاجرت قبيلة ترغة نحو الشرق وظلت باقية حتى اليوم، وانتشر اسمها حتى أصبح عاماً على شعوب الملثمين، كلهم لأن القبائل فى المغرب كما نعلم كانت تتبادل السلطة والنفوذ وقد سادت لمتونة وأسست دولة المرابطين، فلما أنهارت الدولة خلفتها فى زعامة صنهاجة، قبيلة ترغة فأخضعت القبائل لصولتها وخلعت اسمها على القبائل الأخرى فأصبحوا يعرفون بالطوارق(٥٣).

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن الاحتمال السابق قد يكون تفسيراً لهذا المسمى رغم أننا نرى أن منازل ترغة كانت تمتد على وادى درعة البعيد عن موضع الرباط وحتى إذا ما امتد موطنهم حتى وادى نول فإن منازلهم تظل بعيدة عن موضع الرباط وسلا، فنول من بلاد السوس الأقصى بالمغرب فى أول الصحراء، بينها وبين سجلماسة نحو ثلاث عشر مرحلة، وكانت تستوطنها جزولة ولمطة حتى أنها سميت بنول لمطة وهى فى آخر بلاد السوس(٥٤).

وكذلك وادى درعة، الموطن الأصلى لقبيلة ترغة، فإنه يقع قريباً من سجلماسة

يفصل بينهما نحو خمسة أيام، وعليه الطريق فى الصحراء إلى بلاد السودان(٥٥).

وبقى أمامنا احتمال آخر لتفسير هذا المسمى، وهو أن تكون كلمة «تارجا» قد حرفت من كلمة «تاجرا»(٥٦). ولتفسير ذلك علينا أن نتحدث عن مقتل تاشفين ابن على آخر أمراء المرابطين، ونلاحظ أن الأخبار التى وردت فى المصادر العربية بشأن نهايته تختلف فيما بينها فيما يتعلق بسرد تفاصيل هذه الأحداث، وإن كانت جميعها تتفق فى الخط العام فى روايتها.

فالمصادر العربية تجمع على خروج تاشفين بن على إلى مدينة وهران المطلة على البحر والتى أراد أن يجعلها مقره الأخير حتى إذا ما تغلب عليه الموحدون تمكن من الفرار إلى الأندلس ليعيد احياء دولة المرابطين هناك، مقتدياً فى ذلك بعبد الرحمن الداخل الذى نجح فى إحياء الدولة الأموية فى الأندلس، فتوجه تاشفين فى ليلة السابع والعشرين من رمضان إلى ربوة على البحر فى وهران كان بها حصن كما ورد فى بعض المصادر، ورباط كأن يأوى إليه المتعبدون كما ورد فى البعض الآخر، وذلك ليحضر ختم القرآن فى جماعة يسيرة من خواصه. وكان عبد المؤمن بن على وفقاً لبعض الروايات يقيم فى تاجرا موطنه الأصلى، فلما علم بانفراد تاشفين فى ذلك الرباط، أرسل جيوشه لتقتله فحاصروه وأحرقوا بابه وحاول تاشفين الهروب، ولكن فرسه وقد أفزعته النيران، أساء القفز وهوى تاشفين صريعاً(٥٧).

ويذكر **ابن عذارى** أن عبد المؤمن على كان فى **تاجرة** عندما إلتجأ تاشفين إلى الرباط المشيد على ربوة عالية فى **ظاهر وهران** أى خارج مدينة وهران ويعبر عن ذلك بقوله «وفى ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب وباعلاها رباط يأوى إليه المتعبدون، وفى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثيين وخمسمائة صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم فى جماعة يسيرة من خواصه، وكان عبد المؤمن بجمعه فى تاجرة وهى وطنه ...»(٥٨).

ونلاحظ أن تاجرا أو تاجرة هذه التى كانت مسقط رأس عبد المؤمن بن على هى قرية من بلاد تلمسان[٥٩] فى أقصى شمالها[٦٠] حيث كانت تسكن قبيلة كومية ويوجد بها جبل يحمل نفس اسمها[٦١]. أما تلمسان فكانت لاتبعد كثيراً عن وهران التى إلتجأ إليها تاشفين بن على، فالمسافة بينهما مرحلتان[٦٢] وقيل ثلاثة، وبذلك فاننا نستنتج من خلال نص ابن عذارى السابق أن الرباط الذى إلتجأ إليه تاشفين فى لحظاته الأخيرة كان قريباً جداً من تاجرا فهى تقع شمالى تلمسان، وفى ذات الوقت نجد أن ابن عذارى قد نص على أن هذا الرباط كان يقع فى ظاهر وهران على البحر أى خارج وهران فيكون بذلك أقرب ما يكون إلى تلمسان واحوازها وبالتالى من تاجرا.

كذلك أورد كل من ابن عذارى، وابن الأبار ما يشير إلى أن هذا الرباط أو الحصن الذى إلتجأ إليه تاشفين والذى كان قريبا من تاجرا كما استنتجنا كان من بناء تاشفين بن على نفسه، فابن عذارى يقول «لما أنحصر تاشفين فى الحصن الذى بناه مع نفر من أعيان لمتونة يئس من الحياة... »[٦٣].

أما ابن الأبار فيذكر «واستقر هو بوهران (تاشفين) ولجأ إلى حصن شرع فى بنيانه فى تلك الأيام»[٦٤].

كذلك يذكر ابن عذارى أن أهل تاجرا أو تاجررت كانوا تابعين للمتونة، فلما علموا بمقتل تاشفين خرج أعيانهم لملاقاة عبد المؤمن بن على الذى أمر بقتلهم انتقاماً من ولائهم السابق للمرابطين[٦٥].

وعلى هذا النحو يتبين لنا أن تاشفين هو الذى بنى الرباط الذى إلتجأ إليه فى لحظاته الأخيرة، وأن هذا الرباط كان يقع فى ظاهر وهران بالقرب من تلمسان وأنه سمى برباط تاجرا نسبة إلى موضع تاجرا أو تاجررت القريب منه والتى كان أهلها يتبعون لمتونة.

ووفقاً لهذا التفسير يمكن القول أنه بمرور الزمن اختلطت الأمور، وربط الناس بين الرباط الذى بناه تاشفين بن على فى ظاهر وهران الواقع قريباً من تاجرا وبين القصبة أو الحصن الذى ابتناه فى الموضع الذى ستشيد فيه مدينة رباط الفتح فيما بعد باعتبار أن كليهما من تشييد تاشفين بن على، ولنفس الهدف وهو التصدى للموحدين فأطلق على قصبة رباط الفتح اسم رباط أو حصن أو قصر تاجرا الذى حُرِّف بمرور الزمن إلى «تاجرا».

ومع ذلك فاننى أميل إلى الأخذ بالاحتمال الأول الذى يذهب إلى أن كلمة تارجا مشتقة من ترغة أو ترجة وهو كما سبق أن ذكرنا اسم قبيلة من قبائل المرابطين والتى منها اشتق اسم الطوارق.

الباب الأول

التاريخ السياسي لمدينة رباط الفتح زمن الموحدين

وزمن بني مريـــــن

الفصل الأول : في عصر الموحـــدين

(١) رباط الفتح فى الفترة منذ عهد عبد المؤمن بن على حتى عهد الخليفة محمد الناصر

(٢) رباط الفتح فى الفترة منذ عهد الخليفة المستنصر الموحدى حتى نهاية عهد الخليفة الرشيد (٦١٠-٦٤٠هـ)

(٣) رباط الفتح منذ عهد الخليفة السعيد الموحدى حتى سقوطها فى أيدى المرينيين

الفصل الثانى : فى عصر بنى مرين

الفصل الأول
في عصر الموحـــدين

(١) رباط الفتح فى الفترة منذ عهد عبد المؤمن بن على حتى عهد الخليفة محمد الناصر

(٢) رباط الفتح فى الفترة منذ عهد الخليفة المستنصر الموحدى حتى نهاية عهد الخليفة الرشيد (٦١٠-٦٤٠هـ)

(٣) رباط الفتح منذ عهد الخليفة السعيد الموحدى حتى سقوطها فى أيدى المرينيين

الفصل الأول
رباط الفتح في عصر الموحدين

(١)

رباط الفتح فى الفترة من عهد عبد المؤمن بن على حتى نهاية عهد الخليفة محمد الناصر

أ- المهدية أو رباط الفتح منذ قيام عبد المؤمن بن على بتمصيرها إلى أن استكمل المنصور بناءها سنة ٥٩٣هـ

- المهدية زمن عبد المؤمن بن على

مماسبق أن ذكرناه يتضح أن تاشفين بن على بن يوسف هو المؤسس الأول للقصبة التى أقيمت فى موضع الرباط الذى أنشأه المرابطون على الضفة اليسرى لنهر أبى رقراق عند مصبه فى المحيط الأطلسى للجهاد ضد برغواطة وهذا الموضع هو نفسه الذى سيقيم فيه الموحدون فيما بعد مدينة عظيمة هى مدينة رباط الفتح[٦٦]، عاصمة المملكة المغربية الحالية، وهو الموضع الذى ذكر ابن صاحب الصلاة أن أهل الأثر كانوا يقولون أنه سيكون موضعاً لمدينة عظيمة لخليفة عظيم[٦٧]، وهو نفس الموضع الذى كان الرومان قد بنوا حصناً عليه.

ويذكر عبد الواحد المراكشى فى المعجب أن المهدى بن تومرت كان أول من فكر فى بناء مدينة حول القصبة المرابطية المقامة فى الرباط وأنه أمر الموحدين بذلك قائلاً لهم «تبنون مدينة عظيمة على ساحل هذا البحر، يعنى البحر الأعظم - ثم يضطرب أمركم وتنتقص عليكم البلاد حتى ما يبقى بأيديكم إلا هذه المدينة، ثم يفتح الله عليكم ويجمع كلمتكم ويعود أمركم كما كان» ولهذا سماها الموحدون برباط الفتح[٦٨].

ويعتبر الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على أول من اهتم بتنفيذ ما أوصى به المهدى بن تومرت، فابتدأ فى بناء حصن ومدينة فى نفس الموقع الذى يقوم عليه رباط وقصبة تاشفين بن على، وعرف هذا الحصن وما حوله من مبان سكنية فى عهده باسم «المهدية»(٦٩)، وكان النواة الأولى واللبنة الرئيسية لمدينة رباط الفتح التى ستتخذ شكلها النهائى فى عهد حفيده الخليفة المنصور الموحدى سنة ٥٩٣هـ/ ٥٩٤هـ. ويذكر بعض المؤرخين أن عبد المؤمن بن على اهتم باعادة بناء قصبة تاشفين ليتمكن من أحكام قبضته على مدينة سلا المقابلة لها على الضفة اليمنى من نهر أبى رقراق. ويذكر الناصرى صاحب مخطوط الخزانة الصبيحية عن سلا ورباط الفتح وجهادهما البحرى أن عبد المؤمن اختار موضع القصبة هذا لوقوعه على مصب النهر والبحر فيكون بمثابة حاجز مانع للسفن فى كل غارة موجهة من البحر(٧٠).

وقد أوردت المصادر العربية ما يؤكد جهود عبد المؤمن بن على تلك، فى هذا المجال، من ذلك ما يذكره البيذق فى أخبار سنة ٥٤٤هـ فى معرض حديثه عن خروج الخليفة من جديد إلى مدينة سلا، وانتقاله منها إلى موضع قصبة تاشفين حيث أمر بمد السقاية من عين غبولة إلى ذلك الموضع كما أمر ببدء تمصير هذه المنطقة فبدأ العمال يحفرون أساس المدينة ويبنون قصراً له، وفيما يلى رواية البيذق «جدد الخليفة الخروج إلى سلا فى ذلك العام بعد الاعتراف له وأمر بسقاية من عين غبولة، والخليفة ساكن فيها، أن تحفر وتهبط إلى سلا، وأمر برباط الفتح أن يحفر أساسه وبنى فيه قصراً ومكث فى خدمة السقاية والأساس وبناء القصر خمسة أشهر، وأمر الخليفة بالعساكر أن تجرد إلى سلا وبايعوه فيها وأقلع عنها إلى بجاية والساقية لم تتم وبناء القصر وترك على اشتغالها عبد الحق بن ابراهيم بن جامع ..»(٧١).

ويسوق كل من ابن صاحب الصلاة وابن أبى زرع نفس الخبر بمزيد من التفصيلات مما أعاننا على تكوين صورة واضحة المعالم لما كانت عليه المهدية وما حولها من مبانٍ نعتبرها النواة الأولى لمدينة رباط الفتح فى عهد عبد المؤمن ابن على، ولكنهما أورداها ضمن أحداث عام ٥٤٥ هـ.

ويعتبر ابن صاحب الصلاة أكثر من زودنا بمعلومات مفصلة فى هذا الصدد. ويجدر بنا أن نسجل روايته حول هذا الموضوع ونطالع نصها فيما يلى «وموضع هذه المدينة المسماة الآن بالمهدية وبرباط الفتح كان فى أيام السيرات فيه برج للسكنى وما حواليه أرض محرث براح ومسرح، متملك للمخزن ولأهل سلى ولابن وجاد من أهل أشبيلية، فاشتراه الخلفاء من أربابه وخلص لهم، وكان أهل الأثر يقولون فى ذلك التاريخ : سيكون فى هذا الموضع مدينة عظيمة لخليفة فلما وصل أمير المؤمنين الخليفة رضى الله عنه إلى سلى فى عام خمسة واربعين وخمس مائة لاستطلاع أحوال جزيرة الأندلس على ما تقدم الذكر به فى هذا التاريخ، أمر ببناء قصبة حصينة فى ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا، وأقام بمحلاته المؤدية على عين غبولة والفعلة معه والمهندسون فأجروا لها الماء من عين غبولة المذكورة فى سرب تحت الأرض حتى إلى قصبة المهدية المذكورة، ودام اشتغال الأمر بذلك شهوراً وهو مقيم بعسكره حتى وصل الماء المذكور إليها فصنع له سقاية لشرب الناس والخيل وسقى الأرض حواليها فصارت فيها البحائر والجنات المغروسات ثم اتصل الأمر العزيز بسكناها بالناس وببناء الديار حواليها والأسواق....»(٧٢).

أما ابن أبى زرع، فلم يستخدم اسم المهدية، وإنما أشار إليها مستخدماً تعبير «مدينة من رباط الفتح» وفى ذلك يقول «وفيها (٥٤٥هـ) تحرك أمير المؤمنين عبد المؤمن إلى مدينة سلا فوصل إليها وأجرا إليها ماء عين غبولة حتى وصل إلى مدينة من رباط الفتح، وإذن للوفود من أهل الأندلس فى الوصول إلى سلا فوصلوا فى

نحو خمس مائة من الفقهاء والقضاة والخطباء والأشياخ والقواد ...»[٧٣].

وبمقارنة النصوص الثلاثة السابقة نلاحظ أن ثلاثتهم تتفق فى ذكر شروع عبد المؤمن بن على فبناء مدينة المهدية أو رباط الفتح، وإن كان البيذق قد أرّخ بداية تأسيس مدينة المهدية بسنة ٥٤٤هـ (١١٤٩م) فى حين يتفق كل من ابن صاحب الصلاة وابن أبى زرع على سنة ٥٥٤هـ(١١٤٩م) ، كذلك ذكر البيذق أن عبد المؤمن بن على أقام فى موضع المهدية مدة خمسة أشهر ثم رحل قبل أن يتم الانتهاء من الساقية وأن بناء القصر الذى تعهد باتمامه عبد الحق بن جامع لم يتم فى حين أكد كل من ابن صاحب الصلاة وابن أبى زرع أن عبد المؤمن لم يترك المهدية إلا وكان الماء قد أجرى إليها من عين غبولة فى سرب تحت الأرض.

ونحن نميل إلى الأخذ بما أورده كل من ابن صاحب الصلاة وابن أبى زرع لأنهما دعما ما ذكراه بالأدلة المنطقية فلو لم تكن الساقية قد تمت والماء قد أجرى إلى المهدية، لما سقيت الأرض وانتشرت الحدائق والبساتين ولما أقبل الناس على سكنى هذه المدينة الجديدة كما ذكر ابن صاحب الصلاة .

ومن خلال ما ورد فى تلك النصوص يتبين لنا أن قصبة المهدية التى شرع الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على فى بنائها والمدينة التى شرع فى تمصيرها كانت قائمة فى نفس موضع القصبة التى بناها تاشفين بن على وماحولها، وأن عبد المؤمن بن على أمر باعادة بناء تلك القصبة وتحصينها تحصيناً محكماً[٧٤] كما أمر ببناء قصر له فيها[٧٥] وهو القصر الذى سيصبح قصر ولاة سلا ورباط الفتح طوال عصر الموحدين إذ كان والى سلا والياً فى نفس الوقت على رباط الفتح وكان يقيم فى قصره بقصبة الرباط[٧٦] كما سنوضح بالتفصيل فى الصفحات التالية.

ويبدو أن عبد المؤمن بن على أعاد بناء القصبة على نحو جديد يختلف عما كانت عليه زمن تاشفين بن على إذ أن ابن صاحب الصلاة وكذلك البيذق يشيران

إلى أنه أصطحب معه المهندسين والعرفاء والبنائين وأشهرهم عبد الحق بن ابراهيم ابن جامع وأنهم قاموا بحفر أساس جديد لبناء كل من القصبة والقصر، ولعل عملية إعادة بناء القصبة بهذه الصورة الجديدة، هى التى دفعت هؤلاء المؤرخين إلى عدم ذكر قصبة تاشفين أو الإشارة إليها. ونحن نرجح أن يكون عبد المؤمن بن على قد أمر بهدم أجزاء كبيرة من القصبة المرابطية، فتكون قصبة المهدية أقيمت وفقاً لذلك على انقاض القصبة المرابطية وهذا يفسر السبب فى قول ابن صاحب الصلاة بأن عبد المؤمن بن على «أمر ببناء قصبة حصينة فى ذلك الموضع علم فم البحر الداخل إلى سلا ...» دون أن تتضمن روايته أى إشارة لقصبة تاشفين كذلك يتبين من نص ابن صاحب الصلاة أن موضع القصبة وماحولها من أرض فضاء كان قبيل شروع الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على فى إعادة بنائها ملكاً لشخص يدعى ابن وجاد من أهل اشبيلية، وكذلك لأهل سلا.

أما ابن وجاد فكان من أعيان أشبيلية فى ذلك العصر وقد تاق بسكنى العدوة فنزل على مقربة من سلا فى نفس الموضع الذى ستقوم عليه المهدية ورباط الفتح وتملك أرضاً هناك، وقد أوردت بعض كتب التراجم ترجمة لأحد أحفاده من أهل أشبيلية[٧٧]، أما أهل سلا الذين كانوا يملكون أرض الرباط والمخزن، والذين لم يشر ابن صاحب الصلاة إلى اسمائهم فهم بنو القاسم المعروفون ببنى عشرة. وكان بنو عشرة من أهل مدينة سلا ويذكر بعض المؤرخين أن أصولهم كانت أندلسية إذ يرجعون إلى مدينة قرطبة وقد عرفوا بالعلم والبناهة.

ومن أشهر من برز منهم الفقيه القاضى أبو العباس أحمد بن القاسم الذى تولى قضاء سلا فى عصر المرابطين، وقد شيد لنفسه قصراً لاقامته، وصفه الشعراء بالروعة والجمال. وكان المهدى بن تومرت قد نزل فيه عند دخوله مدينة سلا[٧٨]، كما اشتهر الفقيه القاضى أبو الحسن على الذى أشار إليه الدكتور عبد الهادى التازى بأنه مالك المخزن وأرض الرباط، وقد قصده الشعراء والأدباء من كل صقع خاصة

الأندلس. وقد تولى قضاء سلا ونواحيها ودخل الأندلس غازياً فى سنة ٤٣٨هـ قبيل قيام دولة المرابطين كما رحل إلى المشرق الإسلامى لأداء فريضة الحج ثم عاد وتوفى ببلده سلا سنة ٥٠٢هـ (١١٠٨م)، فورث بنوه عنه سؤدداً ومجداً عظيماً[٧٩].

وكان الشاعر أبو بكر عيسى بن الوكيل اليابرى قد امتدح القاضى ابا الحسن على ابن عشرة فى احدى قصائده الشهيرة[٨٠]. ويرجح الدكتور عبد الهادى التازى أن أرض الرباط والمخزن كانتا ملكاً خاصاً له عند دخول الخليفة الموحدى عبد المؤمن ابن على فى موضع القصبة وأن كنا نميل إلى الاعتقاد بأنهما كانتا ملكاً لبنيه لأنه كان قد توفى سنة ٥٠٢هـ[٨١].

وقد اشترى عبد المؤمن بن على من ابن وجاد ومن بنى عشرة هذه الأراضى التى كانوا يمتلكونها ليشرع فى تأسيس المهدية.

ونستدل من الرواية التاريخية الخاصة بإنشاء المهدية على حرص عبد المؤمن بن على، على مد المياه العذبة إلى المهدية لتكون بذلك منطقة صالحة للسكن. وقد مدت تلك المياه إليها من عين تقع على بعد نحو عشرين كيلومتراً منها تعرف بعين غبولة، واستعان الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على لتنفيذ ذلك بالمهندسين وكانت لعرفاء البناء المغاربة قدرات عالية وشهرة عظمى فى عمليات تسريب المياه فى جوف الأرض وفق أصول حسابية دقيقة للغاية، من ذلك ما تم عند جلب الماء لميضأة جامع القرويين من مدينة فاس فى أواخر القرن السادس[٨٢]، وما تزال آثار السقاية التى تحدث عنها ابن صاحب الصلاة فى موضع المهدية قائمة فى الوقت الحاضر[٨٣]. وقد ترتب على هذا الانجاز العظيم أن أزدهرت المهدية ونواحيها فانتشرت بها الحدائق والبساتين وأصبحت قصبتها ومقرها مقراً للخلفاء والولاة وانتجعها الناس وأقبلوا على سكناها فاكتظت بهم وازداد عدد الدور حولها فنشطت

الحياة التجارية بها وعمرت بالأسواق وأزدهرت المهدية اقتصادياً حتى شبهها ابن صاحب الصلاة فى أزدهارها وحسن موقعها على الضفة اليسرية لنهر أبى رقراق بمدينة بغداد(٨٤) بالعراق.

ومن الجدير بالملاحظة أن كاييه Caillé† اعتمد فى سياق حديثه على المنشآت الأولى للموحدين فى المهدية ورباط الفتح على أبى الفدا وصاحب الاستبصار والبيذق ويذكر أنهم وحدهم الذين تحدثوا باسهاب عن هذه الفترة(٨٥). وباستثناء البيذق فاننا نلاحظ أن كلا من أبى الفدا وصاحب الاستبصار يرجعان إلى فترة متأخرة عن بداية بناء المهدية وقد فات كاييه الرجوع إلى ابن صاحب الصلاة وابن أبى زرع وكذلك لعبد الواحد المراكشى وإذا كنا نلتمس له العذر فى عدم الرجوع لابن صاحب الصلاة بأن كتابه المن بالأمامة لم يكن قد نشر بعد، فاننا لانعفيه من عدم الرجوع إلى المصدرين الآخرين.

ونختتم هذه النقطة بإعادة تركيز الانظار على ما أورده كل من ابن صاحب الصلاة والبيذق وابن أبى زرع من أن الأعمال التى قام بها الخليفة عبد المؤمن بن على منذ بداية تعميره القصبة التى ستسمى بالمهدية، ومده المياه إليها من عين غبولة وشروعه فى بناء القصر واتصال العمران بها وانتقال الناس لسكناها وبنيان الدور وأحاطتها بالبحائر والبساتين والجنات، يؤكد تماماً أن ابتداء عمران أرض مدينة رباط الفتح قد بدأ منذ أيام الخليفة عبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين وان كان استمرار تشييد المنشآت وتعمير المدينة وتخطيطها على أساس منظم ودقيق استمر طوال عهد ولده يوسف كما سنشير فى الصفحات التالية كما تم احاطتها بالأسوار والشوارع والشروع فى إنشاء الجامع فى عصر حفيده أبى يوسف يعقوب المنصور الذى احتفل باتمام الأعمال البنائية بالمدينة التى شرع جده فى بنائها بعد عودته من الأرك بنحو عامين وذلك فى أواخر عام ٥٩٣هـ.

ومن الواضح أن هذا العرض يخالف الرأى السائد سابقا والقائل بأن الخليفة المنصور الموحدى هو بانى مدينة رباط الفتح[٨٦].

- اسم المهدية

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن اسم مدينة المهدية، فان المقصود بها من خلال ما استعرضناه القصبة والمدينة التى بدأ عبد المؤمن بن على ببنائها على الضفة اليسرى الغربية لنهر أبى رقراق عند مصبه فى المحيط الأطلسى قبالة مدينة سلا وهى التى اعبرناها نواة مدينة رباط الفتح التى ستكتمل عمرانياً زمن الخليفة الموحدى المنصور فى سنتىن ٥٩٤/٥٩٣هـ. وقد ذكرنا فيما سبق أن عبد المؤمن بن على بدأ فى بنيانها بإعادة بناء القصبة المرابطية التى سبق لتاشفين بن على أن بناها لمقاتلة المهدى به تومرت فأصبحت القصبة بذلك نواة المهدية ونواة رباط الفتح بعد انتشار العمران حولها، وعرفت لهذا السبب باسم قصبة الودايا منذ عهد السلطان عبد الرحمن العلوى[٨٧].

أما تسميته هذه القصبة والمدينة بالمهدية فنسبة إلى المهدى بن تومرت واحياء لذكراه باعتباره أول من أمر ببنائها وتمصيرها فى رأى[٨٨] أو تشبهاً بالمهدية عاصمة عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى بافريقية فى رأى آخر[٨٩]. ومهديتنا هذه الواقعة عند مصب نهر أبى رقراق هى غير مدينة المهدية الواقعة على مصب نهر سبو، وغير المهدية المنسوبة لعبيد الله المهدى، فمهدية نهر سبو تقع على الضفة اليسرى منه عند مصبه الواقع شمالى سلا على مسافة تبعد عنها بنحو ٣٠ كلم، وكانت هذه المهدية تعرف منذ القرن الرابع الهجرى (بالمعمورة) أى المسكونة الآهلة بالسكان، كما كانت تسمى أيضاً «بحلق سبو» أو حلق المعمورة، ولم تعرف مهدية سبو بهذا الاسم «المهدية» إلا فى نهاية القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) عندما استرجعها المولى اسماعيل العلوى من الأسبان سنة ١٠٩٢هـ (١٦٨١م)،

فكأنه باسترجاعها أهداها إلى أمته وبلاده فأصبحت مهداه منه إلى الناس وعرفت لذلك بالمهدية[٩٠].

أما مهدية أفريقية، فهي العاصمة الجديدة التي ابتناها عبيد الله المهدى لنفسه بدلاً من مدينة رقادة سنة ٣٠٧ هـ (٩١٩م) تأميناً لنفسه من ثورات البربر التي أندلعت ضده بعد أن أقدم على الفتك بداعيته أبي عبد الله الشيعي صاحب الفضل الأعظم في قيام الدولة الفاطمية بالمغرب، وقد عرفت مهدية افريقية بحصانتها، وتقع بين مدينتي صفاقس والمنستير، وتبرز في البحر المتوسط على هيئة كف متصل بالزند وتحيط بها المياه من كل الجهات ماعدا الجهة الغربية التي أنشأ فيها المهدى بابين من الحديد لاخشب فيهما، كما جلب إليها الماء من قناة تمتد ما بين قرية مشانس والمهدية، وأقام لها مرسى للسفن منقوراً في صخر صلد يتسع لثلاثين مركبة، كما شيد بها أيضاً داراً للصناعة نقرت في الجبل تتسع لمائة سفينة حربية كبيرة وزود المدينة بالمواجل وصهاريج المياه والإهراء وبنى بها القصور فلما أسس المهدية قال «أمنت اليوم على الفواطم»[٩١].

ونحن نميل إلى الأخذ برأى ابن عذارى القائل بأن عبد المؤمن بن على أطلق على مهدية أبي رقراق هذا الاسم لتشابهها مع مهدية أفريقية الفاطمية فالبحر يحيط بها من كل جانب، ونلاحظ كذلك أن الخليفة الموحدى عبد المؤمن حذا حذو عبيد الله المهدى عندما صمم على مد مهدية أبي رقراق بالمياه عن طريق السقاية من عين غبولة، وعبيد الله المهدى كما ذكرنا كان قد زود مهديته بالمياه وبالصهاريج والمواجل هذا بخلاف ما أورده البيذق[٩٢] عن بناء عبد المؤمن بن على قصراً بمهدية أبي رقراق التفت حوله دور السكان الذين نزحوا للإقامة هناك على حد قول ابن صاحب الصلاه[٩٣] مما يذكرنا بما فعله عبيد الله المهدى في عاصمته الجديدة.

ومن الملاحظ أن عدداً قليلاً من المصادر العربية أوردت اسم المهدية، من ذلك ما أورده ابن صاحب الصلاة عنها بقوله «وموضع هذه المدينة المسماة الآن بالمهدية ورباط الفتح، كان فى أيام السيرات فيه برج للسكن...»(٩٤) وكذلك ابن عذارى الذى يذكر على سبيل المثال فى أخبار سنة ٥٥٣هـ (١١٥٨م) «تحرك أبو محمد عبد المؤمن من حضرة مراكش فى أول شوال من هذه السنة المؤرخة إلى رباط الفتح المسمى بالمهدية عدوة سلا ...»(٩٥)، وكذلك قوله فى أحداث سنة ٥٨٨هـ (١٩٩٢م) «فأمر (المنصور) بتجديد القصبة المسماة بالمهدية ...»(٩٦).

أما ياقوت الحموى فقد حددها صراحة بقوله عند وصفه مدينة سلا «فالبحر شماليها والنهر غربيها جار من الجنوب وفيه نهر كبير يجرى فيه السفن أقرب منه إلى البحر، وفى غربى هذا النهر اختط عبد المؤمن مدينة وسماها المهدية كان ينزلها إذا أراد إبرام أمر وتجهيز جيش...»(٩٧).

وقد حذا حذوهم المؤرخ محمد بن دنية مستخدماً اسم المهدية(٩٨)، أما ابن أبى زرع فلم يستخدم هذا الاسم «المهدية» وإنما أطلق عليها تعبيراً آخر وهو «مدينة من رباط الفتح» باعتبار ما سيكون زمن الخليفة المنصور الموحدى الذى سيستكمل تمصير المهدية وماحولها والتى سيزداد اتساعها فى عهد وسيطلق عليها منذ ذلك الحين اسم رباط الفتح فقط. وفى ذلك يقول ابن أبى زرع فى احداث عام ٥٤٥هـ (١١٥٠م) «فيها تحرك أمير المؤمنين إلى مدينة سلا فوصل إليها وأجرى اليهاماء عين غبولة حتى وصل إلى مدينة من رباط الفتح وأذن للوفود من أهل الأندلس فى الوصول إلى سلا....»(٩٩).

وهناك من المؤرخين من استخدام تعبير «رباط الفتح من سلا» أو «رباط سلا» بديلاً عن اسم «المهدية» ورمزاً لها. ومن هؤلاء المؤرخ مجهول الاسم صاحب كتاب الحلل الموشية فقد ذكر فى أحداث سنة ٥٥٨هـ (١١٦٢م) خبر وفاة الخليفة

الموحدى عبد المؤمن بن على قائلاً «كانت وفاته برباط الفتح من سلا سنة ٥٥٨ هـ واحتمل إلى تينمال ودفن بجانب قبر المهدى رحمة الله عليهما وولى بعده ابنه»[١٠٠]. وكذلك عند ذكره نبأ وفاة ابنه الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن فى قفوله من غزاة شنترين فهو يقول «واحتمل إلى رباط الفتح من سلا فدفن به ثم احتمل منها إلى تينمال فدفن لصق ابيه ...»[١٠١].

وابن خلكان استخدم تعبيراً آخر للدلالة على المهدية يتمثل فى قوله «ظاهر سلا» فهو يذكر فى أحداث سنة ٥٩٠هـ (١١٩٣م) أن الخليفة المنصور توجه «إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العسكر بظاهرها، فاتفق أنه مرض مرضاً شديداً حتى أيس منه أطباؤه فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش فحمل الأمير يعقوب إلى مراكش...»[١٠٢].

أما ابن الأثير فلم يذكر لا اسم المهدية ولارباط الفتح مثل المصادر المغربية واكتفى بذكر سلا[١٠٣].

وقد ذكر ابو العباس الغبرينى صاحب كتاب عنوان الدراية أن وفاة عبد المؤمن ابن على حدثت فى رباط سلا سنة ٥٥٨ هـ وهو فى طريقة مجاهداً دون أن يذكر مسمى «المهدية»[١٠٤].

هذا وقد أكثر الناصرى فى كتابة الاستقصا من استخدام تعبير «رباط سلا» للدلالة على المهدية من ذلك ما ذكره فى أحداث سنة ٥٤٥هـ «لما كانت سنة خمس وأربعين وخمسمائة قدم عبد المؤمن من مراكش إلى سلا فنظر فى أجرها وأجرى إليها ماء عين غبولة حتى وصل إلى رباطها ولم تكن رباط الفتح يومئذ قد بنيت لأن بانيها حافده يعقوب المنصور كما سيأتى وإنما كان يقال لها رباط سلا...»[١٠٥].

وكذلك يذكر الناصرى عند إشارته إلى خبر وفاة عبد المؤمن بن على سنة ٥٥٨هـ «ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائه، خرج أمير المؤمنين عبد المؤمن من مراكش قاصداً الأندلس برسم الجهاد وكان خروجه يوم الخميس ربيع الأول من السنة المذكورة فوصل إلى رباط سلا...»[١٠٦].

ومن المؤرخين الحديثين بوجندار الذى استخدم هذا التعبير فهو يذكر فى الاغتباط فى سياق حديثه عن الخليفة عبد المؤمن بن على «كان خروجه سنة ٥٥٨هـ يوم الخميس ٥ ربيع الأول فوصل إلى رباط سلا...»[١٠٧]. وعن وفاة عبد المؤمن يقول بوجندار «ويذكر أن عبد المؤمن مرض وتوفى بقصبة الرباط، التى كان اتخذها لملكه داراً ولأهله وحشمه وسائر حاشيته...»[١٠٨].

على أننا نلاحظ أن نفس ابن صاحب الصلاة وابن عذارى استخدما فى مواضع مختلفة وعديدة من كتابيهما اسم «رباط الفتح» كبديل عن اسم «المهدية» الذى أشارا إليه كما ذكرنا عند حديثهما عن جهود عبد المؤمن بن على فى تمصيرها وذلك قبيل اتمام بناء مدينة رباط الفتح زمن المنصور الموحدى سنة ٥٩٤/٥٩٣هـ، من ذلك ما ذكره ابن صاحب الصلاة عن رباط الفتح أثناء الحديث عن نشاطات عبد المؤمن بن على العسكرية فى أخبار سنة ٥٥٧ هـ[١٠٩] وفى أخبار سنة ٥٥٨هـ[١١٠] وكذلك ما ذكره ابن عذارى عنها فى سياق عرضه لجهود الخليفة المنصور الموحدى العسكرية فى سنة ٥٨٢هـ[١١١]، وفى سنة ٥٨٠هـ[١١٢] وفى سنة ٥٨٥هـ[١١٣]وفى سنة ٥٨٦هـ[١١٤] وفى سنة ٥٨٧هـ[١١٥] وفى سنة ٥٩٠هـ[١١٦]، وذلك قبل اتمامه بناء مدينة رباط الفتح فى سنة ٥٩٣هـ/٥٩٤هـ، وسنوضح ذلك فى حينه فى الصفحات التالية.

وكذلك الكاتب أبو جعفر بن عطية الذى استخدم فى رسائله زمن عبد المؤمن بن على اسم رباط الفتح بدلاً من المهدية[١١٧].

وقد يكون استخدام كل من ابن صاحب الصلاة وابن عذارى والكاتب ابن عطية لاسم «رباط الفتح» بدلاً من اسم المهدية تصرفاً تلقائياً باعتبار ما سيكون مستقبلاً فى سنة ٥٩٣ هـ عندما يحل اسم رباط الفتح بعد اتمام بناء الخليفة المنصور الموحدى لها، محل اسم المهدية. ويذكر كاييه Caillé† أن المهدية ستفقد اسمها وتستبد له برباط الفتح عقب وفاة عبد المؤمن بن على. ولكننا نرى أن المؤرخين المسلمين وعلى رأسهم ابن صاحب الصلاة وابن عذارى وكذلك الكاتب ابو جعفر بن عطية الذين أوردوا اسم المهدية فى كتاباتهم قد استخدموا اسم رباط الفتح أحياناً حتى فى زمن عبد المؤمن بن على كما أشرنا، وهذا ينفى رأى كاييه ويؤكد رأينا من وجود اسم آخر للمهدية منذ زمن عبد المؤمن بن على وهو «رباط الفتح» الذى كانوا يستخدمونه أحياناً كبديل له وأن لم يطلق رسمياً ووحده عليها إلا بعد إكمال بنائها زمن المنصور سنة ٥٩٣هـ. وهذا ما أشار إليه الناصرى صاحب مخطوط سلا ورباط الفتح بالخزانة الصبيحية بسلا، من أنه فى عهد عبد المؤمن أطلق على الرباط اسم «رباط الفتح» تباركاً بالفتوح الأندلسية(١١٨).

ولعل هذا يدفعنا إلى الإشارة والتنويه بالرأى الذى أوردته الباحثة جانيت أو لغد فى كتابها عن الأربطة فهى تعلل استخدام المصادر العربية للإسمين معاً (المهدية، ورباط الفتح) لأن رباط الفتح كان المقصود به فى رأيها القصبة أما المدينة المحيطة بالقصبة فهى التى أطلق عليها اسم المهدية(١١٩).

وإن كنت أميل إلى ترجيح الرأى القائل بأن المصادر العربية إنما استخدمت اسم رباط الفتح والمهدية فى آن واحد وذلك فى عهد عبد المؤمن بن على اعتباراً بما سيكون زمن المنصور عندما سمى المدينة كلها وحصنها بهذا الاسم تخليداً لذكرى انتصاره فى موقعه الأرك، والذى أتم بناء الرباط من غنائمه(١٢٠). ومن المؤكد أن بناء رباط الفتح (الجزء المدنى المحيط بالقصبة) بدأ فى عهد عبد المؤمن بن على

استناداً على رواية ابن صاحب الصلاة كما سبق أن ذكرنا وقد أُستكمل فى عهد ولده أبى يعقوب يوسف بعد أن خطط له بكل دقة كما سنشير بالتفصيل ولكن الموت لم يمهله فتابع ولده المنصور مشروعاته.

- المهدية أو رباط الفتح زمن الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن على حتى اتمام بنائها زمن المنصور سنة ٥٩٣هـ.

يذكر بعض الباحثين المعاصرين وعلى رأسهم الدكتور عثمان اسماعيل والدكتور محمد بلغيث استناداً إلى ما أورده كل من بوجندار فى كتابه مقدمة الفتح وتيراس، أن الخليفة عبد المؤمن بن على بنى قصبة المهدية التى كانت تضم بداخلها قصراً ومسجداً جامعاً وأنه أول من اتخذها قصراً ومنزلاً فأدار أسوارها وفتح أبوابها وشيد منارها وبنى مسجدها الجامع وأجرى إليه الماء[١٢١] وأنشأ مدرستها[١٢٢].

وعلينا أن نناقش كل هذه الآراء، ففيما يتعلق بالقصبة ذكرنا فى الصفحات السابقة أن القصبة كانت من بناء تاشفين بن على وأن كل ما قام به عبد المؤمن لايعدو إعادة بنائها على انقاض القصبة المرابطية وأن تاشفين بن على نفسه قد بنى هذه القصبة فى الرباط الذى أشار إليه ابن حوقل وهو الرباط الذى كان قد أسسه المرابطون فى بداية ظهورهم فى هذه المنطقة لجهاد برغواطة، على انقاض حصن رومانى قديم، وبذلك يكون هذا الموضع قد عرف بالرباط حتى قبل بناء رباط الفتح بسنواتٍ طوال.

أما القصر فقد أشار البيذق إلى أن عبد المؤمن شرع فى بنائه ولم يتمه أثناء اقامته فتعهد باتمامه عبد الحق بن ابراهيم بن جامع أحد العرفاء المشهورين وإن كنا

قد ناقشنا هذا الرأى ورجحنا أن بناء القصر قد تم أثناء إقامة عبد المؤمن بن على فى المهدية. ويرى بعض المؤرخين أن هذا القصر هو الذى تعرف بقاياه بدار البركة[١٢٣]، وإن كان بعض الباحثين ينسبون بناء دار البركة إلى أبى يعقوب يوسف استناداً على نص لابن صاحب الصلاة[١٢٤] وسنوضح ذلك بالتفصيل فى الصفحات التالية فى سياق حديثنا عن أهم الآثار الإسلامية الباقية بمدينة رباط الفتح.

وفيما يتعلق بمسجد القصبة فلم تشر المصادر العربية المغربية أنه من بناء عبد المؤمن، وإن كنا نرجح أنه كان قائماً بالقصبة بل أننا نعتقد اعتقاداً راسخاً فى أن مسجداً كان قد أسس فى موضع القصبة منذ أن ابتنى المرابطون الرباط لجهاد برغواطة، وإن هذا المسجد استمر قائماً زمن تاشفين بن على عندما ابتنى القصبة فى هذا الرباط، فقد كانت الأربطة تضم دوما مساجد يؤدى فيها المجاهدون صلواتهم كما سنشرح على الصفحات التالية فى سياق حديثنا عن مفهوم الربط فى الإسلام، ولذلك فانني أرجح أن يكون عبد المؤمن بن على قد أعاد بناء القصبة والمسجد على أنقاض البقايا المرابطية لكليهما[١٢٥].

كذلك ثبت من خلال ما ورد فى المصادر العربية أن الخليفة عبد المؤمن بن على هو أول من أجرى الماء من عين غبولة إلى قصبة المهدية[١٢٦] بل أنه قام بإنشاء جسر يربط بين المهدية وسلا على نهر أبى رقراق ليسهل على الناس المرور فيما بين المدينتين[١٢٧] فبدأت الأرض الفسيحة حول القصبة تكتظ بالسكان وبنيت الدور وانتشرت البساتين.

أما فيما يتعلق بالأسوار والأبواب والمسجد الجامع والمدارس، فاذا كان المقصود بها تلك المنسوبة إلى القصبة فنحن نوافق على هذا الرأى، أما أسوار وأبواب رباط

الفتح ومسجدها الجامع فانه ليس صحيحاً أن ينسب بناؤها إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي، فهذه الأبنية لم يكتمل بناؤها إلا فى عهد حفيده الخليفة أبى يوسف يعقوب المنصور، وكان والده أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي هو الذى شرع فى استكمال ما قام به والده من بناء رباط الفتح فوسعها والحق بها المزيد من المبانى لتصبح على هيئة مدينة أخرى ملحقة بها بعد أن خطط لذلك تخطيطاً دقيقاً ومسبقاً وذلك لولعه بالعمارة والبناء والتشييد فقام بتخطيط منظم لدروب رباط الفتح وتحديد طرقها وشوارعها وأمر ببدء بناء معالمها ليستكمل ما كان والده عبد المؤمن قد شرع فيه ولكن الموت لم يمهله ليكملها فشرع ابنه أبو يوسف يعقوب اتمام بناء أسوارها وبناء مسجدها الجامع بمئذنته الشهيرة المعروفة بمنارة جامع حسان(١٢٨).

وتزودنا المصادر العربية بتفاصيل ضافية عن أهم أعمال الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي فى المهدية أورباط الفتح، فعبد الواحد المراكشى يقول «وكان أبو يعقوب - رحمه الله - هو الذى اختطها (الرباط) ورسم حدودها وابتدأ فى بنيانها ...»(١٢٩).

أما ابن صاحب الصلاة فكان أكثر تفصيلاً فيما أورده عن أعمال أبى يعقوب يوسف فذكر أن «أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين (أبو يعقوب يوسف) هذا هو الذى مصّرها ومهدها وابتدأ فى بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب. فلنرجع الآن إلى ما كان من الأوامر العزيزة بعد الوصول إلى المهدية. ولما كان فى ظهر يوم وصوله أمر بتتميم الصلاة أشعاراً بأن الإقامة أياما. وفى اليوم الثانى من وصوله أمر بتمييز العساكر المؤيدة مرة ثانية من التمييز الأول بحضرة مراكش وحضر على تمييز العرب السيد أبو زكريا وأبو محمد عبد الله المالقى لمعرفته بهم وبأنسابهم وأمانته

وسياسته وزكاته فكمل تمييزهم على أصح عمل، وكذلك تميز الموحدون فصح عددهم. وعند احتلاله بها ألفى الماء الجارى المسرب الذى جلبه أبوه رضى الله عنه فى عام خمسة وأربعين المؤرخ، فسد جريه وأسن ماؤه وتعطل فى البطاح والبحار سقيه، فأمر بإعادته إلى حالته الأولى، وزاد فيه بناء صهريج عظيم متسع يجتمع فيه الماء، ثم يجرى من ذلك الصهريج إلى السقاية المذكورة حيث شرب خيل العساكر ومواشيهم ومواش الناس وشربهم، وكذلك ألفى الجسر الذى كان قد نصبه أبوه رضى الله عنه ما بين سلا وبين المهدية المذكورة على البحر لاجازة الناس عليه قد خرقته البحور، وهدمته الدهور، فأمر بنصب جسر آخر إلى جانبه أعظم منه بناء وأساساً وأعتلاء من الحجر العادى والجيار الثابت لأمواج البحار، فصنع فى أقرب مدة باعظم آلة وعدة ووصله بالقوارب والخشب حتى جاء فى أمن له من الأزمان والحقب...»[١٣٠].

ونستنتج من هذا النص أن الخليفة أبا يعقوب يوسف يرجع إليه الفضل فى :-

١- تخطيط وتمصير المنطقة الجديدة الملحقة بالمهدية، وبضم المنطقة التى شرع عبد المؤمن فى تعميرها والمنطقة التى ستعمر فيما بعد وماحولها على يد أبى يعقوب يوسف وولده المنصور، سيطلق عليهما معاً فيما بعد، وحتى يومنا هذا اسم رباط الفتح أو الرباط.

٢- الشروع فى بناء أسوار المدينة فى جانبيها الغربى والجنوبى.

٣- إعادة مد المياة من عين غبولة بعد أن كانت القنوات التى كان والده عبد المؤمن ابن على قد أمر بمدها، فقد فسد جريها وأسن ماؤها، بل أنه زاد عليها ببنائه صهريجاً كبيراً لتخزين المياه، وارسالها وقت الحاجة إلى السقاية لمد

المواطنين والدواب بالماء الصالح للشرب.

٤- بناء جسر جديد بدلاً من الجسر المتهدم الذى كان والده الخليفة عبد المؤمن ابن علي قد قام ببنائه، وكان هذا الجسر الجديد أعظم بناء وأقوى أساساً إذ بني من الحجر والجيار لمواجهة مياه البحر، وتم توصيله بمجموعة كبيرة من السفن والقوارب والأخشاب، ذكر صاحب الاستبصار الذى شاهد رباط الفتح فى فترة لاحقة أن هذه القوارب والأخشاب كان على هيئة قنطرة مكونة من ٢٣ معدية[١٣١].

وهذا فى حد ذاته ينفى الرأى الذى أورده كل من كاييه Caillé والباحثة جانيت أبو لغد. ويذهب كلاهما إلى القول بأنه بعد وفاة عبد المؤمن بن على الذى شيد القصبة، تعرضت القصبة وما حولها من مبانى مدينة لانتكاسة عمرانية، فخلت من الناس وظلت على هذا الوضع المتدهور إلى أن تولى حفيده أبو يوسف يعقوب المنصور الخلافة، فشرع فى بناء مدينة رباط الفتح، ويتضح مما سبق أن عرضناه أن هذا الرأى مناف للحقيقة والواقع التاريخى إذ أن الفضل الأعظم فى الشروع فى بناء مدينة رباط الفتح ومواصلة القصبة فى أداء دورها الاستراتيجى إنما يرجع إلى عبد المؤمن بن على أولاً ومن بعده ولده أبى يعقوب يوسف والد يعقوب المنصور، وسنوضح على الصفحات التالية، وضع المهدية الاستراتيجي فى زمنة[١٣٢]. ويبدو أن الباحثة جانيت أبو لغد Janet Abulughod اعتمدت فى رأيها هذا على ما أورده كاييه Caillé فى كتابه عن الرباط فى حين أن كاييه Caillé يرجع إلى كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة الذى لم يكن قد نشر بعد وهو المصدر الذى سيشير إلى دور أبى يعقوب يوسف فى الحفاظ على ماقام به أبوه عبد المؤمن بن على من أعمال انشائيه فى موضع

القصبة والمهدية والمدينة من حولهما.

- المركز العسكرى والاستراتيجى للمهدية أورباط الفتح منذ تمصيرها سنة ٥٤٥هـ حتى استكمال بنائها سنة ٥٩٣هـ.

أصبحت المهدية أو رباط الفتح منذ إنشائها هى وسلا مركزاً لتجمع الجيوش الموحدية سواء الموجهة إلى أفريقية لمواجهة عرب الهلالية وبنى غانية والغز أو إلى الأندلس للجهاد ضد الممالك المسيحية. وكانت المنطقة الواقعة شمالاً فيما بين سبتة وسلا تضم عدداً من المراكز المتتابعة المخصصة كأهراء لتخزين المؤن اللازمة لإمداد الجيوش الصادرة أو الواردة. وكان طريق العبور المفضل للجيوش الموحدية إلى الأندلس، قصر مصمودة أو القصر الصغير الواقع على مسافة قريبة إلى الغرب من سبتة وموضع نزولها المفضل فى شبه الجزيرة الإيبرية ثغر طريف أو الجزيرة الخضراء. وفور اتمام بناء مدينة رباط الفتح زمن المنصور سنة ٥٩٣هـ/٥٩٤هـ ستصبح رباط الفتح المنطلق الرئيسى لجيوش الموحدين الموجهة للقتال،[١٣٣] خاصة وأن موقعها كان يمثل نقطة لالتقاء الطرق المتشعبة من فاس ومراكش وكان يتيح الوصول إليها بكل سهولة من الشمال ومن الجنوب كما كانت بحكم هذا الموقع تتحكم فى السهول الغربية وفى سهول تامسنا الخصبة التى كان فى إمكانها أن تزود الجيوش بكل الإمدادات الضرورية[١٣٤].

وتمتلئ المصادر التاريخية بذكر الأمثلة التى تؤكد رفعة وسمو مكانة المهدية العسكرية والاستراتيجية منذ تأسيسها من ذلك ما أشار إليه الكاتب أبو جعفر بن عطية فى رسالة ذكر فيها توجه الخليفة عبد المؤمن بن على إلى رباط الفتح أوالمهدية عقب انتصاراته فى بجاية وبلاد أفريقية الشرقية سنة ٥٤٥هـ بعد بنائها

مباشرة[١٣٥] . كما أرسل الخليفة عبد المؤمن من محل اقامته بالمهدية أو رباط الفتح رسالتين إلى طلبة سبتة وطنجة[١٣٦] ، كما أرسل أبو جعفر بن عطية رسالة من إنشائه عن الخليفة عبد المؤمن بن على من رباط الفتح أو المهدية إلى أهل بجاية يأمرهم فيها باقامة الحدود ومراعاة الشرائع[١٣٧] .

هذا إلى جانب ما أورده ابن عذارى فى حوادث سنة ٥٥٣هـ عندما أشار إلى تجمع جيوش عبد المؤمن بن على من المهدية الموحدية استعداداً للسير إلى بلاد افريقية لمنازلة المهدية العبيدية وفى ذلك يقول «تحرك أبو محمد عبد المؤمن من حضرة مراكش فى أول شوال من هذه السنة المؤرخة إلى رباط الفتح المسمى بالمهدية عدوة سلا، وكان قد استوزر ابن عطية، عبد السلام بن محمد الكومى واستكتب عبد الملك بن عياش القرطبى، فأمر بالكتب إلى قبائل الموحدين بالنفر للجهاد والاستعداد فى الزاد وأمر أهل البلاد البحرية بإنشاء الأساطيل لحمل جميع وأمنيته من ذلك وسالت العساكر تابعة الموحدين وسائر العساكر بالأنعام وأسبل عليهم ملاءات العطاء التام واستخلف مكانه على بسائط العدوة الشيخ المذكور المرحوم أبا حفص عمر بن يحيى يتطلع أمر البلاد الغربية ونظر فى الحركة إلى أفريقية برسم منازلة المهدى فى سنة أربع وخمسين وخمسمائة»[١٣٨] .

ويورد ابن صاحب الصلاة فى اخبار سنة ٥٥٧هـ خبراً يوضح فيه كيف كانت المهدية مركزاً لانطلاق الجيوش الموحدية إلى الأندلس، وإن كان قد ذكر فى هذا النص اسم «رباط الفتح بسلا» بدلاً من اسم المهدية كما سبق أن أوضحنا على الصفحات السابقة وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة مشيراً إلى تحرك عبد المؤمن من مراكش على عادته وطيب نيته للغزو –رضى الله عنه– وجعل الجنة مأواه فى

عام سبعة وخمسين المذكور وعساكره المؤيدة تابعة له فوصله الخبر بغدر غرناطة وهو بوادى كساس على مرحلتين من مدينة رباط الفتح بسلا، فأقلعه ذلك وتأثر لما هنالك، فلما وصل رباط الفتح بسلا المذكورة تقدم إليه السيد أبو سعيد بمن كان معه من أصحابه الخاصين به مسرعاً بالسير ليلاً ونهاراً إلى الأندلس لعله يدخل قصبة غرناطة ويفر ابن همشك عن القصبة الحمراء من المدينة بدخوله، والسيد قد قرر عنده أن ابن همشك إنما هو فى جملته الذميمة المشهورة له، وإذا ابن مردنيش قد وجه لابن همشك المذكور عسكراً ذميماً من النصارى عليهم العلج الذميم الأقرع حفيد البرهانس....»(١٣٩).

ولكن جيوش الموحدين أنهزمت أمام ابراهيم بن همشك وحلفائه من نصارى أسبانيا في موقعة مرج الرقاد. ويذكر ابن صاحب الصلاة أن الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على كان لايزال برباط الفتح بسلى(١٤٠) أو المهدية عندما وصلته أنباء هزيمة الموحدين، فاستنفر المسلمين للجهاد ولمنازلة حلفاء ابن همشك وابن مردنيش من ممالك أسبانيا المسيحية فتجمعت الحشود المقاتلة في المهدية بإعداد كبيرة بلغت عشرين ألفاً من المجاهدين، وانطلقوا منها تحت قيادة ولده الأمير أبى يعقوب يوسف إلى الأندلس لمنازلة ابن همشك وحلفائه من الأسبان تحت قيادة القار روردريجث Alvar Rodriguez أو الأقرع حفيد القار فانيز Alvar Fanez (البرهانس) وفي ذلك يقول «وأنه لما وصل خبر هذه الوقيعة إلى حضرة الأمر الأعز أدامه الله برباط الفتح بسلى، وكانت العساكر المؤدية من الموحدين أعانهم الله والعرب المجلوبين والأجناء المرسومين قد تلاحقت بالمقر الكريم على نيه ما تحركوا إليه من الغزو لأهل الشقاء والروم اختار منهم الأمر الكريم أدامه الله عسكراً ضخماً،

فخماً شهماً من أعيان كل قبيل من أهل الشهامة والنجدة الذين تعودوا دلج الليل وإيطاء القتيل وجمعهم ووعظمهم وعرفهم مالهم فى نصر الحق وقمع الباطل عند الله تعالى من الزلفى والأجر الدائم الكفيل الأوفى واجتمع فى عدد الفرسان والرجال زهاء عشرين ألفاً عاهدوا الله تعالى وبايعوا الخليفة أمير المؤمنين -أدام الله أوامره وحاز مفاخره على مناجزة الأعداء الأشقياء والكفار الأعداء والروم الكافرين وحماية لله تعالى فى الدين وعوناً لاخوانهم الموحدين الصابرين المحصورين بقصبة غرناطة، وأمرّ عليهم أمير المؤمنين رضى الله عنه ابنه الرضى الأمير المرتضى أبا يعقوب يوسف رضى الله عنه وأصحبه الشيخ الفاضل العاقل ابا يعقوب يوسف بن سليمان زعيم الموحدين، وحالصه أمير المؤمنين لتجربته بالحروب ودهيه فى الخطوب ومقارعته قديماً وحديثاً بهم الأبطال المتدرعين بالقلوب تيمناً به بما خص فى هذا الأمر من النصر العجيب، والرأى الناصح المصيب فتحركوا منه من رباط الفتح بسلى نافرين مسارعين بالسير مواصلين إلى أن وصلوا مجاز البحر الزقاق فأجازوا منه إلى الخضراء ونزلوا فيها، ولم تزل العساكر تتلاحق وتتبادر فى الأجازة وتتسابق حتى أكملوا أجازتهم ...»[١٤١].

وورد نفس هذا الخبر فى البيان المغرب لابن عذارى مع استخدام اسم رباط الفتح بدلاً من رباط الفتح بسلى وفى ذلك يقول «ولما وصل خبر هذه الوقعة (المقصود مرج الرقاد) إلي رباط الفتح (المقصود بالمهدية) وكانت العساكر قد تلاحقت بامير المؤمنين على نية ما تحركوا إليه من الغزو لبلاد الأندلس، اختار منهم عسكراً ضخماً من أعيان كل قبيل من أهل الشهامة والنجدة وأمر عليهم ابنه السيد أبا يعقوب فتحركوا من رباط الفتح إلى أن وصلوا بحر الزقاق فجازوا منه إلى الجزيرة الخضراء واستوفت العساكر ...»[١٤٢].

وكذلك ذكر ابن الخطيب هذه الأحداث وإن كان لم يستخدم اسم المهدية أو حتى «رباط الفتح» عند اشارته إلى محل إقامة الخليفة عبد المؤمن ومركز تجمع القوات الموحدية للانطلاق للأندلس ولكنه ذكر أنهم كانوا «بمقربة من سلا» وهو يقصد بذلك مدينة المهدية(١٤٣).

واستمر الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على مقيماً بالمهدية طوال هذا العام ٥٥٧هـ (١١٦١م) حتى وصلته أنباء انتصار الموحدين على ابن مردنيش فانصرف منها إلى عاصمته مراكش(١٤٤).

وقد تأكد هذا الدور الجهادى والعسكرى الهام الذى أضطلعت المهدية بالقيام به فى أواخر عهد الخليفة عبد المؤمن بن على، ففى عام ٥٥٨هـ (١١٦٢م) عزم على الجهاد وذلك قبيل وفاته مباشرة فتوجه من مراكش إلى المهدية التى سماها أيضا ابن صاحب الصلاة فى هذا النص برباط الفتح، وتلاحق به الجند ونزلوا بمحلاتهم خارج سلا بالفحص المتصل بغبولة فضاقت عنهم الأرض فاتصلوا حتى إلى أرض بندغل(١٤٥) وكان عددهم يزيد على مائة ألف فارس ومائة ألف راجل، وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة «خرج أمير المؤمنين رضى الله عنه من مراكش إلى ماذكرته يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الأول بموافقة التاسع عشر من شهر فبراير العجمى من عام ثمانية وخمسين وخمس مائة واتصل سيره وعزمه وأمره العزيز وحكمه على عادته المعلومة الكريمة من المشى الرفيق ومراحله إلى منازله المبنية فى الطريق والرفق المعود منه لكل فريق والعساكر الميمونة المتقدمة معه، قد رأت أن اليمن لها صحبته ومجمعه، فساروا صحبته على الوفور والكمال والظهور والإقبال فى أحسن حال وأتم أمال، حتى وصل رباط الفتح ومناط النجح

بسلى المذكورة فأراح بها منتظراً لاستيفاء المتأخر من العساكر إلى المتقدم ووفاء عدة الفتى المعتذر المتلوم واكتفاء الشيخ الطائع المجاهد المنهزم، فتلاحقوا واستوفوا بجمعهم وتسابقوا مبادرين بحسن الطوع الذى بين ضلوعهم ونزلوا بمحلاتهم خارج سلى بالفحص المتصل بغبولة فضاقت عنهم الأرض فاتصلوا حتى إلى أرض (بندغل) فى عدد أزيد من مائة ألف فارس ومائة ألف راجل قد عم جميعهم الإحسان.....»(١٤٦) . ويذكر ابن صاحب الصلاة أن الخليفة عبد المؤمن بن على التقى وهو برباط الفتح المقصود بها المهدية بأشياخ الموحدين وأشياخ العرب وأشياخ القبائل من الأجناد وكبار الشخصيات الأندلسية ومنهم أبو محمد سيدراى ابن وزير، واجتمع بهم وأشار عليهم بتقسيم الجيش الموحدى إلى أربعة أقسام، كل قسم حدد له وجهة من بلاد الأندلس يتجه للجهاد منها، فكان على قسم منه أن يتوجه إلى قلمرية Coimbra وقسم آخر إلى السبطاط Ciudad Rodrigo De Leon وقسم ثالث إلى طليطلة Toledo والقسم الرابع أو الأخير كان عليه أن يتوجه إلى برشلونه Barcelona. ولكن هذه الحملة لم تنفذ بسبب اشتداد المرض على الخليفة، وهو مرضه الأخير الذى أدى إلى وفاته سنة ٥٥٨هـ(١٤٧) .

وقد أورد ابن أبى زرع نفس الخبر فى أحداث نفس العام ٥٥٨هـ ونقله عنه الناصرى فى كتابه الاستقصا ولكنهما اختلفا فى ذكر بعض التفاصيل عن ابن صاحب الصلاة، فابن أبى زرع يذكر أن عدد المجتمعين من عساكر الموحدين والمرتزقة من قبائل العرب وزناته الذين توافدوا على المهدية (ويسميها رباط الفتح فى حين يسميها الناصرى رباط سلا) بلغ ثلاثة مائة فارس فى حين بلغ عدد جيوش المطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل. كما ذكر كل منهما أن هذه الأعداد الكبيرة من المقاتلين عسكرت فيما بين عين غبولة إلى عين خميس إلى

حلق المعمورة بدلاً من بندغل التى ذكرها ابن صاحب الصلاة[١٤٨] .

وتكاد جميع المصادر تجمع على أن الخليفة عبد المؤمن بن على توفى برباط الفتح (المهدية) من ذلك صاحب الحلل الموشية في قوله «وكانت وفاته برباط الفتح من سلا سنة ٥٥٨ هـ واحتمل إلى تينمال ودفن بجانب قبر المهدى رحمة الله عليهما»[١٤٩] . وابن عذارى الذى حدد صراحة اسم المدينة التى توفى فيها عبد المؤمن بن على، وبيعة ولده أبى يعقوب يوسف فى رباط الفتح على حد تعبيره والمقصود بها المهدية «وكانت بيعتة برباط الفتح حيث توفى والده أبو محمد عبد المؤمن....»[١٥٠] .

أما ابن أبى زرع فيذكر فى روض القرطاس «وقد توفى برباط الفتح ثم حمل إلى تينملل فدفن بها إلى جانب قبر المهدى»[١٥١] .

ويذكر أبو العباس الغبرينى فى عنوان الدراية أن «وفاة عبد المؤمن بن على كانت فى رباط سلا سنة ٥٥٨ وهو فى طريقة مجاهداً»[١٥٢] . وقد أخذ بوجندار بهذا الرأى ففى كتابه الاغتباط يشير إلى أن عبد المؤمن «مرض وتوفى بقصبة الرباط التى كان اتخذها لملكه داراً ولأهله وحشمه...» وقد وصفه بوجندار بأنه رباطى الدار والقرار[١٥٣] .

أما ابن صاحب الصلاة فلم يذكر فى هذا الصدد اسم الموضع الذى توفى فيه عبد المؤمن بل ذكر أنه قد تم حمله «إلى مدينة تينمال ودفن بجانب قبر المهدى رضى الله عنهما وكان الذى احتمله ابنه أبو الحسن على ...»[١٥٤] .

ولم يفصح ابن صاحب الصلاة عن حالة عبد المؤمن أثناء هل كان قد توفى

أم كان لايزال يحتضر. في حين يذكر ابن خلدون أن المنية وافته في مدينة سلا[١٥٥]. وبخلاف ما يذهب إليه كاييه Caillé وجانيت أبو لغد Janet Abu Lughod من أن رباط الفتح والمقصود بها المهدية لم تعد تذكر في المصادر العربية وأن اسمها قد اختفى لمدة تصل إلى عشرين عاماً منذ أن تولى ابو يعقوب يوسف الخلافة سنة ٥٥٨هـ لهدوء الأحوال في الأندلس واستقرار النفوذ الموحدى على بلاد المغرب فعهد أبي يعقوب كان العصر الذهبي للموحدين[١٥٦]، فاننا نجد أن المهدية استمرت تشغل هذه المكانة العسكرية والاستراتيجية العظمى زمن الخليفة أبي يعقوب يوسف بل أنها ازدادت عظمة وأهمية فكان الخليفة أبو يعقوب لايدخلها استعداداً لمعركة ما إلا في موكب رسمي مهيب له طقوس وشعائر معينة وصفتها بعض المصادر العربية وصفاً دقيقاً دلالة على ما أصبحت تشغله المهدية من مكانة ومنزلة لدى خلفاء الموحدين باعتبارها المنطلق الرئيسي للجهاد. ونعلل رأى كاييه Caillé المذكور بما سبق أن أشرنا إليه بأنه عندما دوّن كتابه عن مدينة رباط الفتح لم يكن كتاب ابن صاحب الصلاة ولا الجزء الخاص بالموحدين من البيان المغرب لابن عذارى قد نشرا وحققا، لذلك فقد اعتمد كلية على روض القرطاس لابن أبي زرع. أما جانيت أبو لغد فقد نقلت عن كاييه مباشرة دون الرجوع إلى تلك المصادر.

أما ابن صاحب الصلاة فيصف بدقة دخول الخليفة أبي يعقوب يوسف في رجب من عام ٥٦٦هـ (١١٧٠م) بقوله «وتمادى مشيئه على ترتيبه حتى قرب من المهدية المجاورة لمدينة سلى، فنزل في موضع فسيح من الأرض مع من تقدم ذكره من الوزراء والأشياخ من الموحدين والطلبة الكبراء وأمر باحضار أربع رايات صغار في أربعة رماح صغار وفي أعلى كل رمح تفاحة من ذهب تتلألأ ضياء

وشعاعاً والرايات ملونات بالخلدى الأحمر والأصفر والأبيض وجعل تلك الرايات الأربع فى أركان تابوت المصحف المكرم : المصحف عثمان رضى الله عنه ثم استوى على صهوة فرسه ومشى على الهيئة المتقدمة والعساكر وراءه من الموحدين والعرب قد ملأوا بسيط الأرض واتسعوا فيها بالطول والعرض، فلما قرب من المدينة أمر بتقديم الطبول والرايات الكبار أمامه مع المصحفين المذكورين مع الساقة على خلاف العادة فى المشى تنويهاً وتعظيماً للتبريز والترتيب وهو رضى الله عنه متقدم والأشياخ من الموحدين والوزير والكتاب والطلبة وراءه حتى وصل باب مدينة المهدية فرد وجهه إلى الناس واستقبلهم وهو راكب على فرسة وعالهم، وأمرهم بالنزول فى تلك الأرض العريضة، ودخل إلى داره بالمهدية(١٥٧) المذكورة. وكان هذا التبريز للنظارة من إحدى العجائب، وأفخم الظهور والوفور للعساكر والكتائب وكان دخوله المهدية المذكورة يوم الاثنين الموفى عشرين من رجب الفرد من سنة ست وستين المؤرخة...»(١٥٨).

أما ابن عذارى فقد أسهب بدوره فى وصف موكب أبى يعقوب يوسف فى هذا العام ٥٦٦هـ وجاء فى جملة وصفه له مايلى «وكان خروجه من مراكش يوم الرابع من شهر رجب الفرد من سنة ست وستين على باب دكالة فى أحسن هيئة وتعبئة وقد قدم أمامه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه على جمل مرتفع عليه قبة حمراء لتصونه وهو منظم بالجوهر والياقوت الأحمر والأصفر فسار على أحسن هيئة وتعبئة والعساكر وراءه قد ملأوا الأرض بالطول والعرض حتى وصل رباط الفتح فميز بها العساكر والجيوش فاجتمع فى عسكر الموحدين عشرة آلاف فارس وفى عسكر العرب عشرة آلاف فارس دون المطوعة والناس وكان أكثر الجيش مع السيد الوزير أبى حفص بالأندلس محاصراً ابن مردينش...»(١٥٩).

ثم انتقلت قوات الموحدين تحت قيادة الخليفة أبى يعقوب يوسف من المهدية حتى وصلت قصر مصمودة، ومن هناك جازت إلى جزيرة طريف فى أول شهر رمضان استعداداً للجهاد(١٦٠).

وفى سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م) عقد الخليفة أبى يعقوب يوسف العزم على الخروج إلى إفريقية على رأس حملة لاقرار الأمن فيها، فخرج من مراكش إلى المهدية، فلما وصلت إليه الأنباء بهدوء أفريقية حول وجهته إلى الأندلس، ويشير كل من ابن عذارى وابن أبى زرع إلى ذلك فى أحداث سنة ٥٧٩هـ فابن عذارى يقول «ثم أقلع أمير المؤمنين من هذا المنزل إلى أن وصل إلى رباط الفتح سلا فدخلها يوم الاثنين الثالث عشر من ذى القعدة وكان دخوله فيها من أغرب الهيئات وأتم الآلات ونزل بمدينة المهدية التى تقدم ذكرها، ولما كان يوم الاثنين الموافق عشرين من ذى القعدة وصل أبو محمد بن أبى اسحاق بن جامع من بلاد إفريقية والقيروان بجملة من الفرسان فدخل على أمير المؤمنين وأقام يسأله عن الأحوال ويستفهمه عن أحوال العرب المنافقين الجهال فعرفه أن أفريقية فى نهاية العافية ثم أمر الخليفة بعد ذلك باجماع شيوغ الموحدين وشيوخ العرب والقواد بالحضور فحضر الجميع وخرج إليهم ابنه السيد أبو يوسف المنصور وشيوخ الموحدين وقال لجميع من حضر ان سيدنا أمير المؤمنين يقول لكم أنتم قد وصلتم واجتمعتم وهو يستشيركم فى هذه الحركة أما لأفريقية وأما للأندلس فليتكلم كل واحد منكم بمراده فقالوا بلسان واحد، ليس أملنا إلا فى غزو الكفار بجزيرة الأندلس...»(١٦١).

أما ابن أبى زرع فيشير إلى تلك الأحداث مطلقاً على المهدية اسم «ظاهر

سلا» ويتمثل ذلك فى قوله «جاز أمير المؤمنين يوسف الجواز الثانى برسم الجهاد فخرج من حضرة مراكش فى السبت الخامس والعشرين من شوال سنة تسع وسبعين المذكورة وكان خروجه على باب دكالة برسم خروجه إلى افريقية فلما وصل إلى سلا أتاه عبد الله محمد بن اسحاق من إفريقية يعلمه بهدوئها وسكونها وصرف الحركة إلى الأندلس فتحرك من سلا ضحوة يوم الخميس الموفى ثلاثين لذى القعدة من السنة المذكورة فنزل بظاهر البلد ثم أقام من ظاهر سلا يوم الجمعة فوصل إلى مدينة مكناسة ...»[١٦٢].

وتوفى الخليفة أبو يعقوب يوسف شهيداً سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) أثناء جهاده فى شنترين نتيجة سهم أصابه وهوفى خبائه وأخفى ولده أبو يوسف يعقوب المنصور نبأ وفاته، وانسحب إلى اشبيليه مع جموع الموحدين حيث أقام ثلاثة أيام وأعلن بها خبر استشهاد والده فتلاحقت به حشود غفيرة من الناس وتلقى البيعة بها، ثم صرح المنصور بانقضاء الغزو وأمر بالرحيل إلى المغرب. ويذكر ابن عذارى أن القائد أبا العباس الصقلى تقدم إلى طريف «فى ثلاثة عشرة قطعة وتقدمت قطعتان بالأثقال إلى رباط الفتح بسلا....»[١٦٣] مما يشير إلى بروز رباط الفتح بسلا والمقصود بها بطبيعة الحال المهدية كمركز بحرى قتالى هام إلى جانب كونها مركز ثقل من الناحية العسكرية البرية.

ومن الجدير بالذكر أن كاييه Caillé أثار فى كتابه عن مدينة رباط الفتح قضية وضع هذه المدينة كقاعدة بحرية واستبعد تماماً أن تكون لها من الناحية البحرية نفس المكانة التى أحرزتها من الناحية العسكرية البرية باعتبار أنه كان يصعب على الملاحين مهما كانوا متمرسين، التوغل فى نهر أبى رقراق بدون دليل ماهر لكثرة المخاطر التى تكتنف الملاحة فيه واعتمد فى ذلك أساساً على رأى الأدريسى،

فالأدريسى يذكر عند حديثه عن سلا «وسلا الحديثة على ضفة النهر الملح منيعة من جانب البحر لايقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها من جهته وهى مدينة حصينة ... والمراكب الواردة عليها لاترسى فيها فى شئ من البحر لأن مرساها مكشوف، وإنما ترسى المراكب بها فى الوادى الذى قدمنا ذكره، وتجوز المراكب وفيه أعطاف لايدخلها إلا من يعرفها، وهذا الوادى يدخله المد والجزر فى كل يوم مرتين، وإذا كان المد دخلت المراكب به إلى داخل الوادى، وكذلك تخرج فى وقت خروجها....»(١٦٤).

ورغم ما أورده الأدريسى عن الأخطار التى تتعرض لها المراكب بفم وادى سلا فاننا لانميل إلى الأخذ بروايته كقضية مسلم بها، فالواقع التاريخى يتناقض إلى حد كبير مع ما ذكره، فكون الأمير المرينى يعقوب بن عبد الحق قد استطاع أن يبنى داراً للصناعة بسلا على يد المهندس الأندلسى محمد بن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج الأشبيلى الأصل قبلى المدينة من جهة وادى أبى رقراق(١٦٥)، فان هذا يدل على مقدرة السفن رغم كل الصعاب على الابحار فى النهر، حتى لو افترضنا جدلاً صعوبة توغل السفن فى نهر أبى رقراق إلا فى أوقات المد والجزر وبصحبة دليل فان هذا لايمنع أن تكون المهدية أو رباط الفتح مرسى للسفن وميناء من جهة البحر (المحيط الأطلسى). ويؤكد رأيى هذا النص الذى ذكره ابن عذارى من وصول ثلاث عشر قطعة بحرية إلى المهدية (رباط الفتح).

كذلك أشار ابن الحاج النميرى فى كتابه فيض العباب إلى أن السفن لحقت بالسلطان أبى عنان المرينى من سلا لاخضاع منطقة قسنطينة والزاب وللقضاء على ثورات العرب المقيمين بها وخاصة عرب سليم سنة ٧٥٨ هـ

(١٣٥٧م) وفى ذلك يقول «وقد كان مولانا أيده الله وجه فى العلم الماضى إلى بلاد اسطوله وأقدم عليه من سلا أجفانه التى عرفت عرض البحر وطوله ....»[١٦٦].

ولما وصل الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور إلى قصر مصمودة بعد عبوره من الأندلس أقام به فترة وجيزة ثم انتقل إلى المهدية أو رباط الفتح وهناك تسمى بأمير المؤمنين «وتلقى به هناك أبو عبد الله بن واجاج مع وفود العرب وأهل فاس ومكناسه وعمالهم وأخر ابراهيم بن اسمعيل عن عمل فاس وأمر سائر العمال بالوصول إلى الحضرة ودفن أمير المؤمنين أبو يعقوب بالرباط المذكور بدار الخليفة»[١٦٧].

ومن هذا النص الذى أورده ابن عذارى يتبين مدى أهمية المهدية فمنها تنطلق الجيوش الموحدية للغزو والجهاد وفيها توفى الخليفة عبد المؤمن بن على أثناء اقامته بها سنة ٥٥٨هـ وفيها تلقى ابنه الخليفة أبو يعقوب يوسف البيعية بالخلافة، وفيها أيضا دفن سنة ٥٨٠هـ بعد عودته شهيداً من شنترين فى غرب الأندلس. وقد حذا ابنه المنصور ابو يوسف يعقوب حذو والده فحرص على أن يتلقى بيعه أهل المغرب فيها سنة ٥٨٠هـ مثلما فعل أبوه يوسف من قبل.

وفى سنة ٥٨٢ هـ وصلت أخبار بنى غانية وارهابهم لسكان إفريقية إلى إسماع الخليفة الموحدى المنصور أبى يوسف يعقوب فأدرك خطورة الوضع هناك.

وزاد من اهتمام المنصور بأمرهم، الاستغاثة التى وصلته من أخيه السيد أبو عبد الله الذى كان قد ولاه على أفريقية لشدة ضغوط بنى غانية عليه، وقد أرسل إليه أخوه يحذره من اهتزاز السيادة الموحدية هناك واقترابها من الانهيار، وعندئذ اتخذ المنصور قراراً حاسماً بضرورة التحرك بأقصى سرعة انقاذا للموقف فى إفريقية، فخرج إلى تينملل حيث زار قبر المهدى تيمناً به على عادة الموحدين عند الملمات، ثم عاد

إلى مراكش وجهز جيشاً عدته عشرين ألفاً من الموحدين، وغادرها فى سنة ٥٨٢هـ (١١٨٦م) متوجهاً إلى المهدية (رباط الفتح) دون توقف حيث وافاه هناك ولاة الأندلس والمغرب استعداداً للقتال وفى ذلك يقول ابن عذارى «وتمادى المشى بعد الخروج من الحضرة من غير ترويح إلى رباط الفتح فجدد العزم بها وقدم مايجب من المخاطبات وودع من كان حضر من أهل الأندلس وجهات الحضرة من الولاة....»[١٦٨] وانطلق منها إلى إفريقية.

وكانت المهدية أو رباط الفتح مركزاً للقضاء على الفتن، ومما يؤكد ذلك ما أورده ابن عذارى فى أخبار سنة ٥٨٤هـ عندما أشار إلى أن المنصور أمر بقتل اثنين من المارقين فى المهدية أحدهما أبو حفص الملقب بالرشيد والى مرسيه والآخر أبو الربيع والى تادلا. ويعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله «فلما أوضح ذلك عند المنصور خاطب عثمان بن عبد العزيز الكومى صاحب قصبة رباط الفتح أن يعفى آثارهم ويصيرهم من الهالكين فقد مهما فضرب رقابهماعفا الله عنهما وقتل فى نكبتهما من تحقق اشتراكه فى المعصية ....»[١٦٩].

وفى ١٤ من شهر ذى الحجة من سنة ٥٨٥ هـ خرج الخليفة المنصور من مراكش إلى رباط الفتح (المهدية) برسم الجهاد فى الأندلس وأقام بها نحو أربعين يوماً حتى أكتمل فيها تجمع الحشود والقبائل والجنود[١٧٠].

وظل المنصور مقيماً بالمهدية أو رباط الفتح كما ورد فى نص ابن عذارى أو «رباط الفتح من مدينة سلا» كما ورد فى نص الحميرى حتى أواخر المحرم من ٥٨٦ هـ وعندما تحرك منها إلى قصر مصمودة وجدد منها المخاطبات إلى اشبيلية، ثم وصل إلى قصر المجاز وعبر بقواته إلى طريف ومن هناك تقدم على رأس جيوشه إلى ظاهر أركش[١٧١].

ولم تكن المهدية مركزاً لتجميع القوات الموحدية المتوجهة للغزو أو الجهاد ومنطلقا لها فحسب بل كانت مقراً محبباً للخليفة المنصور، وقد أشار ابن عذارى في البيان إلى أن المنصور كانت قد أصابته وعكة بعد عودته من غزو بلاد غرب الأندلس وجهاده في شلب سنة ٥٨٨هـ وأنه رحل من مراكش إلى مهدية رباط الفتح ومنها إلى مدينة فاس، فلما أبل من وعكته عاد إلى مدينة المهدية الواردة في النص تحت اسم رباط الفتح طلباً للراحة وقضاء فترة النقاهة فسعد بمقامه في هذه المدينة، وعزم على الانتقال الكلى إليه «فأمر بتجديد القصبة المسماة بالمهدية المشبهة بمهدية بنى عبيد بافريقية لاحاطة البحر بها من جميع جهاتها، ولما قامت شخوص مبانيها وصورت هيئاتها رتب[١٧٢] قوانين أشغالها ...» ومن هذا النص يتبين مدى اهتمام المنصور بالمهدية وقصبتها، فرغم مرضه ووعكته إلا أنه انتهز فرصة إقامته بها لتجديد ما قد تهدم من القصبة فصدر أمره باعادة بنائها العام ٥٨٨هـ.

وفي سنة ٥٩٠ هـ ترددت على الخليفة المنصور أنباء متعلقة عن بإفريقية، فقد بلغه استفحال أمر بنى غانية هناك وتفاقم غارات العرب بها واشتداد عيثهم وتوالت عليه كتب واليها الشيخ أبى سعيد بن أبى حفص فاعتزم المنصور السير إليها لاقرار الأمور هناك، فغادر مراكش إلى المهدية (الواردة تحت اسم رباط الفتح) ليعد الجيوش اللازمة لحملته على إفريقية وبعث بكتبه إلى ولاة الأندلس بالحضور لتلقى تعليماته فلما وفدوا عليه بالمهدية أعلموه بأن الهدنة التى كانت قد عقدت مع الفونسو الثامن ملك قشتالة سنة ٥٨٦هـ (١١٩٠م) عقب جوازه السابق إلى الأندلس قد انتهى أجلها، وأن ملك قشتالة أرسل إلى جميع الثغور الإسلامية الواقعة على حدودها ينذرها بذلك. ومضى المنصور في طريقه إلى إفريقية فغادر المهدية إلى مكناسة في طريقة إلى إفريقية، ولكن توالت عليه كتب أهل الأندلس وقادتها باشتداد وطأة ملك قشتالة على أراضى الإسلام في الأندلس، فعدل المنصور عن خط سيره وأمر جيوشه بالتوجه إلى الأندلس[١٧٣] حيث تم اشتباك قوات المنصور مع قوات الفونسو الثامن ملك قشتالة في موقعة الأرك سنة ٥٩١هـ، وفيها أحرز المسلمون انتصاراً ساحقاً

على قوات النصارى وحقق الموحدون بذلك أعظم انتصار لهم(١٧٤).

ويؤكد ابن عذارى أن المنصور أمر عقب انتصاره فى الأرك بحمل جماعة من الرهائن من أسرى جيوش النصارى، إلى المهدية الواردة فى النص تحت اسم رباط الفتح حرصاً منه على استنقاذ أسرى المسلمين(١٧٥) مما يدلل على أهمية المهدية كمركز ثقل عسكرى موحدى.

ب- رباط الفتح منذ اتمام إنشائها زمن المنصور سنة ٥٩٣هـ وحتى نهاية عصر محمد الناصر الموحدى سنة ٦١٠هـ

تجمع المصادر العربية على أن الخليفة يعقوب المنصور هو الذى شرع فى سنة ٥٩٣هـ فى استكمال بنيان مدينة رباط الفتح التى كان والده أبو يعقوب يوسف قد اختطها ورسم حدودها وطرقها، وابتدأ فى بنيانها وتشييد أسوارها ولكن الموت حال دون اتمامها كما سبق أن ذكرنا(١٧٦). ويؤكد عبد الواحد المراكشى على ذلك بقوله «ثم شرع (أبو يوسف يعقوب) فى بنيان المدينة العظمى (وهى مدينة رباط الفتح) التى على ساحل البحر والنهر فى العدوة والتى تلى مراكش، وكان أبو يعقوب يوسف رحمه الله هو الذى اختطها ورسم حدودها وابتدأ فى بنيانها، فعاقه الموت المحتوم عن اتمامها، فشرع أبو يوسف كما ذكرنا فى بنيانها إلى أن أتم سورها، وبنى فيها مسجداً عظيماً كبير المساحة واسع الفناء جداً لا أعلم فى مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له مأذنه فى نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية يصعد فيه بغير درج، تصعد الدواب بالطين والآجر والجص وجميع ما يحتاج إلى أعلاها. ولم يتم هذا المسجد إلى اليوم لأن العمل ارتفع عنه بموت أبى يوسف، ولم يعمل فيه محمد ولد يوسف شيئاً. وأما المدينة فتمت فى حياة أبى يوسف وكملت أسوارها وأبوابها وعمر كثير منها. وهى مدينة كبيرة جداً تجئ فى طولها نحواً من فرسخ وهى قليلة العرض ...»(١٧٧). وكان ابن صاحب الصلاة قد أكد ذلك فى كتاب المن بالإمامة(١٧٨).

ويذكر ابن أبى زرع فى روض القرطاس أن المنصور «أمر ببناء قصبة مراكش وبالجامع المكرم الذى بازائها وصومعته وببنيان منار جامع الكتبيين وبناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا وببناء جامع حسان...»[179].

ويشير إلى ذلك فى موضع آخر من كتابه وفى حوادث عام ٥٩٣ هـ فيقول «بنى رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه وفيها بنى جامع حسان ومناره لم يتم وفيها بنى منار جامع أشبيليه ومنار جامع الكتبيين من مراكش[180]. أما ابن خلكان فيذكر فى كتابه وفيات الأعيان أن المنصور انتقل فى عام ٥٩٣هـ إلى مدينة سلا «وشاهد ما فيها من المتنزهات المعدة له، وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة، مدينة عظيمة سماها «رباط الفتح» على هيئة الاسكندرية فى إتساع الشوارع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحسينه وتحصينه وبناها على البحر المحيط الذى هناك وهى على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلى....»[181].

وقد أخذ الناصرى برواية ابن خلكان هذه وأوردها فى أحد مواضع كتابه الاستقصا[182] كما ذكر فى موضع آخر من نفس الكتاب أن يعقوب المنصور كان «قد عزم المسير إلى الأندلس بقصد الجهاد، وأوصى إلى نوابه ووكلائه ببناء قصبة مراكش والاعتناء بتشييد قصورها وأمر أيضاً ببناء مدينة رباط الفتح فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأكمل سورها وركبت أبوابها وأمر ببناء المسجد الأعظم بطالعة سلا ومدرسة الجوفية منه ...*».

وكان صاحب الاستبصار قد زار مدينة رباط الفتح بعد اتمام بنائها فى فترة متأخرة فوصفها فى كتابه بقوله «وأمر الخليفة أبو يعقوب (والد المنصور) رضه ببناء جامع وقصور وصهاريج الماء أمام الجامع وهو مجلوب من نحو ٢٠ ميلاً. وفى هذه المدينة المحدث قيسارية عظيمة وحمامات وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها إذ أن وضعها على المجاز والمعبر إلى حضرة مراكش كلأها الله.

وعلى هذا المعبر قنطرة مركبة على ٢٣ معدية، مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذى لايؤثر فيه الحاضر، تجوز عليها العساكر والمسافرون، وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل. ويمد البحر فترتفع القنطرة ويتغطى الجسر، فتقوم عليه المراكب وترسو دونه الأجفان الكبار وقل ما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة المدخل وهو مشهور عند أهل صنعة البحر ...»(١٨٣).

وأورد الحسن الوزان (المعروف بليون الإفريقى) فى معرض حديثه عن رباط الفتح بعض التفصيلات التى لم ترد فى المصادر الأخرى، كما ذكر السبب الذى دفع المنصور إلى استكمال بنائها، وفيمايلى وصفه لمدينة رباط الفتح «الرباط مدينة كبيرة اسسها فى الأزمنة الحديثة المنصور ملك مراكش وخليفتها ويمر على طولها من جهة الشرق نهر أبى رقراق حيث يصب فى البحر. وقد بنيت قصبة المدينة عند مصبه، فهى على النهر من جهة وعلى البحر من جهة أخرى. تشبه هذه المدينة مراكش فى أسوارها وأبنيتها، لأنها بنيت من قبل المنصور لنفس الغرض، إلا أنها أصغر بكثير من مراكش إذا ما قورنت بها. وإليكم سبب تأسيس الرباط : لقد كان المنصور آنذاك يحكم كل إقليم غرناطة وقسماً من أسبانيا، ونظراً لبعد هذه البلاد من مراكش خطر ببال الملك أنه لن يتمكن من نجدتها بسهولة إذا هاجمها النصارى لذلك رأى أن يبنى مدينة على شاطئ البحر بالذات حيث يمكنه المقام مع جنوده طوال الصيف. وأشار عليه بعضهم بالإقامة فى سبتة وهى مدينة واقعة فى مضيق جبل طارق، ولكن الملك لاحظ أنها ليست بالمدينة التى تستطيع أن تكفى لتخييم جيشه مدة ثلاثة شهور أو أربعة بسبب عقم الأرض فى هذه المنطقة، كما أنه فكر فى أن سكان سبتة قد ينزعجون كثيراً من إقامة الجنود ورجال الحاشية بين أظهرهم فبنى مدينة الرباط فى بضعة أشهر...»(١٨٤). ثم يذكر أنه زودها بالمساجد والمدارس وكل أنواع القصور والدور والدكاكين والحمامات ومخازن الأدوية(١٨٥). ويتبين لنا من خلال ما وصلنا حول رباط الفتح فى المصادر العربية السابقة أنها بدأت مدينة كبيرة، واسعة، مليئة بمظاهر العمران الراقية من قصور ومساجد ودور وقيسارية وحمامات وأنها بذلك قد بدأت مدينة كبيرة كاملة العمران، مجهزة بكل أنواع

العمائر بخلاف المدن الآخرى، فالمدن عادة تبدأ صغيرة وتزدهر بمرور الأيام، ولكننا نلاحظ بالنسبة لمدينة رباط الفتح أنها بدأت من الأصل مدينة عظيمة، فى زمن المنصور، فى حين أعقب عصره تدهور فى معالمها حتى أن ليون الإفريقى يشير فى أحد مواضع كتابه أن الرباط على أيامه كانت فى أسوأ حال(١٨٦).

ويعلل ليون الإفريقى أسباب ازدهار مدينة رباط الفتح فى عهد المنصور على هذا النحو بقوله «أراد الملك (المنصور) أن يستوطن المدينة (رباط الفتح) عدد كثير من الصناع والعلماء والتجار، فأمر أن يمنح كل ساكن فيها تعويضاً علاوة على ما تدر عليه مهنته من ربح. وكان لذلك أعظم الأثر فى جذب أناس كثيرين من شتى الأجناس ومختلف المهن إليها، بحيث أصبحت الرباط بعد قليل من أشرف المدن وأغناها فى أفريقيا كلها، إذ كان لسكانها دخل مزدوج التعويض المقرر وما يربحونه فى معاملاتهم مع العسكريين ورجال الحاشية الملكية...»(١٨٧).

ويورد سبباً آخر من أسباب أزدهار المدينة وهو أن المنصور الموحدى كان يقيم بها «من بداية شهر أبريل إلى شهر شتنبر. ولما كانت الرباط مشيدة فى مكان يفتقر للماء الجيد لأن ماء البحر يدخل إلى النهر، ويحمله المد إلى مسافة أثنى عشر ميلاً منه، ولأن مياه الآبار مالحة، جلب المنصور الماء من عين تبعد عن المدينة بنحو اثنى عشر ميلاً بواسطة قناة محكمة البناء على أقواس شبيهة بتلك التى ترى فى ايطاليا كلها لاسيما قرب روما وتنقسم هذه القناة إلى فروع عديدة يحمل بعضها الماء إلى المساجد وبعضها الآخر إلى المدارس والقصور الملكية والسقايات العمومية المقامة فى جميع الأحياء ...»(١٨٨).

ونستنتج مما أوردناه من نصوص أن المدينة التى تحمل اسم رباط الفتح تم استكمال بنائها سنة ٥٩٣هـ على يد المنصور. ويذكر بعض الباحثين أنه قرر استكمال بنائها تخليداً لانتصاره فى موقعة الأرك(١٨٩)، وأن الخليفة أبا يعقوب يوسف كان أول من فكر فى تمصيرها وبناء أسوارها وتخطيط شوارعها ووصلها

بمدينة المهدية التى كان قد بناها عبد المؤمن بن على، ولكن القدر لم يمهله فتوفى، وأخذ ولده يعقوب المنصور على عاتقه مهمة استكمال بنائها[190]، كما نذكر من جديد أن أسوار رباط الفتح ومسجدها الجامع ومدارسها وقصورها شُرِع فى بناء بعضها فى عهد أبى يعقوب يوسف، واستكمل بناءها من بعده ولده المنصور لتصبح مدينة رباط الفتح فى عهد المنصور مدينة من مدن المغرب الكبرى ومقراً له عند الخروج للغزو أو الجهاد.

ونتساءل عن الصورة التى أرادها الخليفة المنصور لمدينة رباط الفتح، هل أرادها مدينة عسكرية محاطة بالأسوار المنيعة المزودة بالأبواب الضخمة حماية لعساكره المجاهدين، أم كان يرغب فى جعلها مدينة عامرة لمختلف طبقات الأهالى تضاهى كبريات المدن الإسلامية فى ذلك الوقت، وتزخر بشتى أنواع العمائر المدنية. ويرى كاييه أن المنصور كان من طراز الحكام العظام المؤسسين وأنه كان يسعى إلى تخليد ذكراه ببناء مدينة عظيمة ذات سمات عمرانية بارزة وفى تصورى أنه كان يستهدف بناء مدينة عظمى تنافس أعظم مدن العالم واتفق فى ذلك مع كاييه، واستبعد أن تكون رباط الفتح مجرد مدينة بنيت لغرض عسكرى[191] فلو أن المدينة بنيت لتكون قاعدة عسكرية فحسب لما أزدهرت فى خلال سنوات قليلة لتصبح مركزاً عمرانياً بارزاً واقتصادياً من حيث الزراعة والتجارة كما أوضح كل من صاحب الاستبصار وليون الإفريقى، وكما ورد مثلما سنذكر فى الصفحات التالية فى عهد الخليفة الرشيد الموحدى. ولكننا نضيف على رأى كاييه أن المدينة عندما شرع المنصور فى استكمالها كانت بالفعل تتسم بسمات عسكرية إذا كانت تشتمل على القصبة التى أعاد بناءها عبد المؤمن بن على ثم أضيفت إليها سمات أخرى ذات طابع مدنى عندما خططها أبو يعقوب يوسف واستكمل المنصور بناءها لتصبح مدينة لها صفتين، الصفة العسكرية التى ظلت تحتفظ بها والصفة المدنية التى اكتسبتها بأعمال المنصور الإنشائية ويذكر الناصرى فى مخطوطه بالخزانة الصبيحية أن الخليفة

المنصور كان يرغب في اتخاذ سبتة مقراً له، ولكن لم يتوفر بها محل لاقامة كل الجيوش وعدم إمكانية تزويدها بالأقوات والمؤن، ولكننا لا نأخذ بهذا الرأى إذ أن بناء مدينة رباط الفتح قد بدأ فى عهد والده إلى يعقوب يوسف كما نصت على ذلك النصوص التى وردت فى المصادر المختلفة(١٩٢).

ويذكر أحد الباحثين الحديثين أنه كانت تزود رباط الفتح بالمياه عين أخرى هى عين عتيق تقع جنوب غربى الرباط وهى غير عين غبولة فاذا صدق هذا القول يصبح للرباط عينان تزودانها بالمياه(١٩٣).

ويؤكد ليون الإفريقى أن التدهور الذى تعرضت له مدينة رباط الفتح إنما حدث عقب وفاة الخليفة المنصور مباشرة وفى ذلك يقول «وبعد وفاة المنصور أخذت هذه المدينة فى التدهور حتى أنه لم يبق منها سوى العشر فالقناة البديعة قطعت ودمرت أثناء الحروب التى خاضها الملوك المرينيون ضد أسرة المنصور. والرباط اليوم فى أسوأ حال لم يصل إليها قط»(١٩٤).

ولكننى أعتقد أن التدهور لم يحل برباط الفتح عقب وفاة المنصور مباشرة وإنما استمرت المدينة تنعم بنفس الأزدهار الذى كانت عليه اقتصادياً وعكسرياً فترة من الزمن، فحتى زمن الخليفة الرشيد، كانت رباط الفتح مدينة عظيمة ونتبين ذلك من خلال ماورد فى ظهير الخليفة الرشيد الذى أصدره ووهب فيه المدينة للمهاجرين الأندلسيين بعد سقوط مدنهم فى شرق الأندلس، فى أيدى الأرجونيين، من أوصاف رائعة للمدينة كما سنوضح على الصفحات التالية.

ونرجح أن رباط الفتح بدأت فى التدهور بعد عصر الرشيد، لاسيما فى عهد الخليفة السعيد، عندما بدأت تفقد الكثير من مظاهر عظمتها التى كانت تنعم بها وتؤكد المصادر العربية أن الرباط ظلت مركزاً لتجميع الجيوش الموحدية المنطلقة للغزو أو الجهاد طوال عصر الخليفة الناصر كما سنوضح فى السطور التالية، أما بعد وفاة الناصر الذى لقيت قواته هزيمة ساحقة فى الأندلس فى موقعة العقاب سنة

٦٠٩هـ، فقد بدأت الأمبراطورية الموحدية كلها فى الأنهيار شيئاً فشيئاً، وعجلت الخلافات التى نشبت فى البيت الحاكم بانهيار الكيان الموحدى كله، واستنفذ ذلك كل مقومات الدولة مما أطمع فيها بنى مرين[١٩٥]، فبدأوا يكيلون لها الضربات مما أسفر فى النهاية عن أنهيار الأمبراطورية الموحدية فى الوقت الذى اعتصم فيه الولاة الذين لم يعد لهم نفوذ على البوادى كما اشتعلت الثورات فى كثير من الجهات، واختل ميزان الأمن فى الطرق والمسالك، وظهرت المناكر بينما امتنع عامة الشعب عن أداء الضرائب وتزامن كل ذلك مع بروز الغلاء ما أعقبه من مجاعات اجتاحت المغرب والأندلس سنوات طويلة.[١٩٦] وكان من الطبيعى أن تنعكس هذه الظروف على مدينة رباط الفتح التى بدأت تفقد منذ أواخر العصر الموحدى مكان الصدارة التى كانت تتبوأه فى بدايته، إلى حد أن بعض المؤرخين يضعون مدينة رباط الفتح فى المركز التاسع بين مدن المغرب زمن المرينيين[١٩٧]. وكانت رباط الفتح ما تزال تحتفظ بمكانتها السامية بين مدن المغرب طوال عصر الخليفة الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ) كمركز عسكرى واستراتيجى هام وقاعدة لتجمع الجيوش الموحدية وأنطلاقها للقتال إما فى إفريقية أو الأندلس. ومن الأدلة التى نستند عليها فى ذلك ماحدث فى عام ٦٠١هـ، عندما خرج الناصر من مراكش إلى رباط الفتح متوجهاً إلى بلاد إفريقية وما والاها من بلاد الجريد بعد تملك ابن غانية لحصونها وانظارها وتغلبه على أقطارها ومحاصرته مدينة تونس. وفى ذلك يقول ابن عذارى «كان خروجه من مراكش على الهيئة المذكورة فى العشر الوسط من جمادى الآخرة فعند وصوله إلى رباط الفتح اتصل به ما كان باشبيلية من فتور الأحكام وتبسط حواشى السيد أبى أسحاق بالمظالم واغضائة لهم وتغافله عنهم ومشى ذلك على ألسنة الخواص والعوام فنفذ الأمر بتأخير السيد المذكور عن أشبيلية وتقديم السيد أبى موسى ابن الخليفة، ورحل الناصر من رباط الفتح وتمادى المشى والبشائر تتوالى وتطرد ...»[١٩٨] وفى سنة ٦٠٤ هـ خرج الخليفة الناصر إلى فاس

ثم رحل منها إلى مكناسة حيث أصيب بمرض شديد أرغمه على البقاء بمكناسة إلى أن برأ منه، وعندئذ قرر الرجوع إلى مراكش مروراً برباط الفتح.(١٩٩)

ويذكر ابن عذارى أنه فى سنة ٦٠٧هـ قرر الخليفة الناصر العبور إلى الأندلس للجهاد، فخرج من مراكش يوم السبت الموفى عشرين من شهر شعبان المكرم «وتمادى مشيه إلى رباط الفتح فى كنف السلامة والنجح متلوم بها ريثما أكمل مهمات الأشغال، وأجرى أموره على أصلح الأحوال، ونفذ ما يجب تنفيذه من شغل البرين على ما رآه واختاره من الاستيفاء والكمال وانصرف شهر آذار وقرب ينسان وطاب الزمان، وحسن الترحال والنزول بكل مكان، تحرك من رباط الفتح يوم الاثنين الثامن عشر من شوال ونفذ من المنزل المعروف بمرج الحمام المخاطبات إلى الأندلس بتحريض المسلمين على الجهاد...»(٢٠٠).

ويذكر ابن الخطيب فى رقم الحلل أن الخليفة الناصر الموحدى توفى برباط الفتح سنة ٦١٠ هـ، ولكنه توفى فى رباط الفتح قبيل اتمام غزوته(٢٠١). وقد أخذ الناصرى السلاوى بهذه الرواية وأوردها فى كتابه الاستقصا(٢٠٢).

(٢)

رباط الفتح منذ عهد الخليفة المستنصر الموحدى حتى نهاية عهد الخليفة الرشيد (٦١٠ - ٦٤٠هـ)

اعتلى عرش الخلافة الموحدية بعد وفاة الخليفة محمد الناصر سنة ٦١٠ هـ، ولده أبو يعقوب يوسف الذى تلقب بالمستنصر بالله (٦١٠ - ٦٢٠هـ). وتمثل فترة حكمه بداية الانحلال المتواصل الذى أخذت تتعرض له دولة الموحدين نتيجة للصراعات الداخلية حول العرش وانقسام أسرة بنى عبد المؤمن إلى أحزاب وشيع متخاصمة.

ومن الجدير بالملاحظة أن المصادر العربية تصمت عن الاشارة إلى مدينة رباط الفتح فى الفترة الواقعة مابين اعتلاء المستنصر بالله عرش الدولة الموحدية وحتى بداية عهد الخليفة الرشيد سنة ٦٣٠ هـ مما يجعلنا نرجح أن الاضطراب الكبير الذى شمل جميع أنحاء الدولة، انعكس بدوره على مدينة رباط الفتح، ففى هذه الفترة وقعت أحداث جسام فى مختلف انحاء الدولة الموحدية بدأت تفت فى عضدها وتقوض من دعمائها. فالمستنصر الذى تولى الخلافة عقب وفاة والده الناصر، كان معروفاً بميله إلى حياة اللهو مماتقتضيه نوازع الشباب الأمر الذى شجع على اندلاع ثورة سنة ٦١٢هـ فى بلاد جزوله من اقليم السوس قام بها ثائر زعم أنه فاطمى عبيدى من نسل عبيد الله المهدى والخليفة العاضد لدين الله آخر خلفاء الفاطميين فى مصر. وقد انتهى أمر هذا الثائر بالقبض عليه فى أحواز فاس حيث أودع فى المطبق إلى أن أمر المستنصر بقتله وصلبه[٢٠٣] . وفى عهد المستنصر أيضاً بدأت طلائع بنى مرين[٢٠٤] تظهر فى أحواز مدينة فاس وكانوا قبل ذلك يسكنون القفار ولكن حالة الضعف التى آلت إليها الدولة الموحدية زمن الخليفة المستنصر شجعتهم على التسلل إلى نواحى المغرب المجاورة واكتساح البسائط بخيولهم وملأ ايديهم بالغنائم، فأمر المستنصر بتجهيز الجيوش لقتالهم وآمر السيد أبا ابراهيم والى فاس

بمواجهتهم، واشتبك الفريقان في قتال عنيف دار بوادى نكور. وفي هذه الوقعة دارت الدائرة على الموحدين، واستولى بنو مرين على اسلابهم ودوابهم ومتاعهم وثيابهم واسروا السيد ابا ابراهيم ثم اطلقوا سراحه بعد ذلك، وارتدت فلول الموحدين إلى فاس وبعضهم إلى رباط تازة وكثير منهم ستروا أنفسهم بأوراق النبات المعروف بالمشعلة ولهذا عرفت الموقعة بالمشعلة كما عرفت السنة نفسها ٦١٣ هـ بسنة المشعلة(٢٠٥). وطلب أبو محمد عبد الحق من عامل رباط تازة الموحدى أن يقيم لبني مرين في خارجها سوقاً يتزودون فيها بما يريدون، فرفض واعتبر ذلك امتهاناً لكرامته. وانتهى الامر باشتباك عسكرى بين الجانبين المريني والموحدى، ودارت معركة عنيفة انهزم فيها الموحدون. كان ذلك ثاني انتصار يحرزه بنو مرين زمن المستنصر خلال عدة أشهر(٢٠٦). وفي سنة ٦١٦هـ أصاب جميع بلاد المغرب مجاعة شديدة ترتب عليها ارتفاع الاسعار بكل المدن المغربية بما فيها رباط الفتح، وحاول المستنصر أن يخفف عن الاهالي بأن فتح للعامة الأهراء والمخازن ورغم ذلك فقد استمرت المجاعة حتى سنة ٦١٧هـ إلى أن فرّج الله كربة الأهالي في نهايتها(٢٠٧).

وفي عهد المستنصر سقطت مدينة قصر أبي دانس سنة ٦١٤هـ في ايدى البرتغاليين وحلفائهم من الصليبيين، وأثر ذلك على هيبة دولة الموحدين، وساعد على اجتراء القبائل الأخرى عليها(٢٠٨).

واستمرت الاضطرابات تضرب بأطنابها في جميع أنحاء المغرب والأندلس بعد وفاة المستنصر بالله في سنة ٦٢٠هـ فقد أضيف إلى الأخطار الخارجية التي هزت كيان الدولة أخطار داخلية تتمثل في المصادمات المحتومة بين أفراد الأسرة الحاكمة نفسها، فقد اجتمع أشياخ الموحدين عقب وفاة المستنصر بالله الذى مات شاباً دون عقب لاختيار خليفة له، واتفق الجميع على مبايعة السيد أبي محمد عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن، وكان شيخاً تجاوز الستين من العمر يعيش مغموراً في هدوء ودعة(٢٠٩). ولم يلبث أن ثار عليه ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب

المنصور الذى كان والياً على مرسيه فدعا لنفسه بالخلافة وتلقب بالعادل سنة ٦٢١هـ وحصل على تأييد سائر قواعد الأندلس باستثناء بلنسية وشاطبة ودانية. وانتهت خلافة عبد الواحد بنهاية مأساوية اذ دخل عليه جماعة من الموحدين وقتلوه خنقاً ونهبوا قصره وسبوا حريمه، وكانت لتلك الحادثة أصداء بعيدة المدى هزت كيان دولة الموحدين بعنف فقد كان عبد الواحد الذى لقب بالمخلوع أول من خلع وقتل من بنى عبد المؤمن وكان هذا دلالة على ما وصلت إليه أمور الخلافة من وهن وانتقاص فى الهيبة(٢١٠).

ولم يضع مصرع عبد الواحد المخلوع سنة ٦٢١هـ حداً للخلافات الداخلية بل كانت تلك الحادثة بداية لمزيد من الاضطرابات التى عصفت بكيان الدولة الموحدية وأسفرت عن سقوطها فى النهاية، فبعد أن بويع العادل بالخلافة فى أعقاب مصرع عبد الواحد قام سنة ٦٢٣هـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب جيان بخلع طاعة العادل ودعا لنفسه وتلقب بالظافر واطاعته جيان وابدة وقيجاطة وبياسة وقد امتنع الظافر فى بياسة فعرف منذ ذلك الحين بالبياسى، وقد استعان البياسى فى ثورته على العادل بفرناندو الثالث ملك قشتالة(٢١١) مما يوضح مدى الضعف والانهيار السياسى الذى وصلت إليه الدولة الموحدية. واستطاع البياسى بمعاونة القشتاليين من الاستيلاء على معظم البلاد والحصون الواقعة شرقاً بين اشبيلية وقرطبة كما تمكن من ايقاع الهزيمة بجيوش الموحدين الموالية للعادل. وانتهت ثورة البياسى عندما ثار عليه أهالى قرطبة خوفاً من أن يسلم مدينتهم لفرناندو الثالث، فطاردوه حتى حصن المدور وقتلوه فى حين سيطر ملك قشتالة على بياسة باعتبار أنها من أملاك تابعه(٢١٢).

وفى هذه الأثناء ازداد شأن بنى مرين فى المغرب وانتهزوا فرصة ضعف العادل الموحدى فتغلبوا على كثير من نواحى المغرب وفرضوا الضرائب عليها كما فرضوا الاتاوات على بعض المدن القريبة من منازلهم مثل فاس وتازى ومكناسة، كما توحد

عرب الخلط وشيخهم هلال بن مقدم، وهسكورة وشيخها عمر بن وقاريط سنة ٦٢٣هـ في نواحي مراكش وخربوا بلاد دكالة، فاضطر العادل إلى تجهيز جيش موحدى فشل فى مواجهتهم[٢١٣].

وازدادت الأمور تعقداً عندما ثار أبو العلا والى أشبيلية وقرطبة على أخيه الخليفة العادل، وتلقب بالمأمون، ثم ثار أشياخ الموحدين على العادل وقتلوه وأرسلوا البيعة لأخيه المأمون، وخطب له بالفعل على منبر جامع المنصور ثم نكثوا البيعة له وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر.

فلما بلغ المأمون ذلك بادر بالعبور إلى المغرب سنة ٦٢٦هـ ثم التقى بابن أخيه يحيى وهزمه، ففر يحيى إلى جبل هنتاتة ودخل المأمون مراكش واستقر فى دست الخلافة، وبدأ المأمون عهده بأن قتل أشياخ الموحدين الذى سبق أن بايعوا لابن أخيه يحيى بن الناصر. وفى سنة ٦٢٧هـ كرر يحيى بن الناصر محاولة الهجوم على المأمون فى حاضرته والتقى الفريقان فى فحص واو نزرت فانهزم يحى للمرة الثانية وفر إلى درعة وسجماسة.

وفى عهد المأمون انفصلت افريقية تحت سلطان بنى حفص كما ثار على المأمون أخوه أبو موسى بن يعقوب المنصور والى سبتة، وعندما توجه المأمون لقتاله انتهز يحيى بن الناصر هذه الفرصة واستولى على مراكش فلما علم المأمون بالخبر قرر العودة لاستنقاذ مراكش، ولكنه توفى قبل وصوله اليها، فكتمت زوجته حبابة الرومية أم ولده الأكبر الرشيد الخبر، وتمكن الرشيد من التغلب على يحيى المعتصم ودخل مراكش سنة ٦٣٠هـ.[٢١٤]

ويتبين مما سبق أن ذكرناه مدى الضعف الذى أصاب الدولة الموحدية التى مزقتها الفتن والخلافات الضارية التى نشبت بين أبناء الأسرة الحاكمة مما شجع القبائل النازعة إلى الاستقلال عن الدولة الموحدية مثل قبائل بين مرين وبنى حفص، كما زاد من حالة التردى هذه ماقام به المأمون من محاولة تجديد الدولة

الموحدية ورسومها وتعاليمها فأصدر مرسوماً إلى سائر البلاد بازالة اسم المهدى، ويمثل هذا التصرف انقلاباً ثورياً خطيراً فى أصول العقيدة الموحدية أصاب الدولة الموحدية فى الصميم[٢١٥]، وكان من الطبيعى أن تنعكس هذه الاضطرابات والأحداث على مدينة رباط الفتح شأنها فى ذلك شأن باقى المدن المغربية وخير مثال على مدى الضعف الذى أصاب الموحدين، ماحدث فى عصر الرشيد بن المأمون (٦٣٠ - ٦٤٠هـ) عندما تفاقمت حركة عمر بن وقاريط زعيم هسكورة حتى باتت تهدد مدينة رباط الفتح نفسها. ففى سنة ٦٣٠هـ قدم عمر بن وقاريط زعيم هسكورة من جبله إلى مراكش وبصحبته أولاد الخليفة المأمون أخوة الرشيد الصغار الذين كانوا قد لجأوا إلى ابن وقاريط عندما احتل يحيى المعتصم ابن الخليفة الناصر مراكش كما سبق أن أشرنا. وكان ابن وقاريط منذ البداية من أنصار الخليفة المأمون، ومن أشد خصوم ابن أخيه يحيى، ولكنه لم يلبث أن شعر بشىء من التوجس عندما تولى الرشيد الخلافة، وبدأ يسعى لكسب ود الخليفة الجديد، فقدم بنفسه إلى مراكش مصطحباً معه اخوة الرشيد الصغار، وأثناء استقراره بمراكش، نزع ابن وقاريط إلى توطيد اواصر الصادقة بينه وبين السيد أبى محمد بن أبى سعد عم الخليفة الرشيد، وصديقه العلامة الفقيه ابى اسحاق بن الحجر. ولكن بعد وفاة صديقة السيد أبى محمد بن أبى سعد، بدأ ابن وقاريط يكثرمن مطالبه التى كان الخليفة الرشيد يجيبها فى كثير من الأحيان، من ذلك أنه منحه جباية هرزجة وأغمات وريكة. وفى سنة ٦٣٠هـ غادر ابن وقاريط مراكش فى الظاهر بحجة الاتصال باخوانه، ولكنه كان ينوى الانتزاء، ولم يلبث أن شق عصا الطاعة على الرشيد[٢١٦] وأعلن انضمامه إلى جانب يحيى المعتصم وسار إليه حيث كان يقيم فى بلاد مزالة وأعلن تحالفه معه ضد الرشيد الذى ما أن علم بأمر هذا التحالف حتى حشد جيوشه وترك مراكش بعد أن استخلف عليها صهره، زوج أخته السيد أبا العلى ادريس، وخرج لقتالهما وفى نفس الوقت اجتمعت حشود هسكورة ومزالة وجلاوة بزعامة ابن وقاريط وحليفه يحيى المعتصم وزحفت هذه الحشود تجاه مراكش، وعندما بلغ ذلك السيدة حبابة أم الرشيد، لم تتردد فى مكاتبة ولدها

تستغيث به، فحول الرشيد وجهته إلى بلاد هزرجة واخترق فى طريقه بلاد هسكورة مخرباً بسائطها ثم اشتبك بقوات يحيى وحليفه ابن وقاريط، فتغلبت قواته على حشودهم واستولت على محتويات معسكراتهم، أما يحيى فقد ولى الأدبار ولاذ بسجلماسة فى حين عاد الرشيد مظفراً إلى مراكش.

وعقب هذه الهزيمة النكراء التى منى بها عمر بن وقاريط، عمد إلى التحالف مع الشيخ مسعود بن حميدان زعيم قبائل عرب الخلط الذين كانوا يعيشون فى الأرض ويفرضون سلطانهم على الناس ويرهقونهم بالمغارم.

فلما علم الرشيد بأمر هذا التحالف بين ابن وقاريط والشيخ مسعود عمل على الايقاع بمسعود بن حميدان عن طريق الخديعة فتخلص من الشيخ معاوية بن وقاريط عم عمر بن وقاريط وأحد أصحاب مسعود، ثم استدرج مسعود بن حميدان فى وليمة ووثب به فقتلوه هو وأصحابه فى فناء قصره. وأثار مقتل مسعود بن حميدان مشاعر الغضب لدى قبائل الخلط فعزموا على الانتقام، واختاروا لزعامتهم يحيى بن هلال بن حميدان فانتهز ابن وقاريط هذه الفرصة وجدد تحالفه مع الخلط وأخذ يذكى فيهم نار الثأر والانتقام، كما انضم إليهم يحيى المعتصم، وتقدموا جميعاً نحو مراكش، وعاثوا بساحتها وانتسفوا زروعها وخربوا عمرانها، واضطر الرشيد إلى مواجهة هذه الحشود بقواته، ولكنه لم يستطيع الصمود فلم يلبث عرب الخلط وهكسورة أن مزقوا صفوفه وأوقعوا بقواته هزيمة مروعة سنة ٦٣٢هـ (١٢٣٤م) كان لها أعظم الأثر فى الاطاحة بهيبة الخلافة الموحدية، واضطر الرشيد إلى الخروج من مراكش حماية لها من الدمار الذى قد يصيبها وحقناً لدماء أهلها، وتم خروج الرشيد من حاضرته فى غفلة من هسكورة والخلط بعد أن استخلف عليها ابا محمد عبد الله بن زكريا ثم لجأ بادىء ذى بدء إلى مدينة أغمات ومنها سار جنوباً فاخترق بلاد هرغة واستقر فى سجلماسة. وفى نفس الوقت اقتحم الحليفان يحيى المعتصم وابن وقاريط مراكش واحتلاها وعاثت قواتهما فساداً فيها(٢١٧).

واستمر هذا الوضع شهوراً كان الرشيد خلالها يعد قواته في سجلماسة استعداداً للمعركة الفاصلة لاسترجاع مراكش، فلما أتم الرشيد اعداد قواته بادر الرشيد بالزحف نحو مراكش لاسترجاعها واشتبكت قواته مع قوات الحليفين في معركة ضارية استمرت عدة أيام وأسفرت عن هزيمة شنعاء مني بها الحليفان ابن وقاريط ويحيى المعتصم اللذين فرا مع الخلط، وكان ذلك في منتصف عام ٦٣٣هـ (١٢٣٦م) ولم تفت هذه الهزيمة في عضد ابن وقاريط فأخذ يجمع فلول جيشه من أبناء هسكورة ويستثير حماس عرب الخلط للانتقام، وكان قد بلغه أن محمد ابن يوسف ابن هود قد خلع طاعته للرشيد في الأندلس ودعا للخليفة العباسي، فرأى أن يجوز إلى الأندلس مع طائفة من قواته ويعلن انضمامه إليه تقوية له وسعياً إلى فتح جبهة جديدة ضد الرشيد في الأندلس، وتم عبوره إلى الأندلس مع قوة من أتباعه وتوجه إلى ابن هود في اشبيلية ولبث في ضيافته حتى سنة ٦٣٥هـ عندما قرر العودة إلى المغرب مخططاً هذه المرة للاستيلاء على كل من رباط الفتح وسلا بعد أن كان قد اقترح على ابن هود مشروعاً لفتح هاتين المدينتين بشرط أن يساعده بالسفن اللازمه لتحقيق مشروعه. وكان يحيى المعتصم في هذه الأثناء قد قتل في ٢٨ رمضان سنة ٦٣٣هـ (مايو ١٢٣٦م).

استجاب ابن هود لعرض ابن وقاريط وزوده بالفعل بسفينتين، وكان على ولاية سلاورباط الفتح آنذاك، السيد أبو العلى زوج فاطمة بنت المأمون، أخت الرشيد، واتجه ابن وقاريط في حملته البحرية الصغيرة نحو رباط الفتح اذ كانت منتهى أمله ورجائه ويعبر ابن عذارى عن هذه الأحداث بقوله «ولقد كان عمر بن وقاريط في سنة أربع وثلاثين حين كان باشبيلية مع ابن هود، والرشيد اذ ذاك بفاس وصهره الفقيه المكرم أبو العلى بسلا مع زوجه الحرة فاطمة بنت أمير المؤمنين المأمون أخت الرشيد فلاحت لابن وقاريط فرصة الهجوم على سلا وأخذ السيد أبي العلى وزوجه الحرة فاطمة والاستحواذ على البلد من رباط الفتح، وقرب هذا المرام البعيد في نفس ابن هود، وطلب منه اعانته بجفنين معدين ليدخل بهما وادى سلا

ويتمكن بمن معه من الغزاة من مراده لعلمه بخلاء البلدين من صنف الأجناد خصوصاً رباط الفتح حيث القصبة العظيمة واستقرار الوالى، فأعانه ابن هود بما أراد وأمده بما شاء فقصد ابن وقاريط سلاونصور له بعض مراده، وحصل فى الوادى وكاد أن يملك رباط الفتح ولو ملكه لحصل على معقل الدنيا ارتفاعاً ووثاقة ومنعة، فاشتد الناس إليه وتكاثروا من البلدين عليه إلى أن اضطر إلى الخروج عن الحلق والتخلى عن البلدين وقد أثر بعض التأثير..[218].

وكان الخليفة الرشيد عندما علم بمحاولة ابن وقاريط الاستيلاء على رباط الفتح «قام وقعد وعين من فتيانه وخاصته وعلوجه وبعض رجاله أعداداً لتدارك رباط الفتح لايصال أخته وأمه إليه فى جزع شديد، وأمركبير، فيسر الله مقصدهم بتوجه الحرة فاطمة إلى فاس، فكان هذا السبب الحديث عهده من أشد الامور على ابن وقاريط حين أخذه ....»[219]

وينفرد ابن الخطيب برواية غريبة جاء فيها أن ابن هود فتح الجزيرة الخضراء عنوة فى سنة ٦٢٩هـ، وكان قد انضم اليها بقايا المغربين فأجازهم إلى المغرب واستولى على رباط الفتح بسلا أياما[220]. وواضح أن هذه الرواية ملفقة، فالمصادر التاريخية أجمعت على لجوء ابن وقاريط إلى الأندلس واتفاقه مع ابن هود سنة ٦٣٥هـ وليس ٦٢٩هـ، كماتجمع المصادر العربية على أن ابن وقاريط أخفق فى التغلب على رباط الفتح ولهذا فنحن لانأخذ بها.

وعلى هذا النحو تطورت الأمور فى غيرصالح ابن وقاريط اذ أنه بعد فشله فى تحقيق حلمه بالاستيلاء على رباط الفتح عاد إلى أشبيلية ولكن ابن هود كان قد توفى فى المرية فى جمادى الأولى سنة ٦٣٥هـ، وعندئذ قام أهل أشبيلية بزعامة أبى عمرو بن الجد وأعلنوا خروجهم على بنى هود وانضوائهم من جديد فى فلك دولة الموحدين، وبادروا بعقد بيعتهم للرشيد وبعثوا إلى مراكش وفداً لتقديم بيعتهم وأقدم أهل اشبيلية على القبض على ابن وقاريط[221] وأرسلوه إلى المغرب محروساً

في سفينة رست بثغر آزمور وهناك تسليمه الوزير ابو زكريا بن عطوش وكان بسجن آزمور جماعة من زعماء الخلط، كان الرشيد قد تحايل في استدعائهم وقبض عليهم، فأمر الرشيد باعدامهم واحتزت رؤوسهم وأودعت في سفط وضع فوق جمل أركب عليه ابن وقاريط، وارسل إلى مراكش على هذه الحالة فلما وصل إلى الحضرة أودع في السجن وأعدم بعد أيام قلائل وعلقت جثته على باب الشريعة في أواخر سنة ٦٣٥هـ[٢٢٢].

وفي عهد الخليفة الرشيد أخذت قواعد شرق الاندلس تتساقط الواحدة تلو الاخرى في يد الملك خايمي الأول ملك أرجون أخذت قواعد شرق الأندلس تتساقط الواحدة تلو الأخرى في يد الملك وأول هذه القواعد بلدة بريانة الواقعة على البحر شمالي بلنسية التي استسلمت بعد طول مقاومة في شهر يوليو سنة ١٢٣٣ م (٦٣٠هـ) وتبعتها قلعة بنشكلة Peniscola التي سلمت لخايمي الأول صلحاً وسقطت بعدها عدة حصون منها شفيت وبريول وكويفاس والمصورة وغيرها من القرى، كما سقط حصن أنيشة القريب من بلنسبة في ٢٥ ذى الحجة سنة ٦٣٤ هـ (١٤ أغسطس ١٢٣٧م). وبدأ الأرجونيون يحاصرون بلنسبة في الخامس من شهر رمضان سنة ٣٦٥هـ (ابريل ١٢٣٨م) وانتهى الحصار بتوقيع معاهدة تسليمها لمملكة أرجون بين أميرها ابى جميل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي والملك خايمي الأول وذلك في السابع عشر من صفر سنة ٦٣٦هـ[٢٢٣]. واعقب سقوطها سقوط بقية قواعد شرق الأندلس مثل دانية التي استولى عليها الأرجونيون في مايو ١٢٤٤هـ (٦٤١هـ) وبعدها بنحو عامين استولوا على مدينة شاطبة (في آخر صفر سنة ٦٤٤هـ/ يوليو ١٢٤٦م)[٢٢٤] ثم على لقنت وألش وأوريولة. ولماسقطت بلنسية ومايليها من القواعد القريبة في ايدى الأرجوينين، نزح الكثير من أهلها إلى مدن الأندلس الباقية في الشرق والجنوب والوسط كما عبر الكثير منهم البحر إلى المغرب واستقروا في مختلفة انحائه.

وازاء هذه المأساة المروعة، مأساة سقوط شرق الأندلس وقواعده العظام أصدر

الخليفة الموحدى الرشيد فى الحادى والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٣٧هـ (فبراير ١٢٤٠م) ظهيراً من انشاء كاتبة القاضى ابى المطرف بن عميرة المخزومى إلى المهاجرين «المنتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومن جرى من ساير بلاد الشرق مجراهم،وعراه من عبر الأيام ماعراهم» يأذن لهم بالنزول فى مدينة رباط الفتح(٢٢٥) «وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلاً من مساكنهم وأرضهم ويعمروا منه بلداً يقبل منهم أولى من قبل، ويحملهم انشاء الله تعالى وخير البلاد ماحمل، فانه مناخ التاجر والفلاح، وملتقى الحادى الملاح، والمرافق من بر أو بحر موجودة فى فصول السنة، مؤذنة لقاطنه بالمعيشة الهينة والحال الحسنية، ولهم أفضل ماعهده رعايا هذا الأمر العزيز أدامه الله تعالى، من التوسعة على قويهم كى يزداد قوة، والرفق بضعيفهم حتى ينال يساراً وثروة وأن يتوسعوا فى الحرث، ففى أرضه هنالك متسع ويتبسطوا فى كل مالهم منه مكافىء وبه منتفع، ويغرسوا الكروم وأنواع.. على عادتهم ببلادهم ويتأثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم وكل مايعمرون من الضياع ويقتنون من الأصول والركاع فله حكم...(٢٢٦)»

ونلاحظ من خلال ماورد فى الظهير أن مدينة رباط الفتح كانت آنذاك مدينة عظيمة الاتساع عامرة بالدور العديدة والأراضى الخصبة والأسواق التجارية المزدهرة، فقد وصفها الظهير كما أشرنا بأنها «مناخ التاجر والفلاح» كما وصفت فى الظهير بأنها ملتقى الحادى الملاح، وهذا يشير إلى المكانة البحرية التى كانت عليها مما يدعم رأيى السابق الذى يؤكد عظم مكانة رباط الفتح كميناء بحرى هام فى عصر الموحدين، وينفى الرأى القائل بأنها لم تكن لها أى صفة بحرية.

(٣)

رباط الفتح منذ عهد الخليفة السعيد الموحدى حتى سقوطها فى ايدى المرينيين.

توفى الخليفة الرشيد سنة ٦٤٠هـ، وبويع أخوه أبو الحسن على بن أبى العلى ادريس يوم وفاته ولقب بلقبين هما المعتضد والسعيد[٢٢٧].

وفى عهد الخليفة السعيد تجدد القتال بين الموحدين وبنى مرين فقد خاص السعيد معهم عدة معارك انهكت بلاشك قوى الموحدين. وكانت دولة الموحدين فقدت سلطانها على الأندلس منذ أن أقام محمد بن يوسف بن الأحمر دولته المعروفة بدولة بنى نصر، فى حين انفصلت افريقية واستقل بها بنو حفص كما خرجت سبتة عن الطاعة، وغلب بنو عبد الواد على تلمسان وأحوازها، وتوغل بنو مرين فى أعماق المغرب وغلبوا على معظم أنحائه الغربية ثم استولوا على مكناسة التى لاتبعد كثيراً عن فاس العاصمة الثانية لدولة الموحدين[٢٢٨].

ومما لاشك فيه أن هذه الصورة القاتمة انعكست على رباط الفتح التى تأثرت بعمق بهذه الأحداث، وقد أورد ابن أبى زرع فى الذخيرة السنية خبراً هاماً عن رباط الفتح زمن السعيد يوضح مدى الاضمحلال والتدهور الذى بدأت تتعرض له فى عهده فحتى زمن الرشيد كانت قد بلغت الغاية فى الروعة والازدهار،وقد استنتجنا ذلك كما سبق أن ذكرنا من خلال ماورد فى ظهير الرشيد الموحدى للمهاجرين الأندلسيين ولكن فى عهد الخليفة السعيد يذكر ابن أبى زرع أنه «قد صنع أجفانه من خشب جامع حسان بالرباط، ولما طالت اقامته بفاس أشاع أهل مدينة أزمور أنه قد مات فأحرقوا تلك الأجفان»[٢٢٩].

واذا كان الخليفة الموحدى السعيد قد اجترأ على انتزاع أخشاب ربما كانت خاصة بأسقف بيت الصلاة بجامع حسان لمجرد بناء عدة أجفان فان هذا يعبر بكل

صدق عن مدى الخراب الذى استولى على سائر معالم المدينة بحيث شجع الخليفة على أن ينتزع أخشاب هذا الجامع لبناء السفن.

وتعبر النهاية السيئة التى انتهت بها حياة هذا الخليفة الموحدى عن مدى الضعف الذى آلت إليه دولة الموحدين المحتضرة، ولتفصيل هذه النهاية المأساوية علينا أن نذكر أن السعيد كان قد وضع خطة تقضى بأن يهاجم بنى مرين أولاً ويجليهم عن أقطار المغرب الوسطى ثم يتوجه بعد ذلك إلى تلمسان وينتزعها من بنى عبد الواد ثم يمضى بعد ذلك إلى افريقية ليتغلب على بنى حفص ويستعيد افريقية ونسى أنه قد ينهزم فى بعض المواقع فيتعذر عليه بعد ذلك أن تقوم له قائمة، ولم يتردد السعيد فى تنفيذ هذه الخطة، فخرج من مراكش نحو الشمال الشرقى حتى وصل إلى وادى ملوية ورباط تازة ونزل قباله منازل بنى مرين الذين أدركوا أمام حشوده الضخمة أنه لاقبل لهم بها فقام زعيمهم أبو يحيى بعقد صلح معه، مما مكن السعيد من التحرك صوب تلمسان طبقاً لخطته السابقة.

ولكن يغمرا سن بن زيان أمير تلمسان كان قد لاذ بقلعة تامز حدرت الواقعة جنوب وجدة، فصمم الخليفة السعيد أن يطارده إلى هناك، وفاته احتمال أن يكون بنى عبد الواد قد كمنوا له هناك، وحذره وزيره ابن عطوش من سلوك تلك المضائق الجبلية ولكن السعيد صمم على تنفيذ خطته ومطارده الامير يغمراسن وحدث ماتوقعه الوزير ابن عطوش فقد انقض بنو عبد الواد على الجيش الموحدى فقتل السعيد ووزيره ابن عطوش فقد انقض بنو عبد الواد على الجيش الموحدى فقتل السعيد ووزيره ابن عطوش على الفور، ومزق جيش الموحدين شر ممزق وارتدت فلولهم إلى مراكش سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م).

واجتمع اشياخ الموحدين بعد وفاة السعيد على بيعة السيد أبى حفص عمر بن السيد أبى ابراهيم اسحاق أخى المنصور الذى تلقب بالمرتضى[٢٣٠] والى سلا ورباط الفتح[٢٣١].

وعندما علم بنو مرين بمقتل الخليفة السعيد، وكانوا قد هادنوه كما أشرنا وأمدوه بخمسمائة من فرسانهم، قام زعيمهم الأمير أبو يحيى بن عبد الحق بالتوجه إلى رباط تازة وطلب من واليها السيد ابى على أخى السيد ابى العلا ادريس المعروف بأبى دبوس (الخليفة التالى) أن يتخلى عنها وبالفعل رحل السيد أبى على بأهله ومتاعه وكانت تازه بذلك هى أول مدينة مغربية انتزعها بنو مرين من ايدى الموحدين فى عصر المرتضى سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٨م)(٢٣٢). ويشير ابن عذارى إلى أن الأمير المرينى ابا يحيى ولى أخاه ابا يوسف بن عبد الحق عليها(٢٣٣)، ثم توجه الأمير ابو يحيى غرباً صوب مدينة فاس العاصمة الثانية للموحدين فافتتح فى طريقه إليها مدينة اجرسيف وسائر حصون وادى ملوية(٢٣٤) ثم هاجم مدينة فاس ودخلها فى أواخر ربيع الآخر من سنة ٦٤٦هـ فى رأى(٢٣٥) وسنة ٦٤٧هـ فى رأى آخر(٢٣٦).

ويمثل سقوط فاس فى ايدى بنى مرين بداية النهاية لدولة الموحدين، فسوف تصبح فاس فيما بعد عاصمة المرينيين(٢٣٧).

وفى سنة ٦٤٨هـ حدث انقسام فى بنى مرين وحاول الخليفة الموحدى المرتضى أن يفيد من هذا الانقسام فاشتبك مع المرينيين فى موقعة وادى يعرف فى موضع «أمن ملولنين أو أميلولين» من أحواز مكناسة وانتهت المعركة بهزيمة الموحدين(٢٣٨). وقد زادت هذه الهزيمة من سوء وضع الموحدين وشجعت المرينيين بقيادة أميرهم أبو يحيى على ضم المدن المتبقية فى ايدى الموحدين. والواقع أن الامبراطورية الموحدية كانت قد فقدت بانسلاخ افريقية عنها ثم باستقلال بنى عبد الواد بمملكة تلمسان سائر اقاليم المغربين الأدنى والأوسط، ثم جاء بنو مرين فانتزعوا النصف الشمالى من المغرب الأقصى واستولوا من قواعده كما سبق أن ذكرنا على تازة ووجدة وفاس ومكناسة، واخضعوا سائر الأقاليم فى تلك المنطقة من جبال غمارة حتى وادى ابى رقراق لسلطانهم بحيث لم يعد فى حوزة الموحدين سوى ماوراء ذلك جنوباً من المناطق القليلة الباقية الممتدة حتى بلاد السوس وتتوسطها مراكش.

واستغل الأمير المرينى أبو يحيى فرصة هذا الضعف الذى أصيب به الموحدون وانطلق بقواته غرباً فى المنطقة الممتدة مابين وادى أبى رقراق ووادى أم الربيع، وكان هدفه الرئيسى الزحف إلى كل من سلا ورباط الفتح.

وقد أثار ذلك جزع الموحدين ، فأخذوا يستعدون لمقاومة المرينيين بكل قواهم. ويورد ابن خلدون رواية ذكرها عنه الناصرى ذكر فيها أن الأمير ابا يحيى المرينى بعد أن استكمل فتح مدينة فاس واستوسق أمربنى مرين بها توجه إلى كل من سلا ورباط الفتح ٦٤٩ هـ وافتتحهما ولكن المرتضى استردهما سنة ٦٥٠ هـ(٢٣٩).

وقد أشار ابن أبى زرع فى الذخيرة السنية إلى خبر مشابه لما أورد ابن خلدون فى أخبار سنة ٦٤٩ هـ أورد فيه أن «الأمير ابا بكر استولى على جميع بلاد فازار إلى رباط الفتح وطلب من أهل سلا أن يمكنوه من البلد فاتصل الخبر بالمرتضا فسير له جيشاً من الموحدين والعرب والروم فالتقوا بالأمير أبى بكر على مقربة من مكناسة الزيتون فهزمهم الامير أبو بكر وسبا محلتهم....»(٢٤٠)

وكان المرتضى قد بدأ يشك فى عرب الخلط الذين كانوا وفق ظنونه قد اشتركوا فى مؤامرة لقتله. كذلك بدأ يتخذ العدة لمحاربة بنى مرين، فخرج بنفسه لمواجهتهم وسار إلى سلا بعد تينملل ثم غادرها فى حشوده إلى فاس اذ كان يأمل فى استردادها لأن بقاءها فى ايدى بنى مرين كان يمثل خطراً لاحدود له على كيان الدولة الموحدية، والتقى الجيشان سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥م) عند جبل بهلولة أو بنى بهلولة، فى معركة ضارية، انتهت بهزيمة الموحدين، وفرار المرتضى فى بعض فلوله إلى أزمور وكانت هذه الهزيمة بلاشك ضربة قاصمة للموحدين(٢٤١).

ولم تكد تمر عدة شهور على موقعة بهلولة حتى نهض بنو مرين فى أواخر عام ٦٥٣هـ(٢٤٢) وقيل فى سنة ٦٥٥هـ(٢٤٣)، لافتتاح قطر جديد من اقطار الموحدين، وكانت الضربة موجهة هذه المرة إلى سجلماسة ودرعة، وانتهى الأمر باستيلاء المرينيين عليهما. ويذكر ابن أبى زرع فى الذخيرة السنية أن الأمير ابا

يحيى خرج في عام ٦٥٥هـ إلى رباط الفتح في حملة أشبه ماتكون بالحملات الاستطلاعية ثم عاد إلى فاس حيث أصيب بمرض عضال انهى بوفاته سنة ٦٥٦ هـ(٢٤٤).

وبعد وفاته نشب صراع كبير بن ولده عمر وأخيه ابى يوسف يعقوب بن عبد الحق على الظفر بالسلطنة، انتهى بالتصالح بينهما على أن يتولى ابو يوسف يعقوب السلطنة فى حين يتولى عمر أمر مكناسة وما اليها. ولم يبق عندئذ تحت سلطان الخلافة الموحدية من امبراطوريتها الشاسعة بعد مراكش واحوازها سوى المنطقة الواقعة بين وادى أبى رقراق ووادى أم الربيع وفيها سهل تامسنا وثغرا سلا ورباط الفتح، وكان من الطبيعى أن تكون هذه المنطقة الهدف الرئيسى الذى يتطلع اليه المرينيون لاسيما ثغرى سلا ورباط الفتح اللذين كان السلطان الراحل ابو يحيى قد استطلع امكانية الاستيلاء عليهما عسكرياً قبيل وفاته سنة ٦٥٥هـ.

وبالفعل تحرك جيش كبير من أنجاد بنى مرين سنة ٦٥٧ هـ بقيادة الأمير يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق وهو ابن أخي السلطان المرينى الجديد أبى يوسف يعقوب صوب تامسنا بزعم رغبته فى ممارسة الصيد والسعى إلى الكلأ ونزل بعين غبولة بالقرب من سلا وهو ينوى فى قرارة نفسه الاستيلاء على سلا ورباط الفتح، وفى ذلك يقول ابن عذارى فى أحداث سنة ٦٥٧هـ « رحل يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق من بلاد عمه أبى يوسف إلى جهة تامسنا برسم الاستيطان بها والسكنى وبرسم المرعى والكلأ وقد اضمر التغلب على سلا، فعبر الوادى من مجاز الرمان وذلك فى اقبال الزمان واجتمع عليه جملة كبيرة من رجاله وخدامه، وبعض من بنى اعمامه أولاد بنى عبد الحق اعزهم الله تعالى وذلك بعد موت أبى على عمر ابن عمه ابى يحيى رحمه الله تعالى فنزل بمقربة من غبولة بدواره، ومازال يحاول هنالك مااضمره فى ليله ونهاره وكيف يكون دخوله إلى رباط الفتح من حين نزوله هنالك واستقراره إلى أن دخل إليها واستولى بكيد عليها...»(٢٤٥).

ويؤكد ابن أبى زرع فى الذخيرة السنية أن الأمير يعقوب بن عبد الله خرج إلى رباط الفتح فى عام ٦٥٨هـ وليس فى عام ٦٥٧هـ كما أورد ابن عذارى وبايعاز من عمه السلطان أبى يوسف يعقوب وبرضاه التام وفى ذلك يقول «وفيها سنة ٦٥٨هـ سار يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق عن عمه أمير المسلمين مفاخراً إلى بلاد تامسنا ليستوطنها برسم الرعي والصيد بزعمه فتحاول إلى غبولة، نزل بدوارة وأقام يريد الحيلة فى دخول سلا وملكها، وكان والى سلا للمرتضا فى تلك السنة ابو عبد الله ابن ابى يعلا الموحد، فدخل عليه يعقوب ابن عبد الله المذكور برباط الفتح بالحيلة...»(٢٤٦) وتجمع المصادر العربية على أن سقوط كل من سلا ورباط الفتح فى يد الأمير المرينى يعقوب بن عبد الله قد تم عن طريق الخدعة وان كانت تلك المصادر تختلف فيما بينها حول نوع هذه الخدعة، فابن عذارى يذكر أن الأمير يعقوب طرق سلا مع رجاله ليلاً وركبوا السلالم على السور أمام الباب فى حين قتلوا الحراس أو اسقطوهم من على ثم كسروا الباب ورفعوا العلم المرينى بأعلاه واندفعوا إلى المدينة ونهبوا دورها وفر الناس فى كل جانب وعلى رأس أميرهم ابن أبى يعلو الذى ركب جفناً صغيراً حمله فى البحر إلى مدينة أزمور وامتلك الأمير يعقوب بذلك ثغرى سلاورباط الفتح فى سنة ٦٥٨هـ(٢٤٧) ويشير ابن ابى زرع إلى حيلة أخرى دخل بها يعقوب بن عبد الله فى الظاهر بنيه الدخول فى حمام رباط الفتح(٢٤٨).

أما ابن خلدون فقد أشار إلى أن الأمير يعقوب اصطنع الحيلة فى تملك كل من رباط الفتح وسلا ولكنه لم يزودنا بأية تفاصيل عن هذه الحيلة، يقول ابن خلدون «والطف الحيلة فى تملك رباط الفتح وسلا ليعتدها ذريعة لما أسر فى نفسه فتمت له الحيلة وركب عاملها ابن يعلو البحر فاراً إلى أزمور وخلف أمواله وحرمه فتملك يعقوب بن عبد الله البلد...»(٢٤٩)

وتتفق هذه المصادر على أن الأمير يعقوب بن عبد الله جاهر باعلان عصيانه

لعمه السلطان يعقوب وذلك فور استيلائه على رباط الفتح وسلا سنة ٦٥٨ هـ فشق عليه عصا الطاعة وأعلن استقلاله وأخذ يتأهب لمحاربته فاتصل بتجار السلاح الاسبان وتزود عن طريقهم بالعدد والأسلحة واستدرج شيوخ سلا إلى قصبة رباط الفتح وقام بنزع سلاحهم اتقاء لشرهم بعد أن اتهمهم بأنهم خاطبوا عمه السلطان يعقوب وكاتبوه، وعاد شيوخ سلا إلى عدوتهم مجردين من سلاحهم(٢٥٠). وتمادى الأمير يعقوب فى طغيانه فكتب إلى الملك الفونسو العاشر (العالم) ملك قشتالة يطلب منه أن يمده بمائتين من المرتزقة النصارى ليستعين بهم على مقاتلة اعدائه. ولكن هذه المكاتبة شجعت الفونسو العاشر الذى كان يسعى فى بداية حكمه إلى نقل الحركة الصليبية من شبه الجزيرة الايبيرية(٢٥١) إلى افريقيا، فلما وردت عليه مكاتبة الأمير المرينى يعقوب رأى الفونسو العاشر أن ينتهز هذه الفرصة وأن يرسل حملة بحرية صغيرة لافتتاح مدينة سلا. وتم بالفعل ارسال هذه الحملة وهاجم الاسبان سلا وافتتحوها وعاشوا فيها فساداً وسبوا نساءها وأطفالها وخربوا مساجدها وقتلوا شيوخها، وتم هذا العدوان المروع على مدينة سلا فى اليوم الثانى من شهر شوال إلى سنة ٦٥٨ هـ (١٠ سبتمبر ١٢٦٠م).

ولم يشمل هذا الهجوم الاسبانى مدينة رباط الفتح بل اقتصر على سلا وحدها وتذكر بعض المصادر أن الأمير يعقوب بن عبد الله ظل ممتنعاً ومتحصناً برباط الفتح(٢٥٢).

وعندما وصلت إلى أسماع السلطان ابى يوسف يعقوب بفاس هذه الأنباء المؤلمة بادر بالخروج على رأس قواته إلى سلا، وحاصر الاسبان وقاتلهم عدة أيام حتى اليوم الثالث عشر من شهر شوال. وادرك الاسبان الغازون أمام هذا الحصار المحكم وماكان يتخلله من معارك عنيفة عقم محاولة استمرارهم فى سلا فهربوا بسفنهم عائدين على بلادهم ومعهم جماعة كبيرة من أسرى المسلمين(٢٥٣) ومانهبوه من مال ومتاع، واقتحم السلطان المرينى مدينة سلا على الفور كما دخل(٢٥٤) رباط

التى كان ابن أخيه يعقوب بن عبد الله قد فر منها إلى حصن علودان من جبال غمارة، فأرسل السلطان فى أثره ولده الأمير ابا مالك عبد الواحد[٢٥٥] ولكنه استمر على ثورته وعصيانه إلى أن قتله القائد المرينى طلحة بن على بناحية أرض غبولة على مقربة من سلا سنة ٦٦٨هـ[٢٥٦].

أهم ولاة سلا ورباط الفتح زمن الموحدين:

كانت قصبة المهدية منذ تمصيرها وعرفت بعد ذلك برباط الفتح، المقر الرئيسى لوالى سلا الذى كان يجمع بين ولايته على سلا وعلى رباط الفتح فى آن واحد، وقد تأكد ذلك من خلال النصوص التى أوردتها المصادر العربية كما سنذكر فى السطور التالية.

وأول ولاة سلا هو عبد الواحد الشرقى الذى تولاها زمن عبد المؤمن بن على عقب فتحة لها مباشرة سنة ٥٤٠ هـ، ولم تكن المهدية قد بنيت بعد فكان عبد الواحد الشرقى والياً على سلا فحسب وفى ذلك يقول ابن عذارى «وولى عليها (عبد المؤمن بن على) عبد الواحد الشرقى وأقامت سلا على طاعة الموحدين إلى أن ظهر الماسى المعروف بابن هود ببلاد السوس فقتل أهل سلا عاملهم...»[٢٥٧]

وخلفه فى ولاية سلا وحدها موسى بن زيرى الهنتاتى الذى كان يتولاها زمن ثورة برغواطة ويحيى بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين الملقب بالصحراوى سنة ٥٤٣هـ[٢٥٨]. أما **على بن الزبير القفصى** فكان ثائراً على الموحدين فى قفصة، استقل بها حتى سنة ٥٧٦هـ وهرب عندما اخرجه منها الخليفة ابو يعقوب يوسف وولاه عمل مدينة سلا والرباط وظل بها حتى وفاته[٢٥٩].

ومن تولى سلا ورباط الفتح من ولاة الموحدين، **عثمان بن عبد العزيز الكومى**، تولاهما زمن الخليفة المنصور الموحدى فى سنة ٥٨٤هـ (١١٨٨م)[٢٦٠]، واستقرت ولايته داخل قصبة رباط الفتح.

كما تولى كلا من سلا ورباط الفتح فى عهد الخليفة الرشيد الموحدى، السيد ابو العلاء صهر الخليفة الرشيد، واتخذ من رباط الفتح مقراً لولايته[٢٦١]، كما تولاهما قبل الخليفة السعيد، السيد أبو حفص عمر المرتضى[٢٦٢]، وعندما اعتلى المرتضى دست الخلافة الموحدية، ولى على سلا ورباط الفتح محمد بن أبى يعلى الكومى بدلاً منه واستقرت ولايته فى قصبة رباط الفتح[٢٦٣]. وكان ابن أبى يعلى الكومى[٢٦٤] آخر ولاة الموحدين على رباط الفتح وسلا وبخروجه منهما دخلت هذه الولاية فى فلك دولة بنى مرين، وكان أول ولاتها من قبل أبى يوسف يعقوب، ابن أخيه يعقوب بن عبد الله الذى سرعان ماشق عصا الطاعة على عمه فى سنة ٦٥٨هـ على نحو ماذكرناه فيما سبق، وكان ماحدث من تعرض سلا للهجوم القشتالى، الذى أسفر عن تقدم السلطان المرينى ابى يوسف يعقوب بنفسه لطرد الإسبان واسترداد سلا، وانتهى الأمر بهروب يعقوب بن عبد الله من رباط الفتح حيث كان متحصناً واسترجاع السلطان ابى يوسف للمدينتين.

الفصل الثاني
رباط الفتح زمن بني مرين

الفصل الثانى

رباط الفتح زمن بنى مرين

يعتبر السلطان المرينى أبو يوسف يعقوب المؤسس الحقيقى لدولة بنى مرين، فهو الذى أجهز نهائياً على دولة الموحدين وقتل ابا دبوس ادريس بن محمد بن أبى حفص بن عبد المؤمن آخر خلفائهم سنة ٦٦٨ هـ[٢٦٥]، وكان قد سار سنة ٦٦٦هـ (١٢٦٧م) من رباط الفتح إلى مراكش لحصار أبى دبوس، وافتتحها، وكان قد انتزع كل من رباط الفتح وسلا سنة ٦٥٨هـ كما سبق أن ذكرنا.

وعندما تمكن السلطان أبو يوسف يعقوب من توطيد دعائم أركان دولية الجديدة جاز إلى الأندلس برسم الجهاد أربع مرات.

واستمرت مدينة رباط الفتح فى عهده مركزاً لتجمع الجيوش المرينية ومنطلقاً للجهاد فى الأندلس مثلما كان الحال عليه زمن الموحدين، رغم ما تعرضت له من تدهور فى أواخر عهدهم. وكانت رباط الفتح فى رؤية بنى مرين المركز الحربى المتحكم فى ضفتى نهر أبى رقراق.

ومن الأمثلة الدالة على المكانة السامية التى بلغتها الرباط، خروج السلطان أبى يوسف يعقوب إليها قادماً من مراكش فى آخر ذى القعدة من سنة ٦٦٩ هـ حيث قضى عيد الأضحى كما بايع لولده أبى مالك عبد الواحد بها وفى ذلك يقول ابن أبى زرع فى روض القرطاس «ثم أرتحل إلى مراكش فدخلها فى نصف شوال من السنة المذكورة فأقام بها بقية شهر شوال وخرج منها إلى مدينة رباط الفتح من أرض سلا فدخلها فى آخر ذى قعدة من سنة تسع وستين وست مائة فعيد بها عيد النحر وأخذ البيعة لولده أبى مالك فى ذلك اليوم على بنى مرين...»[٢٣٦].

وقد ردد ابن أبى زرع هذا الخبر فى الذخيرة السنية[٢٦٧].

أما ابن خلدون فقد أضاف نصاً يتضمن ما يفيد باصابة السلطان أبي يوسف يعقوب بمرض مفاجىء في سلا بعد انصرافه من رباط الفتح وأن بيعته لولده كانت في سلا. ويعبر عن ذلك بقوله «لما تلوم السلطان بسلا منصرفه من رباط الفتح وأراح بها ركابه، عرض له طائف من المرض ووعك وعكاً شديداً، فلما أبلّ جمع قومه وعهد بأمره فيهم لابنه أبي مالك عبد الواحد كبير ولده....»[٢٦٨].

ومن الواضح أن قضاء السلطان المريني أبي يوسف يعقوب عيد الأضحى برباط الفتح واختياره لهذه المدينة بالذات مقراً لأخذ البيعة لولده يدل دلالة واضحة على المكانة السامية التي تبوأتها رباط الفتح التي كانت تعتبر زمن الموحدين العاصمة الثانية بعد الحضرة مراكش مباشرة. غير أن العمر لم يطل بولي العهد أبي مالك عبد الواحد بن المنصور المريني فقد داهمه الموت في سنة ٦٧١هـ (١٢٧٣م) وهو ابن اثنتين وثلاثين عاماً فحزن عليه أبوه حزناً شديداً لفقده، ولما انقضى شهر صفر الذى توفي فيه ارتحل المنصور من فاس إلى مراكش متخذاً طريقة إلى رباط الفتح التي وصل إليها يوم ١٢ من ربيع الأول من نفس العام وأخذ بها البيعة بولاية العهد لولده الأمير أبي يعقوب يوسف، ثم سار إلى مراكش مرة أخرى بعد أن فرغ من عقد البيعة[٢٦٩]. وهذا الحادث الهام يدل دلالة واضحة ويؤكد على المكانة الكبيرة التي وضع فيها المرينيون رباط الفتح التي أصبحت مقراً لأخذ البيعة لولاة العهد من بني مرين ومركزاً يقضي فيه السلاطين أعيادهم، فابن أبي زرع يذكر في الذخيرة السنية أن يعقوب المنصور المريني خرج في شهر شعبان من هذا العام ٦٧١هـ من بلاد السوس إلى مراكش وأقام بها حتى آهلّ هلال رمضان فارتحل عنها إلى رباط الفتح ليعيدّ بها عيد الفطر دلالة على مكانتها وعظمتها كمدينة لها ارتباط قدسي في نفوس الأمراء والسلاطين من بني مرين، وظل بها حتى نهاية عيد الفطر ثم ارتحل إلى مدينة طنجه فنزل عليها وحاصرها وشرع في قتالها في أول ذى الحجة سنة ٦٧١ هـ حتى فتحها بعد ثلاثة أشهر[٢٧٠].

وعندا عزم السلطان المرينى أبو يوسف على الجواز إلى الأندلس للمرة الثانية فى سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) دخل رباط الفتح وأخذ يدعو الناس للجهاد فلما أرتأى تثاقلهم وتباطؤهم، توجه من الرباط فى أول المحرم سنة ٦٧٦هـ إلى قصر المجاز وقرر عبور العدوة إلى طريف، فتلاحق به الناس[٢٧١] عندما تبين لهم عزمه الأكيد على الجهاد واحتشدت له قوات من العرب والمصامدة وصنهاجة وغمارة، وتكررت هذه الأحداث عندما اعتزم السلطان أبو يوسف يعقوب على الجواز الرابع إلى الأندلس برسم الجهاد سنة ٦٨٣هـ/ ٦٨٤هـ، وكانت وجهته هذه المرة إلى شريش واشبيلية ولبلة واستجة، فقد غادر مراكش إلى رباط الفتح وهناك توافد عليه أشياخ بلاد المغرب وفقهاؤها برسم السلام عليه والتهنئة بإبلاله من وعكته، ثم تحرك للغزو فى آخر شوال سنة ٦٨٣هـ وجاز بقواته وحشوده من قصر المجاز فى أول صفر سنة ٦٨٤هـ[٢٧٢].

وقد أشار ابن خلدون إلى تلك الأحداث مع إضافة ما يشير إلى أن أبا يوسف يعقوب دخل رباط الفتح فى منتصف شعبان فقضى بها «صومه ونسكه ثم ارتحل إلى قصور مصمودة وشرع فى أجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمطوعة خاتمة سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع بعدها ....»[٢٧٣].

وقد أخذ الناصرى هذا الخبر عن ابن خلدون وأورده ضمن اخبار سنة ٦٨٣هـ[٢٧٤]. كذلك أورد ابن خلدون نصاً يؤكد دور رباط الفتح كميناء هامة فى هذه الفترة المتقدمة من تاريخ دولة بنى مرين. وهذا يجعلنا نعيد ما سبق أن ذكرناه عند معارضتنا لرأى كايبه Caillé القائل بأن كلا من سلا ورباط الفتح قد عرفتا بمكانتها العسكرية البرية فى حين لم تتميزا بحرياً. وقد فسّر كايبه ذلك بوجود عراقيل فى نهر ابى رقراق حالت بين مرور السفن فيه دون دليل محنك، وقد عارضنا هذا الرأى فى الصفحات السابقة، وأوردنا خلال البحث من النصوص ما يؤكد أن رباط الفتح كانت ميناء هاماً تتردد عليه السفن، كذلك أوضحنا أن بناء دار

لصناعة السفن في سلا زمن الأمير أبي يوسف يعقوب المريني يدحض رأى كاييه ويناقضه، ويكفي أن نعرف أن هذه الصناعة التي بنيت قبلي مدينة سلا من جهة وادى أبي رقراق، كان لها بابان، فكان الوادى يجوز من أحدهما ويخرج من الآخر بصناعة هندسية حيث جلب الماء من الوادى إلى الباب المسامت لجامع حسان برباط الفتح في ترعة عميقة فاذا صنعت سفينة جديدة بهذه الدار، وأريد ارسالها في الوادى فتحت الترعة فيدخل الماء وتعوم فيه السفينة فتخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادى[٢٧٥].

ومما يؤكد أهمية رباط الفتح كميناء ومركز تجمع للأساطيل نص أورده ابن خلدون يذكر فيه أن السلطان المريني أبا يوسف يعقوب قد علم بعد جوازه الرابع إلى الأندلس وإغارته على شريش وتخريبه بسائط أشبيلية ولبلة وقرمونة واستجه وجبال الشرف وجميع بسائط الفرنتيرة سنة ٦٨٣هـ بأن العدو قد أوعز إلى سفنه باحتلال الزقاق، فكان أن أصدر أوامره على حد قول ابن خلدون «إلى جميع سواحله من سبتة وطنجة والمنكب والجزيرة وطريف وبلاد الريف ورباط الفتح واستدعى اساطيله فتوافت منها ستة وثلاثون اسطولاً متكاملة في عدتها وعديدها فاحجمت أساطيل العدو وأرتدت على أعقابها واحتل بالجزيرة في غرة رمضان (سنة ٦٨٣هـ)»[٢٧٦].

ونستدل من هذا على ماكانت تنعم به رباط الفتح من أهمية بحرية بخلاف ما أورده كاييه Caillé في هذا الصدد.

ومن الجدير بالذكر أن مدن المغرب ومن بينها رباط الفتح تعرضت لموجة شديدة من القحط في هذه السنة ٦٨٣هـ استمرت حتى نهاية شهر رمضان[٢٧٧]. وتوفى السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق في الجزيرة الخضراء[٢٧٨] من الأندلس في ٢٢ محرم سنة ٦٨٥هـ[٢٧٩]، ودفن بجامع قصره هناك ثم حمل إلى رباط الفتح من بلاد العدوة[٢٨٠] ودفن بشالة من سلا. ولم يحدد ابن الأحمر

مكانه دفنه في حين حدده ابن أبى زرع بمسجد شالة[٢٨١]، وقد أخذ عنه الناصرى هذا الخبر[٢٨٢].

ولقد دارت مناقشات عديدة حول موضع دفن السلطان أبى يوسف يعقوب المنصور المرينى، ومايهمنا فى هذا الموضوع أن نوضح حقيقة تاريخية هامة وهى أن بناء الموحدين لمدينة رباط الفتح كان بمثابة الضربة القاضية لمدينة شالة الإسلامية فقد انتقل السكان من شالة إلى رباط الفتح لقدمها وحداثة المدينة الجديدة، كما انتقلت الحرف والصنائع منها إلى رباط الفتح ويؤكد ذلك ما ذكره صاحب الاستبصار في سياق وصفه لرباط الفتح وكذلك ما ورد فى ظهير الخليفة الرشيد بمنح الرباط للمهاجرين الأندلسيين، فكل ذلك يؤكد على أن أزدهار مدينة رباط الفتح إنما تحقق على حساب مدينة شالة التى جنحت إلى الإنهيار آنذاك[٢٨٣]، وإن كان أحد الباحثين يعتقد أن المنصور الموحدى قد جدد بناء شاله فى نهاية القرن السادس الهجرى[٢٨٤].

وعلى أى الأحوال فان المرينيين اتخذوا شالة مقبرة لملوكهم وأمرائهم عرفت باسم المقبرة المرينية، ويختلف المؤرخون فيما بينهم حول الموضع الذى دفن فيه المنصور المرينى، فهناك من يرجح أنه دفن بهذه المقبرة المرينية وهناك من يرفض هذا الترجيح ويرى أن الذى دفن فى هذه المقبرة هو المنصور الموحدى، أما المنصور المرينى فقد دفن فى مسجد شالة وما يهمنا فى هذا الموضوع أن المنصور المرينى كان قد نقل من الأندلس بعد وفاته إلى رباط الفتح[٢٨٥] قبيل دفنه فى شالة. وكانت الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوى زوجه السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق التى توفت سنة ٦٨٣هـ برباط الفتح هى أول شخصية مرينية دفنت فى شالة[٢٨٦].

ولم يرد ذكر مدينة رباط الفتح طوال عهد السلطان أبى يعقوب يوسف المرينى ابن يعقوب عبد الحق سوى فى سنة وفاته سنة ٧٠٦ هـ إذ حمل من رباط الفتح

إلى رباط شالة[٢٨٧]. ويذكر ابن خلدون أنه دفن فى مقبرة المرينيين بشاله مع أبيه[٢٨٨]. ويذكر ابن الأحمر أن السلطان يوسف المرينى دفن بشالة بعد أن لقى مصرعه[٢٨٩].

ثم ورد ذكر رباط الفتح في المصادر العربية زمن الأمير أبى ثابت عامر بن عبد الله بن أبى يعقوب يوسف المرينى مما يؤكد تعاظم مكانتها ورفعة مركزها بين المدن المغربية فى عهد هذا السلطان، فقد خرج السلطان أبو ثابت إليها فى سنة ٧٠٧هـ برسم غزو عرب رياح، وأمضى فيها الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر رمضان من هذا العام بالإضافة إلى عيد الفطر، وهو بذلك يذكرنا بالسلطان المرينى أبى يوسف يعقوب عندما قضى عيد النحر سنة ٦٦٩هـ برباط الفتح. ولم يكتف السلطان أبو ثابت بذلك بل أمر بقتل ثلاثين رجلاً من أشرار العرب وفتاكهم بهذه المدينة وصلبهم على أسوار العدويتن[٢٩٠].

وتوفى الأمير أبو ثابت عامر مسموما[٢٩١] فى ٨ صفر سنة ٧٠٨هـ، ثم حمل إلى شالة من رباط الفتح حيث دفن مع سلفه[٢٩٢]. ومن الجدير بالملاحظة أن ابن أبى زرع عند اشارته إلى شالة يربطها دائماً برباط الفتح فيقول «شالة من رباط الفتح»[٢٩٣]، وهذا يعنى أن شالة أرتبطت بمرور الزمن برباط الفتح وهذا يرجعنا إلى ما سبق أن ذكرناه من تدهور شالة واضمحلالها بعد بناء الموحدين لمدينة رباط الفتح.

وفى سنة ٧١٠هـ زار السلطان المرينى أبو سعيد عثمان بن يعقوب عبد الحق رباط الفتح ليتفقد أمور رعيته وينظر فى أمر بلاد الأندلس، وتورد المصادر العربية ما يفيد بأهمية الدور البحرى الذى تقوم به رباط الفتح زمن السلطان أبى سعيد عثمان، فابن أبى زرع وابن خلدون يذكران أن السلطان أبا سعيد عثمان خرج فى شهر ذى قعدة من ٧١٠هـ من مدينة فاس إلى رباط الفتح «برسم التفقد لأمور رعيته والنظر فى أحوال بلاد الأندلس، وأنشأ الأجفان لغزو العدو فوصلها فى آخر

ذى قعدة فعيّد فيها عيد الأضحى وأصلح أحوالها وأمر بإنشاء الأجفان فى بحرها ورجع إلى مدينة فاس....»[٢٩٤].

ويعتبر هذا الخبر دليلاً قاطعاً على الأهمية البحرية البالغة التى كانت تمثلها رباط الفتح فنص ابن أبى زرع «وأمر بإنشاء الأجفان فى بحرها» يعبر تعبيراً صادقاً على مرور السفن فى نهر أبى رقراق بعد أن تُصّنع فى دار الصناعة بسلا المطلة على جامع حسان برباط الفتح : ثم خروجها من هذا النهر إلى المحيط الأطلسى[٢٩٥]. وهذا النص يدحض تماماً رأى كاييه Caillé الذى سبق أن ذكرناه.

ويعتبر السلطان أبو سعيد عثمان ثالث سلاطين بنى مرين الذى يقضى فترة العيد برباط الفتح فقد سبقه السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور المرينى والسلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله.

وفى سنة ٧٢٥هـ حلت بالمغرب مجاعة شديدة، أعقبها وباء وفتن ولكن السلطان عثمان تمكن من القضاء على جميع هذه الفتن فطاعت له «جميع قبائله (المغرب) وملك جميع بواديه من وادى ملوية إلى رباط الفتح...»[٢٩٦]. وتوفى السلطان أبو سعيد عثمان بعلة النقرس ودفن فى المقبرة المرينية بشالة[٢٩٧]، وكان ولده أبو مالك قد توفى سنة ٧٤٠هـ وفى حروبه مع الأسبان فحملت جثته إلى شالة وأقبر بها[٢٩٨].

وظلت رباط الفتح وسلا موضع اهتمام سلاطين بنى مرين. ويذكر الناصرى أن السلطان أبا عنان المرينى تردد عدة مرات إلى العدوتين، سلا ورباط الفتح، فقد زار سلا سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩م) لحضور جنازة والدته التى دفنت بشالة ماراً برباط الفتح[٢٩٩]، وكذلك فى عام ٧٥٢هـ فى جمادى الأولى عندما صحب شلو أبيه أبى الحسن لدفنه فى شاله[٣٠٠]. ويذكر الناصرى أيضا نقلاً عن الشيخ أبى عبد الله محمد بن عبد العظيم الأزمورى فى كتابه المسمى «بهجة الناظرين وانس

الحاضرين» أن السلطان نزل فى رباط الفتح بدار العادل سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) وقد حضر هناك خلق كثير من الشرفاء والصلحاء[٣٠١].

كما يذكر أن السلطان أبا عنان رحل إلى رباط الفتح وسلا فى عام ٧٥٧هـ لزيارة أبى العباس أحمد بن عاشر[٣٠٢].

وفى سنة ٧٥٨ هـ توفيت الحرة المعظمة أخت السلطان أبى عنان المرينى، وكان يرغب فى دفنها بفاس (بغربى المسجد الجامع بالبيضاء) ولكنه قرر فى النهاية أن تدفن فى شالة ولهذا الغرض توجه إلى رباط الفتح. وقد أشار ابن الحاج النميرى إلى ذلك، فذكر أن السلطان لم يكد يقضى برباط الفتح عدة أيام حتى وصلت جثة أخته من فاس وتمت الجنازة الشريفة ودفنت فى حصن شلة[٣٠٣]. وطال مقام السلطان أبى عنان برباط الفتح لينظر فى أمورها ويستكشف أحوال قاضيها المعروف بالبجائى الذى حاد عن نهج الطريق القويم بمظالمه الشائعة ومفاسده الطاغية، وكان السلطان أبو عنان قد نزل أثناء إقامته فى رباط الفتح بالقصر القائم فى قصبتها[٣٠٤]. ومنذ ذلك التاريخ أخذ ذكر مدينة رباط الفتح يقل بصورة واضحة فى المصادر العربية، ويفسر بعض المؤرخين ذلك بأن مدينة الرباط زمن المرينيين أخذت فى التدهور عما كانت عليه من أزدهار واتساع عمرانى زمن الموحدين وذلك فى أعقاب المعارك والحروب الطاحنة التى كانت تنشب بين المرينيين والموحدين للسيطرة عليها فقد أثرت تلك المعارك الضارية على عمران المدينة، وهجر الأهالى المنطقة الواقعة ما بين شالة (على الضفة اليسرى لأبى رقراق) والمحيط الأطلسى بما فيها[٣٠٥] مدينة رباط الفتح نفسها، كما أن المرينيين بنوا قلعة شلا على الضفة اليسرى من نهر أبى رقراق عند أبواب مدينة الرباط مما أثر سلباً على مدينة رباط الفتح[٣٠٦].

ويذكر بعض المؤرخين أن مدينة رباط الفتح أصبحت من حيث الأهمية

الاقتصادية فى المرتبة التاسعة بين المدن المغربية فى عصر بنى مرين[٣٠٧]. ومع ذلك ففى تصورى أن الرباط ظلت من أهم مدن المغرب فى العصر المرينى بوجه خاص وذلك من الوجهتين العسكرية والاستراتيجية، على الرغم مما أصابها من تدهور خلال الفترة المتأخرة من عصر الموحدين بسبب صراعهم مع المرينيين الذين لم يتوقفوا عن الإغارة على رباط الفتح حتى يمكنوا من الاستيلاء عليها، فمن ملكها على حد قول ابن عذارى كأنه قد حصل على معقل الدنيا[٣٠٨].

ويكفى تأكيداً لرأينا أن المرينيين أقاموا بالرباط الجامع الكبير والمارستان العزيزى كما سنشرح ذلك فى الصفحات التالية فى سياق دراستنا لآثار الرباط.

الباب الثاني
أهم مظاهر الحضارة في رباط الفتح في عصر دولتي الموحدين وبني مرين

الفصل الثالث: بعض ملامح الحياة العلمية والاقتصادية

الفصل الرابع: أهم الآثار المتبقية

الباب الثانى
أهم مظاهر الحضارة فى رباط الفتح فى عصر دولتى الموحدين وبنى مرين

الفصل الثالث: بعض ملامح الحياة العلمية والاقتصادية:

أ- الحياة العلمية:

كانت ولاية سلا تضم فى جملة المناطق التابعة لها مدينة رباط الفتح، وكان على من يتولى منصب القضاء بسلا أن يجمع بين قضاء سلا وقضاء رباط الفتح(٣٠٩) ، ومن أشهر من تولى قضاء سلا ورباط الفتح من الفقهاء:-

١- أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومى (٥٨٢ - ٦٥٨هـ/ ١٨٦ - ١٢٦٠م)

وأصله من جزيرة شقر، وسكن بلنسية مدة، وكتب عن ولاتها (٣١٠)، وقيل ان جده أو أباه كان لقيطاً لرجل من آل عمرة الشقريين، وذكر ابن عبد الملك الأنصارى نقلاً عن أبى اسحاق بن الحاج الشاطبى، وكانوا فى الأصل من اليهود(٣١١). وكان أبو المطرف بن عميرة من أصحاب الرئيس ابى عبد الله ابن عبد العزيز بن خطاب قبل أن يتولى الرئاسة ببلده مرسية، كما كتب عن الرئيس ابى جميل زيان بن سعد بن مردنيش وغيره من أمراء شرق الأندلس(٣١٢)، وقد أجاز له من أهل شرق الأندلس، أبو الفتوح نصر بن أبى الفرج بن على الحصرى، وروى عنه ابنه أبو القاسم وأبو البكر بن عبد الله بن خطاب وأبو الحسن طاهر بن على الشقرى.

ويذكر ابن عبد الملك الأنصارى أنه كان شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث كما تفنن فى العلوم، ونظر فى المعقولات وأصول الفقه، ومال إلى

الآداب، وأسهم فى نظم الشعر فأجاد بحيث عد من صفوة من نظم شعراً، كما برع فى الكتابة فكان من اعلامها المشاهير [٣١٣]، ثم انتقل أبو المطرف إلى العدوة، فأستكتبه الخليفة الرشيد الموحدى (٦٣٠ - ٦٤٠هـ) بمراكش مدة يسيرة، ثم صرفه عن الكتابة وولاه قضاء مليانه[٣١٤] من نظر مراكش الشرقى فتولاه قليلاً ثم نقله إلى قضاء رباط الفتح وسلا[٣١٥]. وظل يتولى هذا المنصب إلى أن توفى الخليفة الرشيد وخلفه أخوه المعتضد بالله أبو الحسن على فأقره على ما بيده بعض الوقت ثم نقله الى قضاء مكناسة الزيتون، وعندما بلغه أن المعتضد قدم على مكناسة أبا حفص عمر بن الأمير ابى ابراهيم بن أبى يعقوب (هو نفس الخليفة المرتضى فيما بعد) نظم ابو المطرف قصيدة يهنئة فيها بتلك الولاية، ثم اقتضى نظر المعتضد تولية أبى حفص المذكور مدينتى سلا ورباط الفتح فبعث بها اليه وتتألف عن عشرة ابيات منها:-

توحدت فى الفضل من غير ثان ∴ فمالـك عـنه مـن الخلـق ثـان

ولا سمك يا عمر الجـود مـا ∴ لـروح الجـنان وروح الجـنان

فإن يمـنع العدل مـن صـرفه ∴ فعدلك يمنع صرف الزمـان[٣١٦]

ويعزى إلى أبى المطرف بن عميرة كتابته للظهير الذى أصدره الخليفة الرشيد لمهاجرى شرق الأندلس إلى المغرب عقب سقوط مدنهم للاستقرار فى رباط الفتح. وفى السنوات الأخيرة من عصر الموحدين دخل ابن عميرة فى خدمة بنى حفص، فقد ركب البحر من سبتة متوجهاً إلى بلاد أفريقية، فأقام فى الأندلس من حيث استقضى بها ثم نقل منها الى قابس [٣١٧].

٢- القاضى الفقيه ابو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكرى:

وأصله من بلدة شريش[٣١٨]، روى عن أبى أسحاق بن يوسف بن قرقول، وتولى قضاء سلا ثم مكناسة وتوفى فى أول سنة ٦١١ هـ [٣١٩].

٣- الفقيه أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله الأنصارى الحارثى الأزدى:

كان إلى جانب تفقهه فى الدين نحوياً بارعاً وكاتباً واديباً متميزاً، مال إلى الاجتهاد وغلبت عليه الطريقة الظاهرية وذاع صيته فى مجال العلوم الفقهية، فاستدعاه الخليفة يعقوب المنصور لتأديب بنيه واصبح استاذاً لولده محمد الناصر. وكان المنصور يقدره قدره ويرفع منزلته. وقد تدرج أبو محمد عبد الله فى مناصب القضاء فولى قضاء اشبيلية ثم قرطبة ثم مرسية فسبته فميورقة [٣٢٠] كما تولى قضاء سلا ورباط الفتح ثلاثة سنوات حتى وفاة المنصور، وعندما تولى محمد الناصر الخلافة نقله الى ميورقة قاضياً ونصب مكانه الفقيه القاضى أبا الحسن الصدينى الفاسى الذى كان من أهل المعرفة بالفقه والنحو[٣٢١].

٤- الشاعر المؤرخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن ابى بكر الصنهاجي:

وأصله من قرية تعرف بحمزة من حوز قلعة بنى حماد. كان من جلة الفقهاء، قرأ فى بلده بالقلعة التى عرفت بأنها حاضرة علم كما قرأ ببجاية. وممن أخذ عنه، القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمسانى، وكان له برنامج ذكر فيه شيوخه ومقروآته من مؤلفيها، مذكور السند فيها.

واشتهر عنه من التحصيل والعلم أكثر مما اشتمل عليه برنامجه، كما أقبل على علم القرآن والحديث والأصول والنحو والأدب والتاريخ وعلوم الرقائق والاذكار. وأسند اليه قضاء الجزيرة الخضراء ثم صرف عنها وتولى قضاء سلا (ورباط الفتح) سنة ٦١٣ هـ. ومن أهم مؤلفاته كتاب «الاعلام بفوائد الأحكام» وشرح مقصورة ابن دريد، دولة تاريخ سماه «بالنبذ المحتاجة فى أخبار صنهاجة بأفريقية وبجاية»[٣٢٢] وتوفى سنة ٦٢٨ هـ.

٥- القاضى الفقيه أحمد بن إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمرو بن فرقد القرشي العامرى (تـ ٦٢٤ هـ):

استقضى بغرناطة وسلا وغيرها من القواعد في المغرب والأندلس [٣٢٣]. وممن تولى قضاء سلا ورباط الفتح غير من ذكرناه القاضى محمد بن أحمد بن الدراج (تـ ٦٩٣ هـ)[٣٢٤] والقاضى محمد بن على ابى جعفر أحمد الزهيرى (تـ ٧٦٤ هـ) والفقيه القاضى عمران بن موسى بن ميمون الهوارى السلاوى الذى توفى فى سلا التى عمل قاضياً بها سنة ٦٤٨ هـ[٣٢٥]، والقاضى أو عثمان سعيد ابن محمد العقبانى (تـ سنة ٨١١ هـ)[٣٢٦] والفقيه النحوى على بن حسن الصدينى الفاسى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ، وكان من أهل المعرفة بالفقه والنحو وتولى قضاء غرناطة وسلا[٣٢٧].

ومن أشهر **الفقهاء والمحدثين** الذى نزلوا برباط الفتح واستقروا بها:

١- أبو الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام الأنصارى الأوسى:

وكان قرطبى الأصل، سكن مراكش ثم رباط الفتح، وروى عن أبى بكر بن خير، وأبى عبد الله بن الفخار وابى القاسم بن بشكوال. وروى عنه ابنه عبد الله الذى خلفه فى علمه ودرّس لابن عبد الملك الأنصارى صاحب كتاب الذيل والتكملة.

وكان أبو الحسن على محدثاً رواية عدلاً، أسندت اليه بعض الأعمال السلطانية، فحمدت سيرته، وتوفى برباط الفتح سنة ٦٢٢ هـ[٣٢٨].

٢- الفقيه الخطيب الأديب أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى:

كان ينتمى الى ذى الكلاع، رئيس حلفاء المعافريين الذين كانوا من موالى الأمويين ومن شيعتهم، وعندما قامت الدولة العباسية، اضطروا الى الهجرة من بلاد الشام إلى الأندلس فأصبحوا موالى للأمويين بها. وقد توزع الكلاعيون فى عدد من

مدن الأندلس واشتهر عدد كبير منهم في مجال العلم والأدب منهم عبد الله بن بكر الكلاعي والمعروف بالقملة واشتهر فى قرطبة بروعة أشعاره[٣٢٩]، وطالوت بن جراح الكلاعى الذى نبغ أيضاً فى قرطبة[٣٣٠]، ومحمد طالوت بن جراح الكلاعى[٣٣١]، وأحمد بن محمد بن خلف الكلاعى الذى تولى القضاء باشبيلية مرتين وتوفى في سنة ٥٨٧ هـ، وأخوه عبد الله بن محمد بن خلف الكلاعى الذى رحل حاجاً فأخذ عن ابى الطاهر السلفى وعاد الى بلده وروى عنه[٣٣٢].

ولد أبو الربيع سليمان الكلاعى بظاهر مرسية فى سنة ٥٦٥ هـ، ولكنه استقر بيلنسية وتوفى شهيداً وهو يدافع عنها. وكانت حياته حافلة بالدراسة والتحصيل فقد استغرق ما يقرب من اثنين وثلاثين عاماً طالبا للعلم قضى منها العشر سنوات الأولى ببلنسية واثنين وعشرين سنة فى الرحلة والطواف إلى مراكز العلم المختلفة فى الأندلس لتلقيه على أيدى شيوخ فى عصره، فرحل إلى شاطبة واشبيلية وقرطبة وغرناطة ومالقة ثم رحل إلى سبتة سنة ٥٨٩ هـ للأخذ على عبد الله بن محمد بن ذى النون الحجرى ثم عاد الى بلنسية.

وفى سنة ٥٩١ هـ شد الرحال إلى المغرب، ومر بقصر عبد الكريم[٣٣٣] ثم نزل بمدينة سلا وأقام برباط الفتح[٣٣٤].

وممن أخذ عليهم واستمع إليهم أبو القاسم بن حبيش وأبو بكر بن الجد، وابن زرقون وأبو عبد الله بن الفخار وأبو الوليد بن رشد، وأبو محمد الفرس، وأجاز له ابن مضا. وعرف عن أبى الربيع سليمان الكلاعى جمال الخط وتقانته وضبطه كما تفوق فى مجال الأدب والبلاغة، وأجاد فى النظم وكان بالإضافة إلى كل هذه المواهب، خطيباً، فصيحاً، وتوفى شهيداً بكائنة أنيشة الواقعة على ثلاثة فراسخ من بلنسية سنة ٦٣٤ هـ، وحضر معه أبو المطرف بن عميرة وقعة إستشهاده فقد كان من أقرب أصحابه إلى نفسه ورثاه أبو المطرف بقصيدة من أروع قصائده[٣٣٥].

ومن زار المهدية أو رباط الفتح زمن عبد المؤمن بن علي من الشعراء والأدباء:

١- الشاعر أبو عبد الله محمد بن حسين به عبد الله بن حبوس (تـ سنة ٥٧٠هـ)

ويرتفع نسب هذا الشاعر إلى جده حبوس مولى بنى أبى العافية الذين ملكوا المغرب الأقصى أيام بنى أمية بالأندلس، وأصلهم من بنى مقدول من تسول احدى القبائل التى نزلت بتازى وكانت قصر بنى العافية وحاضرة سلطانهم إلى أيام يوسف بن تاشفين عندما دال سلطانهم.

ولد ابن حبوس، الشاعر، بفاس سنة ٥٠٠ هـ وفى أرضها نشأ وعلى علمائها تأدب ونظم الشعر فى صباه ثم رحل إلى تلمسان وأقام بها يسيراً، وأنتقل بعد ذلك إلى مراكش فأقام فيها بعض الوقت ثم جاز بعد ذلك إلى الأندلس وتردد على بعض مدنها حتى ظهر أمر عبد المؤمن بالعدوة واستولى على مراكش فأنتقل اليها واستوطنها وصحب عبد المؤمن بن على فى كل رحلاته، وعندما حل عبد المؤمن بن على بالمهدية التى عرفت برباط الفتح، صحبه ابن حبوس وهناك ألقى قصيدة رائعة اخترنا منها بعض الأبيات التى تتعلق بالمهدية نطالع منها:

بنى فرضةً أم البلاد فكلها	يسح عليها من مراضعها در
تكتنفها الما آن من كل جانب	نقيضان ذا حلو المذاق وذامر
فهذا عليه المد والجزر دائباً	وذلك لامد عليه ولا جزر(٣٣٦)

وكلمة فرضة التى وردت فى البيت الأول تؤكد الطبيعة البحرية لرباط الفتح منذ نشأتها وتخالف الرأى الذى أولى به كاييه Caillé فى أن الرباط كانت عاطلة من الميزات البحرية التى تتفق مع مكانتها الاستراتيجية البرية. ومن الشعراء الذين زاروا مدينة رباط الفتح زمن الموحدين الشاعر.

١- نجم الدين يونس بن مهذب الدين عثمان الحسنى المازندرانى، وقد قدم أولاً الى الاندلس، وروى عنه باشبيليه أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتورى ثم جاز إلى العدوة، وعاد إلى الأندلس بعد ذلك:

ويذكر ابن عبد الملك الأنصارى أن الكاتب ابا عبد الله بن الجنان اصحبه رسالة إلى أبى المطرف بن عميرة، وهو قاضى بسلا ورباط الفتح منها:-

أيا راكبا نحو الرباط ولى به ∴ حبيب رباط الصبر حل لبعده
رويدك اودعك السلام رسالة ∴ الى وده فامنن على واده
وبث وقيت البث آثار لوعتى ∴ ووجدى وما بى من غرام لمجده

ولما التقى المازندارانى بقاضية ابى المطرف برباط الفتح أنس اليه وكتب من رباط الفتح إلى رئيس الكتاب وعميد الآداب ابى العلاء محمد بن أبى جعفر بن حسان، كاتب وطبيب كل من الخليفة المستنصر الموحدى، والخليفة الرشيد، كما راسل قاضى القضاه ابن اسحاق بن زيد المكادى، قاضى الجماعة بمراكش فى عهد الرشيد الموحدى وأخيه السعيد، من رباط الفتح، ولما عاد المارندرانى إلى الأندلس كتب اليه ابو المطرف بن عميرة من سلا(٣٣٧).

٢- الشاعر أبو عمرو ميمون بن على بن عبد الخالق الخطابى:

وهو المعروف بابن خبازة، نسبة الى خاله الشاعر الشهير بابن خبازة، وقد قام برباط الفتح إلى أن أدركته الوفاة فى أول سنة ٦٣٧ هـ(٣٣٨). وعرف ابن خبازة ببراعته فى الخط وإجادته للنظم والنثر مع تفننه فى اساليب الكلام على اختلاف اللغات، كما اشتهر عنه الميل إلى الزهد والتصوف، وجنح فى آخر عمره الى امتداح ملوك عصره، فكان يأتى فى ذلك بما لم يسمع مثله. تجول فى أنحاء مختلفة من المغرب وعمل محتسباً بمراكش ثم انتقل إلى الأندلس والتقى بابن الأبار باشبيلية ومالقة(٣٣٩).

وكان ميمون بن خبازة من بين الشعراء الذين أدركوا الخلل الذى تعرضت له دعوة المهدى، وكان له فى التناقض المذهبى الذى ظهر فى أواخر عصر الدولة الموحدية، ولاسيما فى عهد الخليفة المأمون الموحدى، وكان ذلك سبباً فى توجهه إلى القيم الدينية يستوحى منها ميوله التصوفية، وكأنه أدرك حالة الانهيار التى أصابت الدعوة الموحدية والدولة معاً، فاستسلم لهذه الميول الصوفية، ربما هرباً من الواقع المفجع وبحثاً عن الخلاص*.

ومن شعره المذهبى الذى تتجلى فيه روح الزهد، قصيدة لم يصلنا منها سوى بيتان من الشعر نصهما:

وجد النبوة حلة مطوية ∴ لا يستطيع الخلق نسج مثالها
فأسر حسواً فى ارتغاء يبغى ∴ بمجاله نسجاً على منوالها[٣٤٠]

وقد أنشد هذه القصيدة فى المأمون بن المنصور حين تبرأ من الامام المهدى وأبدى مساوءه، وأسقط اسمه من الخطبة، ويتمثل موقفه من الصراع الذى دار بين الموحدين فى أواخر دولتهم فى قصيدته التى أورد منها المقرى ثلاثة أبيات هى:

أنظر الى القبة الحمراء ساقطة ∴ لما رأت مضر الحمراء عن كثب
من كان أولى بها أن كنت ذا بصر ∴ العجم أو معدن العليا من الغرب
وإنما سجدت لما سمعت وغدت ∴

ويتفق كل من بوجندار والدكالى على أن ابن خبازة توفى برباط الفتح ولكنه دفن بسلا سنة ٦٣٧ هـ [٣٤٢]، وقد عرف أحد أبواب سلا باسم هذا الشاعر ابن خبازة فسمى بباب الخباز لأنه بنى بعد دفنه بنحو عشرين عاماً.

وممن استوطن رباط الفتح من فقهاء الأندلس:—

١- الفقيه ابو عبد الله محمد اليابرى:

وهو غير الشاعر ابى بكر عيسى بن الوكيل اليابرى[٣٤٣]. ينتمى أبو عبد الله اليابرى إلى أسرة مقرها مدينة يابرة من مدن غرب الأندلس، وفيها تلقى تعليمه الاساسى قبل أن ينتقل إلى رباط الفتح، ويستقر بها البقية الباقية من عمره حتى وفاته فى أوائل القرن الثامن الهجرى، ويصفه بوچندار بقوله «هو أبو عبد الله اليابورى واسمه محمد، ولكنه اشتهر بكنيته ابى عبد الله، ولكثرة الاستعمال لم يبق يعرف إلا بعبد الله اليابورى، وأهله من يابورة، احدى مدن الأندلس، رحل منها إلى المغرب، فجاء الرباط، بعد ما أخذ عن شيوخ التربية فى وقته وأسس زاوية لنفسه برسم التربية والارشاد وهى الزاوية الغربية التى بشالة عن يسار الداخل من بابها الكبير...»[٣٤٤].

ويرى بعض المؤرخين أن الشيخ اليابرى توفى فى يابرة ثم حمل إلى رباط الفتح فى أواخر القرن السابع الهجرى، وكانت رباط الفتح قد خضعت آنذاك للمرينيين وأميل الى الاعتقاد بأن اليابرى انتقل الى الرباط فى حياته واتخذها منزلاً وأنه تحقيقاً لرغبته فى نشر العلم، اتخذ لنفسه زاوية يلتقى فيها مع طلاب العلم، كانت تقع فى الجهة الغربية فى شالة على يسار الداخل من بابها الكبير[٣٤٥].

وقد نُسِبَت بعض أبيات ابن الوكيل اليابرى خطئاً إلى الفقيه ابى عبد الله اليابرى ولكن المؤرخ **محمد بن على بن أحمد دنية الرباطى** استدرك هذا الخطأ الشائع وذكر فى كتابه مجالس الانبساط قصة ابن الوكيل اليابرى وما انكسر عليه من أموال، ونسب الأبيات الى صاحبها[٣٤٦].

ولما توفى اليابرى تم دفنه بالقرب من ساحل المحيط الأطلسى لا يفصله عنه إلا بضعة خطوات، وعلى مقربة من قبره يقع ضريح يعرف باسم ضريح السيدة عائشة اليابورية التى تحدث عنها بوچندار فى كتابه الاغتباط، ويعتقد البعض أنها أخت الشيخ اليابورى، ولكن كل من بوچندار ومحمد دنية يؤكد أنها من أهل القرن

السابق. ولا تزال تعلو قبر الشيخ اليابرى الذى تحول لدى أهل المغرب إلى ما يشبه الاسطورة الشعبية، قبة صغيرة يقصدها الناس للتبرك نقشت بباطنها بعض الأبيات نطالع فيها:

هذه القبة ضاءت بهجة وتحلت بسرور الناظرين
كتب السعد على أبوابها ادخلوها بسلام آمنين
قد قطعنا من رياض الصالحين ما اشتهينا من رياض الياسمين(٣٤٧)

ومن أشهر فقهاء الرباط من أهل المغرب:-

١- الفقيه أبو الحسن السيد على بن أيوب الانصارى الخطيب برباط الفتح:

ذكره الحضرمى فى كتابه السلسل العذب، ووصفه بأنه كان كثير الحياء والحشمة، مواظباً على الخير، كثير الذكر تالياً لكتاب الله، مشتغلاً بالعلم، وأنه انكب على التصوف وله كرامات وتوفى فى أواخر المائة الثامنة ودفن ببيت من الدار المعروفة الآن بدار طريدانو بدرب الحوت الغربية الباب المتصلة جوفاً بمسجد بلامينو وضريحه معروف هناك بضريح سيدى أيوب(٣٤٨).

٢- الفقيه أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر الأندلسى الأنصارى:

ويذكره ابن القاضى ان أصله من شمينة وفيها ولد ونشأ وتعلم ثم أنتقل منها إلى الجزيرة الخضراء حيث اشتغل بتعليم القرآن (٣٤٩).

ثم رحل الفقيه أحمد بن عاشر الى المشرق لأداء فريضة الحج، ثم عاد إلى المغرب واستقر بفاس زمناً ثم رحل إلى مكناسة واستوطنها مدة، وكانت بها احدى أختيه أما الأخرى فكانت لا تزال بموطنه بشمينة، ثم انتقل الى سلا ونزل برباط الفتح بزاوية الشيخ ابى عبد الله اليابرى وتتلمذ على يديه، وكان الامام عبد الله اليابرى يصفه بالشاب الصالح. وتوفى ابن عاشر فى سنة ٧٦٤ هـ وقبل ن سنة ٧٦٥ هـ(٣٥٠).

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ محمد بن على الدكالى ذكر فى اتحافه الوجيز أسماء من تولى القضاء بسلا ورباط الفتح فى عصر بنى مرين، ومن أقام بالتدريس بالمدرسة المرينية بطالعة سلا، نذكر من بينهم القاضى على بن عطية المكناسى والقاضى أبو محمد عبد الله بن أبى سعيد وولده الرحالة أبو سعيد فرج ابن عبد الله بن ابى سعيد(٣٥١).

ب- الحياة الاقتصادية:

لا تتضمن المصادر العربية عن الحياة الاقتصادية فى مدينة رباط الفتح الإمادة شحيحة يتعذر جمعها والتقاطها واستنباط حقائق تسلط الضوء على الأحوال الاقتصادية فى هذه المدينة وتصور هذه الأحوال على نحوٍ واضح.

وفيما يتعلق بالزراعة فإننا لا نشك أنها كانت مزدهرة لتوفر العوامل الطبيعية الملائمة لها، فمن حيث المياه نجد أن وقوع رباط الفتح على الضفة اليسرى من نهر ابى رقراق قد ساعد على رى الأراضى المزروعة، ونلاحظ أن الموحدين لم يألوا جهداً فى امداد المدينة بالمياة العذبة الصالحة للرى، وقد سبق أن أوضحنا أن الخليفة عبد المؤمن بن على مد الماء العذب اليها عن طريق القنوات من عين غبولة(٣٥٢). ولما لاحظ الخليفة أبو يعقوب يوسف عند زيارته لسلا ورباط الفتح سنة ٥٦٦ هـ أن الماء قد أسن وفسد جريه لم يتردد فى تجديد مشروع أبيه وأضاف إليه صهريجاً يتجمع فيه الماء(٣٥٣). وإذا كان ابن صاحب الصلاة قد ذكر فى كتابه المن بالامامة أن الخليفة أبا يعقوب يوسف أقام صهريجاً كبيراً يتسع لكمية من المياه تكفى للرى ولشرب الناس والسائمة فان كلا من صاحب الاستبصار والحميرى قد أشار إلى وجود مياه مطردة وعدة سقايات وصهاريج عديدة للمياه احدثها الخليفة أبو يعقوب يوسف(٣٥٤) أمام الجامع بموضع المهدية أو رباط الفتح.

ومما لا شك فيه أن توافر المياه على هذا النحو بالموقع موضوع الدراسة أتاح المجال لقيام نشاط زراعى واسع النطاق ويؤكد ذلك أن ابن صاحب الصلاة ذكر أن

الخليفة عبد المؤمن بن على أتاح بمده المياة من عين غبولة الفرصة لسقاية الأرض فازدهرت المهدية بالجنات المغروسات وتزينت بالبحيرات مما ساعد على اجتذاب عناصر سكانية واستقرارها بالمهدية بها (٣٥٥)، كما أشار كل من صاحب الاستبصار والحميرى إلى قيام أهالى رباط الفتح بزراعة الأشجار ذات الثمار المختلفة والزيتون والأعناب والكروم حول منارة جامع حسان(٣٥٦).

ويتضمن الظهير الذى أصدره الخليفة الموحدى الرشيد لأهالى شرق الأندلس المهاجرين من بلادهم بعد سقوطها فى أيدى الأرجونيين من النصوص ما يشير إلى الثروة الزراعية المزدهرة بمدينة رباط الفتح، فقد ورد فى نص الظهير ما يؤكد توفر عوامل الإستقرار فى رباط الفتح من حيث وفرة المواد المعيشية وسهولة الربح والتكسب، واتساع الأراضى الصالحة للزراعة لاسيما زراعة الكروم، من ذلك النص التالى «فإنه (رباط الفتح) مناخ التاجر والفلاح وملتقى الحادى الملاح والمرافق من بر أو بحر موجودة فى فصول السنة، مؤذنة لقاطنة بالمعيشة الهنية والحال الحسنية، ولهم أفضل ما عهده رعايا هذا الأمر العزيز أدامه الله تعالى من التوسعة على قوتهم كى يزداد قوة، والرفق بضعيفهم حتى ينال يساراً وثروة، وأن يتوسعوا فى الحرث ففى أرضه هنالك متسع، ويتبسطوا فى كل مالهم منه مكافئ وبه منتفع، ويغرسوا الكروم وأنواع... على عادتهم ببلادهم»(٣٥٧).

وعلى الرغم من توافر المقومات الاساسية للزراعة فى مدينة رباط الفتح فإنه تجدر الإشارة إلى أن هذه المدينة تعرضت شأن غيرها من مدن الغرب الأخرى لسلسلة من الكوارث الطبيعية التى أدت إلى حدوث القحط والجفاف أشهرها المجاعة والوباء الذى حل بالبلاد سنة ٧٤٩ هـ / سنة ٧٥٠ هـ (٣٥٨).

كذلك يذكر رينو فى بحثه عن الطب القديم بالمغرب أنه رغم وفرة المياه برباط الفتح إلا أن هذه المياه وإن كانت تصلح للرى إلا أنها لا تصلح للشرب أذ لم تكن تخلو من جراثيم تؤدى فى سلا إلى الاصابة بداء الفيل وفى رباط الفتح بداء الفتق(٣٥٩).

ويعتبر كل من القطن والقمح من أهم المحاصيل الزراعية التى كانت تزرع فى المنطقة المحيطة برباط الفتح وسلا، ويؤكد ذلك ما أورده ليون الأفريقى عند حديثه عن سلا فهو يقول «وضواحى سلا كلها رملية إلا بعض الأراضى الزراعية التى ينبت فيها القليل من القمح، غير أن البساتين كثيرة وذلك الحقول التى تنتج كمية عظيمة من القطن ومعظم سكان المدينة حائكون يصنعون ثياباً من القطن فى غاية الرقة والجمال...»[٣٦٠].

وكان الكتان يزرع فى سلا وأحوازها، وليس من المستبعد أن زراعته امتدت إلى رباط الفتح[٣٦١].

ونعمت رباط الفتح بوفرة طائلة فى الثروة السمكية، فقد ورد فى كتابى الاستبصار والروض المعطار ما يؤكد كثرة الأسماك والحيتان بأنواعها المختلفة لاسيما الشابل حول الجسر أو القنطرة التى أقامها الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف على نهرابى رقراق ليربط بين كل من سلا ورباط الفتح [٣٦٢]، وكذلك فى الثروة الحيوانية حيث تكثر المراعى الصالحة للسائمة[٣٦٣].

وترتب على الانتاج الزراعى قيام صناعات هامة مثل صناعة المنسوجات القطنية والكتابية، وعصر الزيوت من الزيتون والخمور من الكروم[٣٦٤] وتمليح الأسماك.

ونرجح أن تكون صناعة الوراقة ازدهرت برباط الفتح ومنطقتها باعتبارها صناعة قائمة على الكتان والقطن. ويؤكد ذلك ما عُرِف عن الخليفة الموحدى ابى حفص عمر المرتضى بن السيد ابى ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن (تـ سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧م) الذى كان والياً على سلا ورباط الفتح قبل توليه الخلافة، فقد كان خطاطاً بارعاً فى الكتابة المصحفية وغيرها وكان يكتب بثلاثة أنواع من الخطوط، ولا يزال يوجد بخطه أثران جليلان أحدهما ربعة قرآنية تتألف من عشرة أجزاء كتبها عام ٦٥٤ هـ (١٢٥٦م)، وخطه فى الباقى منها مغربى مبسوط جيد الوضع والضبط مع كتابة خواتم الأجزاء بالخط المشرقى الثلث ثم كتابة توقيعات وقفها

بخط مشرقي نسخي مما يدل على اجادته الكتابة بالطريقتين المغربية والمشرقية، والأثر الثاني، نسخة من الموطأ للإمام مالك بن أنس في سفرين انتسخهما بخطه من أصل عتيق مقروء على المشيخة. وقد ورث السيد أبو زيد ابن الخليفة عمر المرتضى مهنة النساخة عن أبيه*.

وكان أبو عبد الله محمد بن ابى العباس أحمد الزهرى قاض سلا والرباط (المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) ناسخاً عظيماً تلقى اصول هذا الفن وتلك الصناعة على استاذه ابى العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الانصارى الأندلسي، نزيل سلا ورباط الفتح (ت سنة ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣م)[٣٦٥].

وقد أسهمت الأربطة في ازدهار هذه الحركة الثقافية المرتبطة بصنعة الكتاب من نسخ وتجليد وتذهيب باعتبارها مقصداً للأولياء والصالحين والعلماء. وهكذا ارتبطت الحركة الثقافية في المغرب بظهور الأربطة لاسيما في عصر المرابطين وهذا في حد ذاته رد على الاتهام الذى اتهم به المرابطون بالجهل والبداوة، وقد أدت هذه الحركة العلمية والثقافية في الأربطة الاسلامية بالمغرب الى ازدهار صناعة الجلد والرق والكاغد لتوزع الكتب على الطلاب بالمجان، فكانت هذه الأربطة المغربية تضم دوراً لاستنساخ المصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه، وكان لكل رباط مكتبة جدارية مفرغة في طاقات من الحائط بها النسخ الأم[٣٦٦].

ويؤكد ليون الأفريقي أن رباط الفتح اكتظت باعداد هائلة من الصناع والعلماء والتجار ويشير إلى السياسة التي انتجها خلفاء الموحدين وسلاطين المرينيين لجذبهم إلى المدينة، من ذلك قوله «أراد الملك أن يستوطن المدينة عدد كثير من الصناع العلماء والتجار، فأمر أن يمنح كل ساكن فيها تعويضاً علاوة على ما تدر عليه مهنته من ربح. وقد أدى انتشار هذا الخبر إلى إجتذاب أناس كثيرين من كل الأصناف ومختلف المهن، بحيث أصبحت الرباط بعد قليل من أشرف المدن وأغناها في أفريقيا كلها، إذ كان لسكانها دخل مزدوج التعويض المقرر، وما يربحونه

في معاملاتهم مع العسكريين ورجال الحاشية الملكية. وكان المنصور يقيم بهذه المدينة في بداية شهر ابريل الى شهر سبتمبر.....»[٣٦٧].

وقد اقترن الإزدهار الزراعي والصناعى برباط الفتح بازدهار تجارى، ولعل فى النصوص التى أوردها ابن صاحب الصلاة فى المن بالامامة عن وجود اسواق منذ البداية بالمهدية وكذلك فى ظهير الخليفة الموحدى الرشيد وفيما أورده ليون الأفريقى عن التوافد المتتابع للصناع والعلماء والتجار[٣٦٩] إلى الرباط، ما يؤكد ذلك.

كذلك يتحدث صاحب الاستبصار عن سوق كبيرة (قيسارية) وفنادق برباط الفتح مما يؤكد اتساع الحركة التجارية بالمدينة[٣٧٠] وقد أكد الحميرى هذا المفهوم عندما تحدث عن قيساريتها وفنادقها العديدة[٣٧١].

ومن الواضح أن نشاطاً تجارياً واسع النطاق طرأ على رباط الفتح فى العصر الموحدى وربما كان ذلك حافزاً للموحدين لاجراء تعديلات على النظام النقدى الذى كان معروفاً منذ عصر المرابطين، فقد نقشوا فى وسط دائرة الدينار، شكل مربع نقشت فى أحد وجهيه عبارات التحميد، وعلى الوجه الآخر اسم المهدى، واسماء الخلفاء من بعده واختاروا وحدة سكتهم ضعف ما كانت عليه لتماثل فى وزنها الدينار القديم[٣٧٢]. وكان المرابطون قد ضربوا عملتهم ذهبية وفضية فى معظم المغرب، والأندلس مثل اشبيلية وبلنسية والجزيرة الخضراء ودانية وغرناطة وقرطبة ومالقة ومرسية وسرقسطة وقونكة واغمات وتلمسان وسجلماسة وفاس ومراكش ونول لمطة وسبته[٣٧٣] وسلا.

وقد وصلت الينا عملات أجنبية ترجع إلى عهد الخليفة الموحدى الناصر، عثر عليها فى رباط الفتح[٣٧٤] مما يعبر عن قيام نشاط اقتصادى فى هذه المدينة[٣٧٥].

ويذكر بعض المؤرخين أن تجار بيزا كانوا أكثر التجار الأوروبيين نشاطاً فى بلاد المغرب فقد نجحوا فى عقد بعض الاتفاقيات زمن الموحدين لتأمين أشخاصهم

ومصالحهم التجارية، وخصصت لهم فنادق لايداع سلعهم[٣٧٦] التجارية في حين يرى البعض الآخر أن جنوة كان لها سبق احتكار التجارة في العصر الموحدى. وازدادت هذه الاتفاقيات التجارية بين الدول الغربية وبلاد المغرب زمن بنى مرين، فقد عقد السلطان أبو الحسن سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٩م) في تلمسان معاهدة سياسية تجارية مع وفد ميورقة وسمح لرعايا ميورقة بموجب هذا الاتفاق بالتجارة في المغرب[٣٧٧]. كذلك عقد السلطان أبو عنان معاهدات للصلح مع البرتغال وقشتالة وارجون وميورقة وصقلية وجنوه، وكان من أثر المعاهدة مع جنوة على وجه الخصوص أن تدفقت تجارتها على المغرب فأمتلأت بتجارهم دواوين[٣٧٨] اقطاره.

وفي تصورى أن مدينة رباط الفتح كانت من بين هذه المدن التي تعاملت تجارياً مع بيزا وجنوة في عصر دولتي الموحدين والمرينيين لكثرة اعداد الفنادق التي أشارت اليها المصادر العربية وكذلك لاشتمال المدينة على قيسارية.

وكنا قد اثبتنا في دراستنا السابقة أن رباط الفتح كانت ميناءاً بحرياً حربياً، ولا نستبعد ان يكون هذا الميناء قد استخدم في أغراض تجارية كذلك [٣٧٩]، كذلك كانت منطقة سلا ورباط الفتح بمثابة ملتقى للطرق السهلية والجبلية من تادلا، والساحلية وأصبح طريق الساحل الموحدى يمتد من نول في البلاد الغربية عبر سبتة ووهران وتنس إلى طرابلس[٣٨٠].

بقي أمر واحد نود التنويه به، وكان له أثر كبير في نشاط الحياة الاقتصادية برباط الفتح واعني به دور رباط الفتح منذ انشائها كرباط للجهاد ومركز لتجمع المرابطين والمثاغرين في سبيل الله، ومن المعروف أن أهل الاربطة كانوا يحترفون بعض الحرف لدعم مواردهم، ولهذا عمدوا للانفاق على متطلبات الجهاد من اقتناء السلاح والعمل على ترميم الحصون والأسوار وتوفير الاعلاف للخيل إلى القيام ببعض النشاطات الاقتصادية، من ذلك احتراف الصيد والاشتغال بالزراعة وصناعة السيوف وسائر الاسلحة. وكانت حرفة صيد الأسماك في الأربطة القائمة على

السواحل، من أهم الحرف التى يقوم بها المرابطة، ومصدراً للمال الحلال الذى من أجلة ترك الفقهاء والعلماء والصلحاء المدن والقرى. كما اشتغل هؤلاء الصلحاء المرابطين فى الأربطة بالزراعة فاستصلحوا الأرض البور. وفيما يتعلق بقصبة رباط الفتح فلا يمكن أن نتصور أن المجاهدين الذين كانوا يحلون بها منذ أن انشئت زمن المرابطين لقتال برغواطة، كانوا يعانون من البطالة، فابن حوقل كما سبق ان أشرنا، أكد أنه كان يجتمع فى رباط سلا وما حوله ما يزيد على مائة ألف انسان، ولا يمكن أن يجتمع هؤلاء المتطوعة والمنقطعين للجهاد ضد برغواطة دون أن يقوموا بأى نشاطات لكسب عيشهم.

الفصل الرابع

أهم آثار الموحدين والمرينيين الباقية بمدينة رباط الفتح

أ- منشآت الموحدين بالقصبة:

ذكرنا فيما سبق أن الخليفة عبد المؤمن بن على اهتم بتنفيذ أوامر المهدى بن تومرت باعادة بناء رباط تاشفين بن على الذى كان قد أقامه على أساس الرباط القديم الذى ذكر ابن حوقل أن المرابطين اقاموه لقتال برغواطة(٣٨٢)، وذلك بالضفة اليسرى من نهر ابى رقراق. وكان هدف تاشفين من انشائه محاربة المهدى بن تومرت وكان الرباط المرابطى القديم قد أقيم بدوره فى نفس البقعة الى كانت تشغلها القلعة الرومانية القديمة.

وقد أقام عبد المؤمن فى موضع رباط تاشفين معسكراً أراد له هذا الخليفة الموحدى أن يكون مؤسسة عسكرية دائمة، لذلك أقام فيه، قلعة تشرف على النهر والبحر المحيط وهى ما تعرف اليوم بقصبة الودابة. وتشتمل هذه القصبة التى أصبحت نواة مدينة رباط الفتح فيما بعد، داخل أسوارها المرتفعة بأبراجها وبواباتها الضخمة على قصر ومسجد*.

١- السور الخارجى للقصبة:

تقع القصبة التى بناها عبد المؤمن بن علىّ، على مرتفع صخرى غير منتظم الشكل بحيث تحكم شكله فى تخطيط القصبة فهى ليست مثلثة الشكل ولا مربعة وليس لها شكل هندسى مميز، بل أن تخطيطها يخضع تماماً لموقعها بأعلى المرتفع.

ويدور بالقصبة سور يمتد بطول نهرابى رقراق بمسافة تزيد فى الطول عن المسافة التى يواجد فيها السور البحر المحيط، ويتخذ هذا السور مخططاً يتميز بشكل غير منتظم الشكل خماسى الأضلاع، وأول أثر يظهر من هذا السور

يتمثل فى قطاع يقع قريباً من الركن الشمالى من المرتفع الذى بنيت عليه القصبة. وينقسم هذا القطاع من السور إلى قسمين غير متساويين، أما بناؤه فمن كتل من الدبش، صفت فى مداميك منتظمة، وتتميز أركان هذا القطاع من السور بقطع من الحجارة المصقولة والمنتظمة، ويلى ذلك شرقاً على بعد أمتار، صفوف كثيرة من الدبش تشكل بوضوح بقايا جدار يصاقبه أساس الوجه الشمالى الشرقى من بناء كان يعرف باسم مخزن «مولاي يزيد» أقيم من كتل حجرية من الدبش تماثل ما سبق الاشارة إليه وترجع الى نفس الفترة(٣٨٣). وهناك آثار أخرى أكثر أهمية للسور الموحدى تقع بين البناء المعروف بالمدورة الذى تغمره مياه النهر فى أوقات المد.

ويحتفظ السور الموحدى المواجه للبحر المحيط بكيانه الى حد كبير. ويختلف ارتفاع السور فى الوقت الحاضر من موضع إلى آخر، ولكنه يتراوح فى القطاع المطل على المحيط، وهو الوجه الشمالى الغربى ما بين ٨ر٥١ مترا، ١٢ر٩٥ مترا، ووجه الاختلاف يمكن تفسيره بانحدار التربة الأرضية في الطريق خاصة لعدم استواء الصخور التى أقيم عليها. ويتراوح ارتفاعه عند المقبرة وساحة السوق ما بين ١٠,٦ متر، و ١١,٩٥ متراً. أما سمك السور فيبلغ في المتوسط ٢,٥٠ متراً.

ونلاحظ أن بنيان السور الموحدى المحيط بقصبة عبد المؤمن بن على يقوم أساساً على كتل الدبش نظمت في صفوف منتظمة، وان كان يختلط فى كثير من الأحيان بقطع من الحجارة الملساء، ويغطى هذا البناء كسوة سميكة من الملاط تساقطت فى بعض مواضع من السور. أما بنية القسم العلوى من السور أو على الأقل الساتر العلوى لممشى السور فمن الطابية بارتفاع يبلغ نحو سبعين سم، ونلاحظ أن ضخامة سمك السور أتاحت وجود ممشى علوى ما زال باقياً في اجزاء مختلفة من السور، ،نشهده في جانبين من البرج الواقع فى الركن الغربى(٣٨٤).

٢- ابراج سور القصبة:

يتخلل بدنات السور، أبراج، لم يتبق من القطاع المحاذى لنهرابى رقراق حالياً منها ما يشير إلى ما كانت عليه، وكل ما تبقى من الأبراج يقتصر على قطاع السور المطل على البحر المحيط. وهذه الأبراج إما تدعم السور أو تتوزع فى الأركان.

وتتميز الأبراج المواجهة لطريق الساحل بالضخامة والاستطالة فى الشكل، ويفصل بين كل برج منها والآخر نحو ١٩ متراً بالنسبة للأبراج الخمسة الأولى، و ١٥ متراً بالنسبة للأخرى.

ويختلف ارتفاع الأبراج كما هو الشأن بالنسبة لارتفاع سور القصبة ولنفس الأسباب[٣٨٥] ولكنه يتراوح ما بين ٨,٤٢ مترا، و ١٢,٤٥ مترا وجميعها بنفس ارتفاع مستوى السور باستثناء برج واحد منها أقيمت عليه غرفة.

أما واجهة كل برج فتتراوح فى الطول ما بين ٥,٢٠ مترا، ٥,٥٠ متراً، وتبرز عن سمت السور بوجه عام بنحو ٢,٧٦ متراً و ٢,٩٩ مترا.

وقد بنيت هذه الأبراج جميعاً بقطع منتظمة من الدبش، كما كسبت بكسوة من الملاط من نفس نوع كسوة سور القصبة.

أما الأبراج القائمة فى أركان السور فهى ثلاثة، احدهما أقيم فى الركن الغربى وثانيها البرج الذى يقع عند اتصال السورين الثانى والثالث، وأخيراً البرج الشرقى. ويتخذ البرج الواقع فى الركن الغربى شكلاً خماسياً غير منتظم الأضلاع ويبلغ ارتفاعه من جهة الشمال الغربى ١٢,٨٦ متراً، وسمك جدرانه يتراوح ما بين ٩٧ سم، ٨٠ سم، وتبرز من ضلوعه الخمسة أربعة ضلوع، أصغرها ضلعان يتعامدان مع السور ويبرزان عنه عند القاعدة بنحو ٣,٠٣ سم. وقد استخدمت فى بنائه نفس المواد البنائية المستخدمة فى الأبراج الأخرى. ومظهر البرج يتشابه تماماً مع الأبراج الأخرى، أما تخطيطه فيختلف باعتبار أنه

برج ركنى. ولقد تعرض هذا البرج لبعض الترميمات المتأخرة عن القرن السادس الهجرى. ويرجح **كاييه** Caillé أنها ترجح إلى أيام الأسرة[٣٨٦] العلوية.

أما البرج الواقع عند ركن التقاء القطاعين الثانى والثالث من السور فقد تشوه فى بعض أجزائه، فى حين أن البرج القائم عند الطرف الشرقى فنصف اسطوانى ويتكون من ثلاثة طوابق.

ويعلق **كاييه** Caillé على نظام بناء سور قصبة عبد المؤمن وأبراجه بقوله «أنه يبدو وسطاً بين البناء المرابطى والبناء بالطابية»، ويفسر رأيه على اساس أن أسوار المرابطين كانت تبنى عادة من الدبش أو الدبش والآجر وأحياناً من الدبش وقطع الحجر المستوية، ومن ذلك قلعة أمرجو التى كانت مبنية من الدبش المنتظم للغاية[٣٨٧].

ويزودنا **تيراس** Terrasse فى كتابه L'Art Hispano Mauresque بتفاصيل وافية عن مواد البناء زمن المرابطين والموحدين، فهو يذكر ما يشير إلى أن أسبانيا الإسلامية بدأت تستخدم الطابية فى بناء الأسوار منذ القرن الخامس الهجرى (العاشر الميلادى) بينما استخدم الموحدون الطابية فى المغرب بدلاً من الحجر[٣٨٨] منذ قيام دولتهم.

ومن الجدير بالذكر أن نظام بناء الأبراج يتفق تماماً مع التقاليد الأندلسية المغربية وأن أبراج الأركان ونظامها يؤكد قدرات عالية فى الدفاع وهو ما كانت تحتاج الأسوار إليه فى أركان النطاق المسور[٣٨٩].

٣- البوابة الرئيسية للقصبة:

ينفتح فى أسوار القصبة ثلاثة أبواب، البوابة الرئيسية[٣٩٠]، وهى المعروفة ببوابة ساحة السوق لإطلالها عليه، والثانية تنفتح بين البوابة السابقة وأحد الأبراج، وهى بوابة بسيطة ومباشرة ويرجعها كاييه Caillé إلى عصر الأسرة العلوية[٣٩١]. أما البوابة الثالثة فتنفتح فى القطاع الرابع من السور فى مواجهة

الجانب الشمالي الشرقي من المتحف، وهي عبارة عن باب فتحته مستقيمة ومباشرة، ويرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجرى (١٢م). ويتوسط الواجهة الخارجية لهذه البوابة عقد متجاوز ومنكسر لم يتبق منه سوى بعض سنجات من الحجر، تسعة من الجمهة الشمالية الغربية، وخمسة من الجهة الجنوبية الشرقية.

وتنفتح البوابة الرئيسية على ساحة السوق، ويبلغ طولها ٣٨,٦٠ متراً فى حين يبلغ عرضها ١٦ متراً، أما ارتفاعها فيتراوح ما بين ١٢، ١٣ متراً ولهذه البوابة ممر منكسر واحد. ويعلو البوابة سطح يسيطر على كل البناء ويعلو فتحة المدخل عقد متجاوز منكسر انكساراً بسيطاً للغاية، ويلى هذه الفتحة ممر مستطيل الشكل يعلوه قبوة نصف اسطوانية. ويلى ذلك عقد ثان يشبه الأول يتيح للداخل أن يصعد إلى الغرفة الأولى. وتبلغ مساحة هذه الغرفة ٧,٤٨م × ٧,١٢ متراً مربعاً، وتعلوها قبة أرتفاعها ١١,٣٤م قائمة على مقرنصات ركنية مثلثة.

أما الغرفة الثانية فتشبه الأولى سواء فى الارتفاع والاتساع، وتعلوها قبه تقوم كذلك على مقرنصات مثلثة. ونلاحظ أن الجانب الأيمن من هذه الغرفة (الثانية) يمثل ممرا مستطيل الشكل عرضه ٢,٩٦ متراً وطوله ٥,٧٩ مترا. ويعلو هذا الممر قبوة نصف اسطوانية تتشابه مع نظيرتها فى المدخل. والواجهة الداخلية لهذه البوابة لا تشمل على أية بروزات ولكنها مزودة بدعائم تقوم عليها كوابيل وتختلف نسبتها عن تلك التى بالمواجهة الخارجية وللإرتقاء إلى الغرفة الثالثة يستلزم على الداخل أن يصعد خمس درجات، وأن يجتاز عقدا متجاوزا لنصف الدائرة يبلغ ارتفاعه ٤,٩٦ مترا واتساعه ٢,٦٦ مترا. وتتميز هذه الغرفة الأخيرة (الثالثة) بأن لها نفس اتساع الغرفتين السابقتين، ولكنها تزيد عنهما طولاً (يبلغ طولها ٨,٣٢ متر) ولها قبوة نصف اسطوانية، وعلى الجانب الأيمن من هذه الغرفة ردهة أصغر من الردهتين السابقتين، ولها باب معقود بعقد متجاوز تجاوزاً بسيطاً يرتفع إلى ٣,٧٢ مترا فوق مستوى الأرض.

ويدور بالبوابة الرئيسية من أعلى ممشى للسور مزود بشرفات. ويؤكد كاييه

Caillé أن تخطيط البوابة الرئيسية للقصبة بممرها المنكسر يشبه النظام التخطيطي للبوابة الضخمة التى تنفتح فى سور مدينة رباط الفتح كما سنوضح على الصفحات التالية، وإن كان يختلف عنها من حيث توزيع الغرف[٣٩٢]. ويؤكد **تيراس** Terrasse أن هذه البوابة الرئيسية أضيفت إلى القصبة التى بناها الخليفة عبد المؤمن بن على زمن حفيده أبى يوسف يعقوب المنصور شأنها فى ذلك شأن كل أبواب مدينة الرباط نفسها، ومن بينها باب الرواح[٣٩٣]. وتتخذ هذه البوابة الرئيسية للقصبة بضخامتها مظهر البوابات العسكرية المنيعة فهى تظهر لأول وهلة على أنها بنيت لهدف عسكرى بحت، فهى تبرز عن بدنة السور بصورة لافتة للنظر وموحية بقدراتها الدفاعية وصلابتها، ولكن إذا ما اقتربنا منها عن كثب فسنجد أنها ضعيفة من حيث القيمة الاستراتيجية، وهى أقل فى الواقع فى كفاءتها الحربية كثيراً عما توحى به[٣٩٤].

وكان الجند المكلفون بحراسة هذه البوابة يقيمون بالغرفة الأولى فى حين كان الخلفاء يستخدمون الغرفتين الأخريين للاقامة على شاطئ نهر ابى رقراق كما كانوا يستقبلون فيها الرعية.

ومن الجدير بالملاحظة أن جدران هذه البوابة الرئيسية بنيت بكتل من الدبش على غرار أسوار القصبة، كما استخدم الحجر المصقول فى بعض الأحيان.

كما نلاحظ الاهتمام الكبير الذى أولاه البناءون للواجهة المطلة على السوق، فقد بنيت بقطع جميلة منسقة من الحجارة المصقولة ذات مقاييس متوسطة وصُفّت على نحو يظهرها متعاقبة ويفصل بينها ملاط من نوع فاخر، ولا تشكل هذه الحجارة مجرد كسوة فحسب كما هو الحال فى باب أجناو بمراكش أو باب الرواح، فهى تشغل كل سمك الجدار.

والبناء بأكمله لا أثر فيه للطابية، وهو أمر يسترعى الغرابة لبناء من القرن

السادس الهجرى (١٢م) وفى عصر كانت العمارة الحربية فيه بالمغرب قد تميزت باستخدام الطابية بدلاً من الحجر[٣٩٥] كما سبق أن أشرنا. وبناء على تأكيد تيراس Terrasse بأن المنصور هو صاحب الفضل فى بناء هذه البوابة، فإن تعليل كايبه Caillé لذلك التساؤل يبدو منطقياً، فكايبه يرى أن الخليفة الذى قام ببناء البوابة (المنصور فى رأى تيراس) كان يسعى إلى إظهارها بصورة مماثلة لنظام بناء السور الذى كان قد بنى زمن جده عبد المؤمن، وكذلك أراد أن يجعلها تبدو فى مظهر يختلف عن أبواب رباط الفتح الأخرى[٣٩٦].

ونلاحظ أن عرفاء البناء اعتنوا ببناء القباب التى تعلو الغرف فهى تعطى انطباعاً بالأناقة البالغة، وفى نفس الوقت تبدو أبعد ما تكون عن القباب البيزنطية وكذلك عن القباب المرابطية مثل التى ظهرت ف جامع تلمسان، وقد استخدمت قوالب الآجر فى قنوات الدرج والممرات مثلما استخدم الآجر فى أعلى السور.

وزخارف البوابة تبدو من الداخل محددة للغاية، وخير مثال على ذلك الغرف الثلاثة الداخلية، فعقدا مدخل الغرفة الأولى، وعقود الجوانب الأربعة فى الغرفة الثانية تزدوج وتتحول إلى عقود ضخمة مفصصة نصف دائرية، فصوصها مستديرة يرسمها شريطان متقاطعان يخلوان من أية زخارف، ولكن هذه العقود المفصصة ترتكز عند منابتها على تكوين زخرفى ثعبانى الشكل، كما تنحصر المقرنصات المثلثة للقبة التى تعلو الغرفة الثانية داخل الأطراف السفلى لظهور العقود المفصصة وتؤلف حشوات ذات أشكال مثلثة كسيت جميعاً بزخرفة زهرية محفورة فى الحجر، كما تبدو فى الأعلى مروحة نخيلة مكونة من خمسة فصوص تحيط بها مراوح بسيطة[٣٩٧].

أما القاعة الثالثة فهى عارية تماماً من الزخرفة.

وبعكس ذلك نلاحظ أن كل جهود المزخرفين تتركز على بابى الغرف،

ففيها تبدو الزخرفة المنحوتة في الحجر، غنية ومتنوعة. ونلاحظ - مع الالتزام بعدم الدخول في تفاصيل فنية - أن هذه الزخارف تزداد في المواجهة وتشتمل على العناصر التقليدية الهندسية والنباتية والخطية، منها ما كتب بالخط الكوفي وإن كان قد تآكل في معظمه، ونلاحظ أن التأثير الأندلسي واضح في هذه الزخارف فالتشكيل الثعباني مثلاً نجده في قصر الجعفرية بسرقسطة وفي قلعة بني حماد[٣٩٨]. كما يظهر بصورة واضحة في بقايا عقود الصحن بجامع اشبيلية من عصر يوسف بن عبد المؤمن تتميز بغلبة العناصر النباتية وتتمثل فيها الدقة والجمال والأناقة، ورغم أن هذه البوابة قد قصد منها أن تكون بوابة حربية تحمي القصبة إلا أنها لا تبدو في الحقيقة مثلاً صادقاً للبناء الحزبي فهي تضم غرفاً وقاعة استقبال مما دعا بعض المؤرخين أمثال بوچندار إلى أن يعتبروها بوابة عظمى للقصر خاصة وإن كل ما تزدان به لاسيما في المواجهة يشير إلى أنه باب مترف يعبر عن الفخامة أكثر مما يعبر عن الدفاع[٣٩٩].

٤ - السور الموحدي الداخلي بالقصبة:

نلاحظ أن هذا السور الداخلي اختفى في كثير من المواضع، وفي بعض الأحيان نجده متدرجا، وقد تعرض هذا السور لكثير من أعمال الترميم ولكن ما تبقى منه يكفي لاعادة تصور ما كان عليه.

ومن الواضح أن هذا السور الموحدي الداخلي، فقد القسم العلوي القديم ومن المتعذر اعادته اليوم على صورته الأولى. ويؤكد كاييه Caillé أن هذا القسم العلوي المفقود كان مزوداً بجدار علوي وممشى[٤٠٠].

٥ - قصر عبد المؤمن بن علي:

كنا قد أشرنا في الصفحات السابقة إلى شروع عبد المؤمن بن علي في انشاء قصر بالقصبة استناداً على نص أورده البيذق[٤٠١]، وإن كان بناء هذا القصر لم يقدر له أن يتم إذ رحل الخليفة دون أن يتمه، ولكننا رجحنا أن بناء

القصر أكتمل فى عهد عبد المؤمن استناداً إلى رواية ابن صاحب الصلاة[٤٠٢].

ويعتقد **الاستاذ عبد الله السويسى** أن قصر عبد المؤمن بن على كان يقع فى الجهة المقابلة للمسجد، وأنه كان مسامتاً له، ولكن آثار هذا القصر درست للأسف بسبب الحروب التى تشبت بين الموحدين والمرينيين، كما يرى أن السلطان سيدى محمد بنعبد الله جدد تحصينات القصبة ورمم ما تهدم منها وبنى برج صقالة ابن عائشة على يد أحد الأعلاج الانجليز، كما بنى برج الصراط، فألغى السباط الذى كان قائماً بين القصبة والقصر الجديد، وهدم القصر الموحدى الذى كان يحتفظ حتى هذا العهد بجميع مقوماته.

ويذكر اسم دار أخرى كانت مقامة بالقصبة أسماها دار بركة. وأكد أنها كانت جزءاً من «دار المهدى بن تومرت مؤسس القصبة» على حد تعبيره، كما يذكر أن معالمها قد تغيرت بما ادخل عليها من تعديل وهدم، وانها كانت تتألف من طابقين. انها كانت تتميز باشرافها على الوادى وهضبة حسان بموقع رائع ولهذا فقد اتخذها أحد المسئولين الاجانب مقراً له زمن الاحتلال[٤٠٣].

وإذا كنا نأخذ بما أورده الاستاذ السويسى بشأن موقع القصر ومصيره فيجدر بنا أن نتوقف قليلاً بشأن ما أورده عن دار البركة. فهو ينسب دار البركة إلى المهدى بن تومرت بل أنه نسب اليه تشييد كل بناء القصبة وهذا ما لم يرد فى أى مصدر من المصادر العربية اللهم إلا إذا كان الاستاذ السويسى قد فسّر النص الذى أورده عبد الواحد المراكشى فى المعجب والذى سبق أن أشرنا [٤٠٤] إليه وذكر فيه أن المهدى كان أول من فكر فى بناء مدينة حول القصبة المرابطية، وأنه أمر الموحدين بذلك، بأن المهدى هو الذى قام ببناء القصبة فعلاً، وهذا القول لا يستند إلى ما يدعمه من نصوص لأن جميع المصادر أكدت أن عبد المؤمن هو الذى ابتنى القصبة وليس المهدى كما سبق أن أوضحنا فى الصفحات السابقة.

بل أن الدكتور **عبد الهادى التازى** ربط بين القصر الذى ابتناه عبد المؤمن ابن على والذى اعتاد الخلفاء الموحدون وعلى رأسهم ولده أبو يعقوب يوسف النزول فيه، وبين دار البركة الواقعة فى أقصى طريق الجامع مشيراً إلى أن هذا الإسم مستوحى دون شك من لفظ (البركة) الشاع(٤٠٥) استعماله عند الموحدين. وأياما كان الأمر فإننا لن نستطيع ان نتحدث تفصيلياً عن قصر عبد المؤمن بن على لدثوره ولعدم تبقى آثار منه سوى الباب، لذلك فعلينا أن تكتفى بدراسة باب القصر الذى وصفه كاييه Caillé بأنه باب كبير واسع، قد سقط عقداه وقبوته. ولكن تبقت آثار لجانبين كبيرين منه، وتنحصر احدى هاتين الكتلتين الجانبيتين اليوم بين جدران وفناء بيت خاص فى حين توجد الكتلة الثانية ملاصقة لبيت آخر. ومما لاشك منه أن آثار الباب المخربة، اعيد استخدامها فى الأبنية المجاورة مما يتعذر معه التعرف على تخطيطه الأصلى(٤٠٦) ويبلغ ارتفاع ما بقى من جانبى الباب ستة أمتار، وإن كانا قد فقدا أجزاءهما العليا، أما مادة بنائهما فمن الدبش الغليظ التى انتظمت على نحو مستقيم، وارتبطت فيما بينها بملاط كثيف، ومن الملاحظ أن قوالب من الآجر حلت فى الطرف الشمالى الشرقى محل الدبش بسمك ٦٠ سم. ويلتصق بهذه القوالب اليوم بالجانب الجنوبى الشرقى من آثار الباب، كسوة من الحجر المصقول، تعلو نحو مترين فوق مستوى سطح الأرض، وقد انتظمت على نحو متعاقب(٤٠٧). ويكتنف كل من الكتلتين دعامة ضيقة من الحجر المصقول يبلغ طولها ٢٦ سم تبرز بنحو ١٠ سم.

وقد تبقى من عقدى الباب، آثار بسيطة من العقد الشمالى الشرقى فقط، ونستنتج من هذه الآثار أن العقد كان مبنياً من الآجر وأن اتساعه كان يبلغ ٤,٤٥ مترا فى حين أن سمك فتحته كانت تبلغ ٦٠ سم. وكان هذا العقد ينبت من دعامتين بنيتا من الحجر المصقول. وكان يعلو الممر الذى يلى المدخل قبوة من الآجر بقيت منها آثار تدل على أنها كانت نصف اسطوانية.

والباب من النوع المباشر إذ كان يخلو من نظام الممرات المنكسرة. وقد قام الأثرى كاييه Caillé بمحاولة للعثور على عتبة المدخل، فأجرى حفريات أثرية فى الأرضية لهذا الغرض تحت موقع العقد، ولكنه لم يجد سوى مجرى للصرف أقيم منذ عهد الاحتلال ولكنه عثر على لوحتين رخاميتين، رجح أنهما بقايا عتبة المدخل(٤٠٨).

وكان هذا الباب يفضى إلى نطاق مسور، كان يقوم عليه القصر المندثر. ونظام بناء الباب يكشف عن بناء موحدى واضح المعالم إذ أن أستخدام الآجر لم يعد معمولاً به منذ عصر بنى مرين، ونلاحظ أن آثار الباب تشتمل على سمات تقربه من أبواب رباط الفتح وأبواب القصبة، فإن اتساع عقد المدخل والكتلتين الضخمتين الجانبيتين المقامتين من الدبش، والقبوة المقامة من الآجر، والكسوة الحجرية المبنية من القطع الحجرية المنتظمة للواجهة تؤكد أنه من عصر الموحدين.

ويرى كاييه أن هذا القصر لم يكن يمتد نحو الشمال الشرقى بسبب عدم استواء الأرض فى هذا الجانب، ولهذا فقد امتد نحو الغرب والجنوب الغربى. وعلى هذا الأساس كان موقعه متوسط النطاق المسور فى قبالة الجامع.

وقد أفلت هذا الباب من التدمير الذى أصاب القصر الموحدى زمن السلطان سيدى محمد بنعبد الله على نحو ما حدث بالنسبة لزاوية النساك بسلا(٤٠٩).

٦- مسجد القصبة:

يقوم مسجد القصبة فى أعلى بقعة منها بين شارعى جرارة الممتد إلى الشمال الغربى والجامع فى الجنوب الشرقى(٤١٠). وكان يطل على زقاق يعرف بزقاق الجهاد. ويعتبر ثالث مساجد الموحدين بعد جامع الكتبية وجامع تازة(٤١١) وأول مسجد بالرباط لذلك فقد سمى بالجامع العتيق.

ويذكر **كاييه** Caillé أن المصادر لم تشر صراحة إلى تاريخ بنائه أو إلى

الشخصية التى أمرت بنائه، ولكنه يرجح من خلال دراسته الأثرية أنه من بناء عبد المؤمن بن على[٤١٢]، وقد تعرض بعد ذلك لكثير من الاصلاحات خاصة فى عهد السلطان سيدى محمد بنعبد الله (١٧٥٧ - ١٧٩٠م) على يد رجل انجليزى اعتنق الاسلام يدعى أحمد الانجليزى كما تعرض فى فترة الحماية لكثير من التغيرات[٤١٣].

ونلاحظ أن قبلة هذا المسجد منحرفة لا تتجه تماماً نحو الجنوب الشرقى إذ أن المحراب يزيد فى ميله نحو الشمال عنه نحو الشرق[٤١٤].

ويؤكد كل من كاييه والدكتور محمد الكحلاوى أن المسجد فى تخطيطه العام يفتقر إلى الانتظام [٤١٥] والانسجام فهو يقوم على بقعة مساحتها ٢٦,٥٠ مترا من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى، و ٢٥ متراً من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى، وضلوعه الأربعة ليست متعامدة كلها، فالجانب الشمالى الشرقى الذى ينتظم على نحو منحرف عند طرفيه يتخذ عدداً من الفراغات فيما بينها، ويتكون من بيت للصلاة على شكل T مكون من ٧ بلاطات وثلاثة أساكيب، وصحن مستطيل الشكل مكشوف تحيط به ثلاثة مجنبات، بالإضافة إلى بيت الصلاة أو ايوان القبلة[٤١٦] ويبلغ طول الصحن ١١,٥٥م وعرضه ١٠,٧م، وتتميز العقود المطلة على الصحن بأنها منكسرة ولكنها اصغر حجماً من عقود بيت الصلاة، وتقوم على دعائم مربعة الشكل باستثناء دعائم الأركان. وللمسجد صومعة منفصلة تقوم على بعد امتار من الجدار الجنوبى الشرقى للقبلة وهى مربعة القاعدة طول كل ضلع منها ٤,٥٥م أقيمت من الدبش ولكن أوجهها قد كسيت بقطع حجرية مصقولة ويدور الدرج الداخلى حول نواة مركزية تتألف من غرف صغيرة متراكبة لا أهمية لها. ويدور بأعلى المئذنة شرفات مسننة ويعلو الطابق الثانى بناء أقل حجماً مبنى من الدبش تتوجه قبة مطلقة. ويبدو أن هذه المئذنة هى الصورة المبكرة الأولى لطابع المئذنة الموحدية، فقد تميزت مآذن الموحدين بخصائص جديدة عما كانت عليه المآذن المغربية من

قبل فأصبحت تشيد من الآجر على شكل برج مشرف الذروة مربع القاعدة يعلوه برج آخر مربع الشكل اصغر حجماً ينتهى من أعلى بقبة صغيرة، وخير مثال على تلك المآذن الموحدية مئذنة جامع الكتبية بمراكش(٤١٨).

وقد أضيف للمسجد عدة ملحقات ومرافق على طول هذا الجدار أو بجواره فيها مسجد للجنائز، وغرفة للإمام، وميضأة.

ويصف كابيه المسجد بأنه يفتقد ايضاً إلى الوحدة فى نظام بنائه وشكله العام، فسمك الجدران الخارجية للمسجد غير متساو فيما بينها، ويبلغ فى جدار القبلة والجدار الجنوبى الغربى ٩٠ سم بينما يبلغ فى الجدار الشمالى الغربى ٦٨ سم وفى الجدار الشمالى الشرقى ٥٠ سم فقط، وقد كسيت هذه الجدران بكسوة سميكة.

وكانت تنفتح فى جدران المسجد أربعة أبواب معقودة بعقود مدببة حدوية (متجاوزة لنصف الدائرة) وقد حجبت جميع واجهات المسجد الخارجية بأبنية مستحدثة(٤١٩).

٧- أبنية موحدية أخرى داخل القصبة وحولها:

يذكر بوچندار أن الخليفة العادل الموحدى ابتنى داراً دخل القصبة عرفت **بدار العادل** ولكنها اندثرت ولا يعرف لها اليوم مكان(٤٢٠) بالقصبة.

كذلك بنيت **مدرسة الملاحة** أيام الموحدين بجوار القصبة واتخذها الأندلسيون فيما بعد مقراً يتعلمون فيه فن الرماية والملاحة وباقى الفنون الحربية(٤٢١) والمعروفة أما سقاية القصبة الموحدية فلا تزال قائمة حتى اليوم(٤٢٢).

ويذكر كل من ابن صاحب الصلاة وصاحب الاستبصار أن هناك خزانات للمياه وصهلريج أنشئت حول القصبة كما سبق أن أوضحنا ولكن لم يتبق منها اليوم أية آثار وربما يرجع ذلك لتعرضها للهدم أو الردم(٤٢٢) ويتساءل بعض

الباحثين الحديثين عما إذا كان خلفاء عبد المؤمن بن على قد زادوا بعض الاضافات على المبانى التى كان قد أقامها فى القصبة ويرجح تيراس Terrasse حدوث مثل هذه الاضافات، ومن ذلك البوابة الرئيسية للقصبة التى يؤكد انها اضيفت زمن المنصور كما سبق أن اشرنا[٤٢٤]. وإن كان كاييه يتشكك فى نسبة هذه البوابة إلى المنصور فهو يذكر أن البوابة تتخذ بموقعها مظهراً يشير إلى أنها أضيفت فى فترة لاحقة، لأنها عبارة عن باب مزود بممر منكسر واحد، ويشبه فى مظهره العام نظام ابواب مدينة رباط الفتح كما أن بعض عناصره الزخرفية تذكرنا كثيراً بباب الرواح وعلى الرغم من ذلك فإن كاييه لا يجزم بوجود اضافات ترجع إلى عهد خلفاء عبد المؤمن بن على بالقصبة كما أنه غير متأكد من أن البوابة من عهد المنصور لعدم استناده على أية نصوص تؤكد ذلك.

ب- سور مدينة رباط الفتح:

١- الوصف العام:

شرع الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف فى بناء سور مدينة رباط الفتح بعد أن اختط المدينة ورسم سورها، ولكن الموت عاجله فاستكمل بناءها والده الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور إلى أن أتم سورها على حد قول[٤٢٥] عبد الواحد المراكشى ويمتد سور مدينة الرباط على مسطح من الأرض يبلغ طوله ٥٢٦٣ متراً تقريباً وصل الينامنه اليوم نحو ٥١٨٩ مترا، فى حين يبلغ سمكه أحياناً مترين اثنين ونصف ويصل ارتفاعه إلى عشرة أمتار[٤٢٦].

وكان هذا السور يحمى مدينة رباط الفتح من الجهتين الغربية والجنوبية فحسب بينما كانت المرتفعات الغربية ووادى بورقراق والمحيط من الجهات الغربية تحميها من الجهات الأخرى.

ويبدأ القطاع الغربى من السور من برج الصراط ويمتد تجاه الجنوب الشرقى ثم ينحرف نحو الشمال إلى أن يصل إلى الوادى قريباً من قلعة شالة، بحيث

يفصل بينهما السور الأندلسى الممتد من باب الحد أو الأحد إلى برج سيدى مخلوف المطل على الوادى، وهذا السور أحدثه الأندلسيون بعد هجرتهم من الأندلس إلى الرباط فى بدايات القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى). ويتصل بالسور الموحدى من جهة المحيط سور أشبار، ويبدأ من برج الصراط إلى فم الوادى قبالة القصبة. أما السور العلوى الخارجى الذى هو من بناء سيدى محمد بن عبد الرحمن، فيبدأ من ساحل البحر على بعد ألف وسبعمائة واربعين متراً (١٧٤٠م) من الجنوب الغربى لبرج الصراط، ويمتد نحو الجنوب الشرقى ثم ينعطف إلى أن يتصل بسور الموحدين على مسافة تبعد ٥٠٠م من دار السلطان التى تحيط بها سور أكدال الكبير.

وينفتح فى سور المدينة الموحدى خمسة أبواب هى: باب العلو، وباب الحد، وباب الرواح والباب الموازى للقصر الملكى من جهة الغرب، وباب زعير من جهة الجنوب[٤٢٧].

ونلاحظ أن السور الموحدى، على الرغم من قدمه إلا أنه لم تتشقق منه أو تتصدع أية أجزاء على الاطلاق. وما زال السور قائماً على امتداده باستثناء الطرف الشرقى من القطاع الجنوبى للسور بحذاء طريق بورقراق الذى تهدم بعد فترة الحماية نتيجة للتوسع العمرانى فى هذه الجهة، ويبدو من السهل التعرف على النظام الأصلى والمظهر القديم للسور إذ أنه لم يتعرض لأى تعمير أو اعادة بنيان هامة لاسيما فى القطاع الواقع ما بين باب الحد وباب الرواح من جهة ومن جهة أخرى بطول طريقى الملكة وبورقراق.

وهذه الأجزاء من السور بنيت كلية من الطابية الجيدة إذ يتكون ثلثى نسبة الطابية المستخدمة فى البناء من الجير بينما تبلغ نسبة الجير فى العادة السدس أو الثمن، ويذكر تيراس Terrasse أن قوة صلابة الطابية فى هذه الحالة أصبحت تعادل قوة صلابة الحجر[٤٢٨].

ويشير **كاييه** Caillé إلى أن الطابيـة فى بعض مناطق السـور، تتكون من قوالب من الآجر المدقوق أو المطحون بدلاً من التراب، وفى الغالب كانت تضم قطعاً عديدة من الصخر مما زاد السور صلابة وجعله أشبه بالكتل الحجرية وكان كسرها يحتاج إلى معول صلب مدبب الرأس، ومن الواضح أن عريف البناء الذى تولى بناء السور أهتم بقاعدته، ولهذا قاومت هذه القواعد كثيراً عوامل الزمن من تدفق مياه الأمطار وغيرها، ولا توجد سوى مناطق ضئيلة وجب دعمها بعد عصر الحماية وذلك بكسوة من الدبش والحجارة المصقولة(٤٢٩).

وكان يعلو الأسوار ممشى عريض يحدده القسم العلوى من السور الذى ينتهى بالشرفات والدراوى التى تتخذ شكلا هرمياً ناقصاً، وفى بعض الآحيان كانت هذه الدروات تصنع من الآجر، ولكن فى الأغلب من الطابية(٤٣٠).

٢-الأبراج:

يبلغ عدد الأبراج فى سور مدينة رباط الفتح، أربعة وسبعين برجاً بما فى ذلك الأبراج المتخربة(٤٣١)، منها سبعة بدءاً من برج الصراط حتى باب العلو، وتسعة من باب العلو إلى باب الحد، وخمسة وعشرون من باب الحد إلى باب الرواح، وسبعة بامتداد ثكنة الحرس الملكى، وأربعة وعشرون فى القطاع المطل على نهر ابى رقراق قرب المكان الذى يعرف بالمنزه(٤٣٢) وكان عدد الأبراج فيما مضى يزيد عنه اليوم، نذكر منها برجاً كان قائماً بين باب الحد وباب الرواح كما تهدمت ثلاثة أبراج كانت تقع بين باب العلو وباب الحد، بالإضافة إلى عدد كبير كان قائماً فى القطاع الحاذى لثكنة الحرس الملكى وغير ذلك من الأبراج التى دمرت والتى أزيلت آثارها من السور فى وقتنا الحاضر، هذا بخلاف الأبراج التى دخلت فى نطاق القصر الملكى(٤٣٣).

ويذكر كاييه Caillé أن الأبراج لم ترم شأنها شأن الأسوار نفسها وتتميز بأنها مستطيلة الشكل بنيت كلها بالطابية من نفس نوع طابية الأسوار. وهذه

الأبراج شأنها شأن أبراج القصبة المقامة فى القرن السادس الهجرى (١٢م) ترتكز بكل بساطة على بدنة السور، ولا تبرز عند ممشى السور، ويندمج جزؤها الأدنى فى الأرض حيث تستقر على قاعدة من الطابية لتجنب الانزلاقات. ويذكر **تيراس** Terrasse أن الأبراج المربعة والمستطيلة كانت أكثر الأبراج الموحدية شيوعاً. أما الأبراج الاسطوانية فكانت نادراً ما تستخدم فى عصر الموحدين كما يذكر أن مادة البناء الشائعة لبناء الأبراج زمن الموحدين كانت الطابية، وان كانت بعض التحصينات الموحدية ظلت تبنى من الحجر أو الدبش على النظام الكلاسيكى مثل الواجهة الغربية من سور تازة، وكانت من عمل الخليفة عبد المؤمن بن على كلها، وهذه التحصينات الأخيرة المبنية من الحجر تتشابه فى رأى تيراس من حيث تفاصيل المظهر العام مع الأسوار الفاطمية بالمهدية[٤٣٥].

ونلاحظ أن المسافات الواقعة بين الأبراج تختلف فيما بينها[٤٣٦]، وأن جميع الأبراج فقدت أجزاءها العليا بحيث كان ارتفاعها فى بعض الأحيان يصل إلى مستوى أدنى من مستوى السور وبعضها الآخر تهدم أحد جوانبه فى حين فقد بعضها الآخر أجزاءه العليا. وكانت الأبراج تتجاوز فى الارتفاع جميع شرفات ودروات الأسوار بنحو ٢,٢٦م. وليس من المستبعد أن تكون الدروات العليا التى تتوج الأبراج على شكل هرمى ناقص على نسق دروات بدنات السور.

وإذا فحصنا السور الموحدى للرباط على امتداده، نلاحظ أنه لا يحظى فى كل قطاعاته بمظهر الحصانة البالغة، وان كان القطاع الممتد من باب الحد وباب الرواح وكذلك القسم الممتد بحذاء طريقى الملكة وبورقراق يحتفظ بمظهر القوة[٤٣٧].

وقد حافظ سكان الرباط على السور الموحدى ورمموه فى القرنين ١٧، ١٨ الميلاديين إلى حد الذى يسمح بالدفاع عن المدينة.

ويقارن **كاييه** بين بدنات السور والأبراج المقامة من الدبش فى القصبة وبين

قطاعات السور والأبراج فى مدينة رباط الفتح نفسها، ويذكر أن هناك تطوراً واضحاً طرأ على نظام العمارة الحربية بتأثير من الأندلس، فقطاعات السور والأبراج المبنية من الدبش تتبع التقاليد المحلية فى رأى كاييه امتداداً للتقاليد الكلاسيكية المرابطية فى رأى تيراس، فى حين أن استخدام الملاط الصلب الناشئ من خلط التراب بالجير (الطابية) هى طريقة أندلسية الأصل، ولم يكن المرابطون يجهلون هذه الطريقة فى البناء، ولكن الموحدين هم الذين ادخلوها فى المغرب بحيث أصبحت كما سبق أن أشرنا منذ نهاية القون ١٢ الميلادى، من الطرق الشائع استخدامها فى عمائر الموحدين الحربية(٤٣٨).

وإذا أردنا أن نقيمّ نظام بناء أسوار رباط الفتح وابراجها، فإننا نلاحظ قبل كل شئ أنها تفتقد الاستقامة فى التخطيط والوحدة فى سمك البدنات وفى مظهر وواجهات وجوانب الأبراج وكذلك فى المسافات الفاصلة بينها. أما الأبراج فكانت جوفاء وصماء مما آثار حيرة الأثريين ودهشتهم عن سبب بنائها بهذه الصورة.

٣-الأبواب:

على الرغم من اتجاه الموحدين نحو بناء الأسوار بالطابية فإن الأبواب الموحدية حظيت وحدها باستعمال الحجارة المنجورة (Taillé) منتظمة الشكل. وكان الباب الذى ينفتح فى الأسوار البيزنطية عبارة عن فتحة فى السور معقودة بعقد أمامى يطل على ظاهر المدينة، وعقد آخر خلفى أو داخلى وجهته داخل المدينة. وعندما جاء المرابطون استعملوا نظماً هندسية جديدة فى تخطيط الأبواب وشيدوا أبوابهم على أساس تخطيط ذى ممرات منكسرة لتحقيق الهدف الدفاعى الذى لم يكن كافياً فى تصميم الأبواب البيزنطية وانطلاقاً من تلك الفكرة أفاد عرفاء البناء فى عصر الموحدين الذين ضاعفوا هذه الظاهرة لزيادة عدد العراقيل وتكرار مراحل المعوقات والعقبات فى طريق المهاجمين، وبهذا ابتكروا طريقة التخطيط ذى المنعطفات المرفقية المزدوجة الذى نشهده اليوم فى مجموعة

البوابات الموحدية الضخمة بسور مدينة رباط الفتح[٤٣٩].

ويشتمل سور مدينة رباط الفتح على خمسة أبواب تتوزع ابتداء من ساحل البحر المحيط على النحو التالى: باب العلو - باب الحد - باب الرواح وباب رابع غير معروف الاسم يدخل فى نطاق القصر الملكى وأخيراً باب الزعير الذى ينفتح فى القطاع الجنوبى للسور[٤٤٠].

ويذكر كاييه Caillé أنه وفقاً للمخططات التى رسمت فى القرنين ١٧ ، ١٨ بأوروبا فإن بعض الأبواب حملت اسماء مختلفة: فباب العلو يسمى باب مراكش أو باب صافى، وباب الحد أو باب الرواح باسم بابى مراكش. وفى أواخر القرن ١٨ الميلادى كانت الأبواب تسمى كما يلى: باب العلو، وباب البحر، وباب الحد، وباب مراكش، وباب الرواح، وباب المونت Mont أما باب القصر الملكى فكان يحمل اسم باب الحديد وباب الزعير كان يحمل اسم باب شالة، كذلك يسمى المؤرخ الرباطى محمد الضعيف باب الحد باسم باب مراكش وباب القصر الملكى بباب الحديد وبالإضافة إلى ذلك تغير اسم باب الرواح إلى باب الريح وذلك فى عهد سيدى محمد بن عبد الله وأخيراً تسمى باب الحد فى القرن العشرين باسم الباب الجديد ربما لأنه تعرض لبعض أعمال التجديد فى القرن ١٩ الميلادى.

وظل باب الزعير يعرف حتى عام ١٩٠٥م باسم الباب الجديد[٤٤١]. ولا يجب الاستيثاق على الاطلاق بتلك المسميات التى أوردتها المخططات المسيحية التى أعدت فى القرنين ١٧ ، ١٨ الميلاديين لما فيها من أخطاء فاحشة. ونرجح أن كل باب كلا له أكثر من مسمى واحد ولهذا فيجب أن نتحدث عن الأبواب باسمائها المعروفة حالياً.

أ- باب العلو:

أى الباب العالى أو المرتفع. ويعتبر أقرب أبواب الرباط إلى المحيط إذ لا يفصله

عن المحيط سوى ٥٤٤ مترا. ويبلغ اتساع هذا الباب بالواجهة ١٩,٢٠ متراً، وبروزه عن سمت جدار السور ٢٠,٩٠ مترا، وارتفاعه ١٠,٨٥ مترا. ويشتمل هذا الباب على اربع ممرات منكسرة، ويعتبره علماء الآثار هو وباب زغير أول مراحل التطور فى نظام أبواب مدينة رباط الفتح ذات الممرات المنكسرة(٤٤٢)، تمكيناً للدفاع. ويضم الباب من الداخل غرفتين متوازيتين، الثانية منهما مكشوفة ويكتنفه من الخارج برجان مربعان ضخمان، يحيطان بفتحة المدخل يبلغ طول واجهة كل منهما ٥,٣٠ مترا ويبرز بمقدار ٣,٠٨ مترا.

ويذكر تيراس Terrasse أن التحصينات فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) كانت تعتمد على ممر منكسر واحد، ولكن أبواب الموحدين كانت تكتنفها من الجانبين أبراج بارزة ومعظمها ذات ثلاثة ممرات منكسرة(٤٤٣). وبناء باب العلو فى جملته من الدبش، على الأقل فيما يتعلق بالجدران الخارجية وقد كسيت مادة البناء فى بعض الأجزاء بملاط شديد الصلابة، وكذلك ببعض قطع من الحجارة المصقولة، ولاسيما عند قواعد الجدران وعلى الأخص فى الجانبين الشمالى والشرقى، وبالإضافة إلى ذلك فإن صفوفاً منتظمة من الحجارة المصقولة تكسو جدران الأركان فى القسم الأوسط(٤٤٤) من جدران الواجهتين الشرقية والغربية. أما البرجان البارزان فيبدو أنهما صماوين امتلأتا بالطابية الفقيرة. وفتحة مدخل الباب معقودة بعقد ضخم متجاوز منكسر بنى جميعه بالحجر المصقول، وتتميز سنجاته بأنها عارية من الزخرفة، ويستقر هذا العقد على عضادتين مقامتين من قطع الحجارة، ولكن رأساهما قد جددا فى عصر الحماية.

وينفتح المدخل على بهو صغير مستطيل الشكل مسقوف بقبوة نصف اسطوانية. والغرفة الأولى من الغرفتين اللتين يشتمل عليهما الباب فمستطيلة الشكل يبلغ طولها ٩,٨٧ مترا وعرضها ٤,٢٢ مترا، وقد سقفت بقبوة نصف اسطوانية ترتفع إلى ٧,٦٤ متراً فوق مستوى سطح الأرض، وهذه الغرفة مبنية

من الحجارة المصقولة ويفصلها عن الغرفة الثانية جدار مبنى من الدبش، يمتد من الشمال إلى الجنوب، وتتصل الغرفة الأولى بالثانية عن طريق عقد كبير منكسر ومطول بنى كله من الحجارة ويبلغ ارتفاعه ٥,٨٨ مترا وسمكه ٢,١٧ متراً.

أما الغرفة الثانية فأقل فى الاتساع من الأولى وتبلغ مساحتها ٦,٧٣ مترا × ٤,١٩ متراً وهى غرفة مكشوفة يربطها بداخل السور بهو بنفس مقاييس بهو القاعة الأولى.

وعلى الجانب الجنوبى من هذه القاعة الأخيرة عقد منكسر يقضى إلى درج يرقى إلى السطح الذى يمتد بأعلى بناء الباب كله.

وينفتح فى جدران الباب ٦ مزاغل تتوزع على النحو التالى، أربعة منها فى الشمال واثنان فى الجنوب واثنان فى الغرب.

أما البرجان البارزان فقد فتحت في واجهتيهما الغربية فتحة لمدفع معقودة بعقد متجاوز(٤٤٥).

ومن الملاحظ أن خدوشاً كثيرة أرتسمت محزوزة على الكسوة الحجرية المصقولة بجدران باب العلو. وعلى أية حال فإن باب العلو يعتبر بوجه عام من الأبواب الضخمة، ويتسم مخططه بالأصالة كما يتميز بناؤه بالصلابة ويخلو من الزخرفة.

ب- باب الحد أو الأحد:

سمى هذا الباب بهذه التسمية لأن السلاطين كانوا يعلقون على جدرانه رؤوس المتمردين، وإن كان البعض يفسر اسمه على أنه محرف من كلمة «الأحد» على أساس أن هذا الباب كان يطل على الطرف الغربى من السوق الذى كان يعقد فى أيام الأحد.

وقد تعرض هذا الباب لبعض أعمال التجديد والترميم في عهد مولاى سليمان. وسجلت هذه الاعمال على جامة بيضية نقرأ فيها ما يلي (الحمد لله، جدد هذا الباب السعيد أمير المؤمنين مولانا سليمان عام ١٢٢٩)[٤٤٦].

وواجهة هذا الباب من الخارج تبدو ضخمة تتوسطها فتحة المدخل ويكتنفها برجان بارزان صغيران، وهو باب يشتمل بدوره على أربع ممرات منكسرة شأن باب العلو، ولكنه تحول في عهد الحماية إلى باب ذى ممر مباشر تسهيلاً لحركة المرور، وبذلك أصبح البا ب الوحيد بسور رباط الفتح الذى له مدخل مباشر تسهيلاً لحركة المرور، وبذلك أصبح الباب الوحيد بسور رباط الفتح الذى له مدخل مباشر غير مزود بأى ممر منكسر.

ويبلغ ارتفاع الباب ١١,١٨ مترا وعرضه ٢١,٩٦ متراً. أما البرجان اللذان يكتنفانه فصماوان، ومن الملاحظ أن جميع جدران هذا الباب بنيت من الدبش في حين أن قطعا من الحجارة المصقولة تكسو الأركان في صفوف منتظمة. والباب يشتمل على ثلاثة غرف لابد من اجتيازها على التعاقب، الغرفة الأولى في الجهة الغربية وهي مربعة الشكل طول كل جانب منها ٤,٩٢ مترا، ويعلوها قبوة متعارضة، والغرفة الثانية مكشوفة مستطيلة الشكل يبلغ طولها ١١,٧٦م وعرضها ٤,١٢م. أما الغرفة الثالثة ونصل إليها بعد اجتياز ممر منكسر فهي مربعة الشكل وبنفس مقاييس الغرفة الأولى وتعلوها قبة نصف كروية وينفتح بالجدار الجنوبي بهذه الغرفة الأخيرة باب يفضى إلى السطح عن طريق درج أما السطح فقد تعرض منذ القرن الثاني عشر الميلادى لكثير من التغيرات، أفقدته معظم مظهره الأصلي.

وبوجه عام فإن باب الحد رغم العناصر الفنية المختلفة التى يتسم بها نظراً للتغيرات والتجديدات التى طرأت عليه إلا أنه يعد تحفة فنية رائعة أقل جفوة من باب العلو[٤٤٧].

حـ- باب الرواح:

يرى بعض الباحثين ان اسمه مشتق من كلمة الريح[٤٤٨]، وإن كان من الممكن تفسير كلمة الرواح بأنها مشتقة من كلمة الأرواح نسبة إلى القتلى من المجرمين والمتمردين الذين كانت تعلق جثثهم على الأبواب بسور المدينة.

ويقع الباب على مسافة تبعد نحو ١٠٢١ متراً جنوبى باب الحد ويعتبر باب الرواح أكبر أبواب سور المدينة الموحدى، ويبلغ ارتفاعه ١٢ متراً ويذكر كاييه Caillé أنه كان يشتمل هو الآخر على أربع ممرات منكسرة متتابعة وأربعة غرف احداها مكشوفة[٤٤٩]. أما تيراس Terrasse فيؤكد أن الممرات المنكسرة فى باب الرواح كانت تتخذ شكل ممرات ملتوية حتى تصل إلى مخرج الباب، وأن هذه الممرات الملتوية تتألف من غرف مقببة يقطعها فى مراحل منتظمة ما يشبه الرواق الصغير المكشوف الذى يتيح للمدافعين أن يتحكموا فى الدفاع من أعلى الباب، وقذف العدو بكل وسائل القتل من سهام وزيت مغلى وكتل حجرية. ويقيم تيراس هذا النوع من الأبواب ذات الممرات المنكسرة بأنها كانت تبدو فى الظاهر استحكامات ضخمة، ولكن بفحصها بدقة نجد أن قيمتها العسكرية ضعيفة، وإن كانت بلاشك تعرقل تقدم أى عدو وتمنعه من النفاذ بسهولة إلى داخل المدينة. ونلاحظ أن عقد المدخل فى هذا الباب متسع للغاية لاسباغ صفة الفخامة عليه. ولكن المداخل بهذه الصورة لم تكن تحقق لهذه البوابة التصدى الكافى أمام ضربات الكباش[٤٥٠].

ويكتنف فتحة الباب من الخارج على الجانبين بروزان يبدوان من ضخامتهما أشبه ببرجين. وبنية جدران الباب قائمة على الدبش والطابية وكتل حجرية مصقولة. وبوجه عام نجد أن جدران الوجهان الشرقى والغربى اقيما من الدبش فى حين أن الجانبين الشمالى والجنوبى اقيما من الطابية الغنية بالكلس. كما ترى بعض صفوف من الدبش على جزء من القاعدة بالواجهة الشمالية الجانبية خارج السور. كذلك أقيم البروزان من الدبش وكسيا فى جانب منهما

بطبقة من الملاط خطط عليها بما يوهم بصفوف متلاصقة بحيث تبدو لأول وهلة كأنما بنيت من الحجر المصقول المنتظم فى صفوفه، أما القطاع الأوسط من الوجهين الشرقى والغربى فقد بنى من قطع حجرية منتظمة الشكل وكذلك الشأن في الأركان ويتراوح سمك الجدران الخارجية ما بين ٢,٢٠ مترا و ٣,٥٩ مترا.

ويلى مدخل باب الرواح بهو مسقوف بقبوة نصف اسطوانية مطولة، تتلوه الغرفة الأولى وهى غرفة مربعة الشكل تنفتح من الجانب الشمالى على غرفة ثانية أما الغرفة الثالثة فمكشوفة، وتلى الثانية فى جهة الشرق. أما الغرفة الرابعة فتقع جنوبى السابقة، وتتصل بداخل السور عن طريق بهو مشابه للبهو الذى يلى المدخل.

ومن الجديد بالذكر أن مقاييس جميع الغرف الأربعة واحدة، فكل جانب من جوانبها يبغ طوله ٥,٦٥ مترا.

أما البهوان فيبلغ مساحة كل منهما ٤,٢٠ × ٢,٢٠ مترا.

وتسقف الغرفة الأولى قبة مشععة الضلوع قائمة على مقرنصات مقوسة مدببة الرأس من الآجر، ويبلغ ارتفاع القبة حتى رأسها ١٠ أمتار فوق مستوى سطح الأرض، وتتجمع فى قمتها ١٦ خطاً تتخذ شكل قبيبة من ثمانى فصوص، ومثل هذا الطابع من القباب نشهده فى كثير من غرف مآذن الموحدين فى الكتبية وجامع حسان غير أن قبة باب الرواح أقل جمالاً، وإن كانت تتميز بتخطيط ذاتى لا نشهده فى غيرها.

وتزدان جدران الغرف بعقود منكسرة مطولة أو عقود نصف دائرية وحدوية بعضها مقام من كتل الحجارة المهذبة ويتراوح ارتفاع العقد الواحد ما بين ٥,٧٤ مترا و ٦,١٧ مترا[٤٥١].

ومن الملاحظ أن الغرفة المكشوفة مزودة بباب له عتب، وتنفتح دخلة هذا

الباب فى الجدار الشمالى، ويؤدى إلى ممر ضيق يفضى من الجهة الغربية إلى سلم من ١٠ درجات عالية تنتهى إلى سطح صغير يرتفع ٤,٥٣ متراً فوق مستوى سطح أرضية الغرف الداخلية بالباب، وأرضية السطح تتكون من كسوة سميكة من الطابية، ويحيط بكل السطح جدار من الدبش متوسط ارتفاعه ٩٥ سم وعرضه ٧٢ سم ولا تنفتح منه مزاغل.

ويعتبر باب الرواح أكثر ابواب السور الموحدى ثراء فى الزخرفة[٤٥٢]، وقد قام كل من كاييه وتيراس بوصف هذه المظاهر الزخرفية بكل تفاصيلها.

ونلاحظ أن الحشوة الوسطى بالواجهة الخارجية من باب الرواح تزدان بزخارف رائعة بلغت الغاية فى الجمال تكسو الواجهة من منبت العقود حتى قمة البناء. واغلب الظن ان عقد المدخل بصورته الحالية المنكسرة والمطولة قد أضيف فى فترة لاحقة، ربما على يدى سيدى محمد بنعبد الله. والتكوين الأصلى للباب يمثل أربع عقود متتالية ومتراجعة، الواحد يعلو الآخر[٤٥٣] أى أن العقد نفسه يحيط به عقد ثان متشابك[٤٥٤]. ويحدد البنيقتين المزينتين بمراوح النخيل شريط من الكتابة، ويطوق المجموع عمودان صغيران مزودان بتاجين.

ويذكر كاييه Caillé أن العقد الأول منكسر ومطول وصنجاته عارية أما العقد الثانى الذى يليه فمفصص ويرتكز عند منبته على شكل ثعبانى ويلى ذلك عقد سنجاته بارزة، ويشير كاييه إلى أن هذا النظام نلحظه فى بعض الآثار المشرقية فى مصر والشام[٤٥٥]. أما العقد الأخير فمفصص أيضاً وفصوصه متساوية ونصف دائرية. وتتوسط كل بنيقة فيه مروحة نخيلية محفورة حفراً غائراً. وواضح أن هذه المراوح النخيلية تماثل إلى حد كبير تلك التى توجد فى بوابة القصبة، وتحيط بها زخارف نباتية ومراوح بسيطة ومزدوجة.

أما الشريط الكتابى الذى يدور بالحشوة الوسطى من الباب فما زال قائماً فى مجموعة ويشتمل على آية قرآنية بالخط الكوفى بحروف كبيرة[٤٥٦].

وتوجد بعض نقوش محزوزة على بابى الرواح الداخلى والخارجى ولا سيما فى الحشوة الوسطى بالجانب الشرقى بعضها يمثل سيفاً قائماً واحدهما يمثل قوساً للرماية. ويعتبر باب الرواح بوجه عام أكبر من بابى العلو والحد وأكثر منهما ثراء وفخامة وتتسم زخارفه بالدقة والجمال بحيث جعلت لهذا الباب مظهراً أكثر فخامة من الأبواب السابقة.

د- الباب الداخل فى نطاق القصر الملكى:

يقع هذا الباب على مسافة تبعد نحو ٨٨٠م جنوبى باب الرواح، ويبرز عن السور من جهته الغربية بنحو ١٢,٦٠ متراً، وكان فى الأصل بابا مزودا بممر منكسر، وكان يشتمل على ثلاثة غرف، ويتشابه فى نظامه مع الأبواب السابقة، ومن الصعب القيام بدراسته دراسة تفصيلية لدخوله فى نطاق القصر الملكى.

هـ- باب الزعير:

وهو الباب الوحيد الذى ينفتح فى القطاع الجنوبى من سور يعقوب المنصور على الطريق المؤدية إلى إقليم قبيلة زعير التى استمد اسمه منها. ويبلغ ارتفاعه ٩,٧١ متراً وعمقه ١٨,٢٤ مترا وعرض واجهته الداخلية ١٢,٥٩١ متراً بينما يصل هذا العرض فى الواجهة الخارجية إلى ١٨,٦١ متراً. بنيت جدرانه من الدبش، باستثناء الجانب الشمالى الشرقى المطل على المدنية فقد بنى من الطابية. أما الجدران الداخلية فقد أقيمت من الطابية والجزء الأوسط من الواجهة الخارجية مبنى من كتل الحجارة المصقولة الموزعة فى صفوف وكذلك فى الأركان.

ويماثل هذا الباب، باب العلو من حيث التخطيط، وإن كان أقل انتظاماً منه ويشتمل باب زعير على أربع ممرات منكسرة، ويكتنف واجهته الخارجية بروزان مطولان، كما يشتمل فى داخله على غرفتين فقط متماثلتين، أما البهو الذى يلى فتحة الباب من الخارج فتعلوه قبوة نصف اسطوانية، ويفضى هذا البهو إلى

الغرفة الأولى التى تبلغ مساحتها ٨,٩٤ مترا × ٤,١٥ مترا، وتعلوها قبوة نصف اسطوانية من الحجارة المصقولة. أما الغرفة الثانية فأقل اتساعاً من الأولى ومساحتها ٦,٥٠ متراً × ٤,٢٥ متراً.

ونلاحظ ان كل من الغرفتين مزودة بخمس طاقات جانبية ذات مصاطب مرتفعة بعض الشيء، وعقود ضخمة مطولة ومنكسرة انكساراً خفيفاً.

أما السطح فيمتد على كل مساحة الباب، ولا يمكن الوصول إليه إلا من الجانب الغربى عن طريق درج من ٣٢ درجة مرتفعة ملتصقة بالسور الموحدى. ويعلو السطح ويحده بأعلى جدار الباب، جدران من الدبش يبلغ سمكه فى المتوسط خمسين سم، وقد فتحت فى هذا الجدار أربع فتحات للمدافع وخمسة وعشرون مزغلاً.

ويعلو الباب شريط زخرفي يمتد على أوجهته الأربعة.

وجدران الباب بوجه عام عادية من الزخرفة، ولا توجد بها نقوش محزوزة شأن باب الرواح.

ويعتبر باب الزعير هذا أصغر الأبواب فى سور مدينة رباط الفتح وأقلها عناية، كما أنه الأكثر تعرضاً للتغيرات والتجديدات من بين باقى الأبواب بالسور الموحدى.

ج- أهم المساجد الموحدية والمرينية بمدينة رباط الفتح:

١- جامع حسان:

يعتبر هذا الجامع شاهداً على عصره فقد أعتبرت وحداته الفنية رمزاً لوحدة الفن المشرقى والفن الأندلسى المغربى، كما أنه يعبر عن عظمة الدولة الموحدية وضخامة قدراتها وامكاناتها العالية، كما يعبر عن الميل إلى الجمع بين أبهة الفخامة وجمال البساطة[٤٥٥].

ويقع جامع حسان شمال شرقى مدينة الرباط على ارتفاع ثلاثين متراً فوق مستوى سطح الأرض. وقد أقيم المسجد على مساحة فسيحة خالية وبامكانيات كبيرة مكنت مهندسه من تطبيق فكرة التقابل (Symetrie)[٤٥٩] فى البناء. وهو المسجد الثانى الذى بناه الموحدون بعد مسجد القصبة[٤٦٠]، كما أنه يعتبر من أهم المساجد التى ابتناها الموحدون بالمغرب. وقد توقف العمل فيه بعد ثلاث سنوات من الشروع فى بنائه لأن العمل ارتفع عنه بموت ابى يوسف يعقوب المنصور[٤٦٢].

وقد تعرض لدراسة هذا المسجد عدد كبير من علماء الآثار الاسلامية فى المغرب والأندلس نذكر منهم الأساتذة چورچ مارسيه Marçais[٤٦٣]، وكاييه Caillé[٤٦٤]، وديولافوى[٤٦٥] DieulaFay، وتوريس بالباس Torres Bal-bas[٤٦٦] وبرولى Jules B. ورايموند Ray mond[٤٦٨] و د. السيد عبد العزيز سالم[٤٦٩] و د. صالح بن قربة[٤٧٠] ود. عثمان عثمان اسماعيل[٤٧١] ود. محمد محمد الكحلاوى[٤٧٢].

وعرف جامع المنصور بجامع حسان، وقد حاول العديد من المؤرخين تفسير سبب تسميته بهذا الاسم، وبمعنى آخر حاولوا معرفة شخصية «حسان» الذى نسب إليه هذا الجامع الموحدى. ومن بين هذه التفسيرات ان هذا الجامع نسب إلى اسم بانيه[٤٧٣]، وهناك من يذكر أن حسان هذا كان مهندساً أندلسياً وأنه هو الذى وضع تخطيط الجامع والمئذنة وأن ضريحه يقع فى مقبرة صغيرة بالقرب من الجامع. ويعتقد كاييه Caillé أنه نسبة إلى قبيلة بنى حسان[٤٧٥]. ويرى د. الكحلاوى أن كلمة حسان اشتقت من لفظة «حسن» أى جمال، وتلك عادة المغاربة فأهل مدينة سلاو الرباط يطلقون فى بعض الأحيان كلمة الجامع الحسن وهو تعبير قصد به وصف الجامع بأنه جامع حسن البناء.[٤٧٦] ويختلف فى ذلك مع الآراء العديدة التى دارت حول اسم حسان فيذكر أنه لم يرد فى المعجب لعبد الواحد المراكشى وهو الذى كان شاهد عيان على بناء الجامع اسم

«مسجد حسان» وكذلك لم يرد فى كتابات أبن بطوطة هذا الاسم فقد سماه بمسجد رباط الفتح. ويتابع الدكتور الكحلاوى قوله بأن أول اشارة ورد فيها اسم حسان جاءت فى روض القرطاس. وهذا يشبه كثيراً تسمية جامع الموحدين فى مراكش بجامع الكتبية، وكذلك تسمية جامع القصبة على جامع المنصور بقصبة مراكش، ويعلل تبديل اسم المنشئ بأنها عادة اتبعها الفاتحون الجدد لطمس معالم آثار العصور السابقة وتسمياتها(٤٧٧).

ويجمع جميع المؤرخين والأثريين على أن الجامع لم يكتمل بناؤه استناداً على ما ذكره عبد الواحد المراكشى من ان اعمال البناء توقفت بعد وفاة المنصور، وكذلك على الشواهد الأثرية، فيما عدا ديولافوى DieulaFay الذى حاول أن يثبت من خلال الدراسة التى قام بها والحفريات التى أجراها مع زوجته سنة ١٩١٤م أن الجامع قد أكمل بناؤه فى فترة لاحقة على أيدى خلفاء(٤٧٨) المنصور وقد اعقد Dieula Foy على فقرة عابرة وردت فى كتاب الرحلة لابن بطوطة فى سياق حديثة عن مسجد بلخ فذكر أن مسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه فى عظم سواريه(٤٧٩)، ومن هنا استنتج Dieula Foy أن جامع حسان كان وقت زيارة ابن بطوطة له كامل البناء(٤٨٠)، كما اعتمد على ما أورده الحسن الوزان (ليون الأفريقى) فى معرض وصفه لمدينة رباط الفتح ووصفه لمئذنة حسان فقد ذكر أنه شيد خارج الباب المشرف على الجنوب صومعة مماثلة لصومعة جامع مراكش ولكن بمطلع أكثر اتساعاً بكثير إذ يمكن لثلاثة فرسان أن يصعدوا اليها جنباً إلى جنب(٤٨١).

ونلاحظ أن الوزان لم يشر إلى المسجد ويتساءل بعض الأثريين عما إذا كان المسجد مهدماً وقت زيارته للرباط بحيث لم يتبق منه سوى صومعته (٤٨٢)؟؟ وفى تصورى أن رأى Dieula Foy غير جدير بالثقة لأن الأسانيد التى اعتمد عليها ضعيفة فنص ابن بطوطة وليون الأفريقى لا يثبتان بوضوح اكتمال بناء جامع حسان هذا بالإضافة إلى ما سبق أن أشرنا إليه من خلع الخليفة السعيد

الموحدى أخشابه لصنع أجفان غزوانية، وقد استمر السطو والتخريب فى المسجد أيام المرينيين والأشراف السعديين، ومن الطبيعى أن عدم اكتمال بناء الجامع كان حافزاً لمستغلى الفرص على سلب مواد بنائه من أخشاب ورخام ولو كان قد اكتمل بناؤه لما كان قد تعرض لهذا التخريب، بل أن السلطان سيدى محمد بنعبد الله أنتزع سنة ١١٦٥ هـ من بناء الجامع كمية كبيرة من الأخشاب يصنع منها أهل العدوتين الرباط وسلا، سفينة عظيمة يجلبون بها الميرة لأنفسهم من الخارج، وكانت تعرف بالكراكجية[٤٨٣].

تخطيط الجامع:

وضعت عدة تخطيطات لمسجد حسان أولها يرجع تاريخه إلى عام ١٩٠٢م أى قبل اجراء اعمال الحفر والتنقيب بالمسجد وقد قام بعمل هذا التخيطيط الأول الباحث C. Bermaudat. أما التخطيط الثانى للجامع فقد وضعته لجنة الفنون الجميلة والمنشآت التاريخية ويرجع تاريخه إلى سنة ١٩١٣م. إلا أن هذين التخطيطين لم يقدما أية عناصر مفيدة بالنسبة للنظام التخطيطى للجامع، وتقتصر اهميتهما فى امدادنا بالشكل الذى كان عليه الجامع فى ذلك الوقت، ويعد التخطيط الذى قام به الباحث DieulaFoy بعد عملية التنقيب الأثرية التى قام بها سنة ١٩١٤ أول تخطيط معمارى واقعى[٤٨٤].

كما نشر بعض الباحثين عدة تخطيطات أخرى للجامع منها التخطيط الذى وضعه ريمون Raymond عام ١٩٢٦، والتخطيط الذى وضعه چورچ مارسيه Marçais ثم التخطيط الذى وضعه هنرس تيراس Terrasse عام ١٩٣٢[٤٨٥] وأخيراً التخطيط الذى وضعه كاييه Caillé عام ١٩٤٩. وقد قام كاييه بنفسه برسم هذا التخطيط الذى اعتمد فيه على اعمال تنقيبات سنة ١٩٤٣، ١٩٤٤[٤٨٦].

وجدير بالذكر أن الباحث الأثرى الدكتور محمد الكحلاوى استعرض أهم

النتائج التى أسفرت عنها الحفائر التى أجراها كاييه فى مسجد حسان كما قام بعرض مفصل دقيق لمشروع كاييه Caillé لاعادة بناء جامع حسان[٤٨٧].

ويتفق كبار علماء الآثار على أن تخطيط جامع حسان معقد وغريب عن تخطيط المساجد الإسلامية الجامعة بوجه عام[٣٨٨]. فبيت الصلاة فيه يتألف من قسمين، قسم أمامى يشمل على ٢١ بلاطة عمودية على جدار القبلة، البلاطة الوسطى والبلاطتان المتطرفتان منها أكثر اتساعاً من البلاطات الأخرى، ويخترق هذه البلاطات عرضاً سبعة اساكيب موازية لجدار القبلة ثم يتعقد التخطيط بعد ذلك تعقيداً شديداً فإن البلاطات الاحدى عشر الوسطى تمتد جنوباً على ١١ اسكوباً ويكتنف هذه البلاطات شرقاً وغرباً صحنان مستطيلا الشكل، وإلى الشرق وإلى الغرب من هذين الصحنين بلاطتان تمتدان بطول البلاطات الأخرى.

أما القسم الثانى فيشتمل على ثلاثة اساكيب ممتدة بعرض المسجد كله بحذاء جدار القبلة. ومن الملاحظ أن أعمدة الاساكيب الثلاثة، والبلاطتين المتطرفتين فى بيت الصلاة، تزيد فى الارتفاع عن أعمدة البلاطات الأخرى فى بقية أجزاء المسجد. ولا يمكن تعليل هذه الظاهرة بسبب حالة التخريب التى يتسم بها الجامع فى الوقت الحاضر[٤٨٩].

وقد أراد المنصور الموحدى مضاهاة مساجد الشرق الجامعة فرفع اسقف بيت الصلاة على أعمدة بدلاً من الدعائم، ولكنها لم تكن رخامية قديمة وإنما كانت أعمدة ضخمة مكونة من حلقات دائرية متراكبة فوق بعضها تحمل عقوداً سمكية من الآجر منخفضة داخل بيت الصلاة. وكانت من دواعى الدهشة اننا نجد اسقفاً فى الأروقة الداخلية للبناء تستقر مباشرة فوق الأعمدة دون عقود كما كانت الأسقف الخشبية Charpentes فى محيط البناء تقوم مباشرة فوق أعمدة أكثر ارتفاعاً من أعمدة بقية البناء[٤٩٠].

أما مئذنة الجامع فهى احدى الروائع الثلاث التى ما زالت أثراً باقياً على الازدهار الحضارى والعمرانى لدولة الموحدين فى المغرب والأندلس[٤٩١] وقد أقيمت فى منتصف الجدار الشمالى لبيت الصلاة مرتكزة على الجدار وتبرز من الداخل والخارج على حد سواء على مستوى واحد وهى الوحيدة التى تشغل هذا الوضع فى العالم الإسلامى[٤٩٢].

وهذه المئذنة لم تصل الينا كاملة فارتفاعها الحالى يصل إلى ٤٤ متراً، وهى مشيدة بالحجر المصقول، ويفوق المئذنتين الباقيتين (الكتبية والجيرالدا) من حيث مقاساتها، ولو تم بناء هذه المئذنة لكانت قد اعطت بدون شك نفس النسب الموجودة فى مساجد الموحدين الجامعة، ولاسيما جامع الكتبية الذى يبلغ ارتفاع مئذنته بدون الجوسق نحو أربع أمثال طول القاعدة، كما هو الحال فى مئذنة اشبيلية التى يصل ارتفاعها حوالى ٦٤م على أقل تقدير[٤٩٣].

ويدور حول مركز المئذنة من الداخل طريق منحدر، عرضه متران على نحو ما هو متبع فى مئذنتى جامع اشبيلية وجامع الكتبية بمراكش، ويشتمل مركز المئذنة من الداخل على غرف موزعة على طوابق ستة كما هو الحال فى جامع الكتبية بمراكش. ويعلو هذه الغرف قبوات مختلفة الأشكال منها القبوة المقربصة، والقبوة المضلعة والقبوة نصف الكروية[٤٩٤].

وفيما يتعلق بمشكلة انحراف القبلة فى جامع حسان عن غيره من المساجد المغربية فيفسر علماء الآثار ذلك بأنه نتج عن اقتداء مبكر بتحديد القبلة فى الأندلس حيث تعوّد الشاميون هناك على تحديد اتجاه القبلة جنوباً تبعا للعادة التى ألفوها فى بلادهم بالمشرق دون التنبه إلى أن موقع المغرب والأندلس يحدد اتجاه الجنوب الشرقى للقبلة، وهكذا استمر الوضع غالباً فى المغرب نزولاً على حكم العرف دون الحقيقة الجغرافية[٤٩٥]. واعتقد أن هذا التعليل لا يمكن قبوله، فقد أشارت المصادر العربية إلى أن قبلة جامع قرطبة كانت مشرقة من الأصل منذ أن ركز حنش الصنعانى وأبو عبد الرحمن الحبلى هذه القبلة، وعندما أجرى عبد

الرحمن الأوسط زيادته من جهة القبلة حافظ على نفس اتجاهها القديم، كما حافظ بناة المسجد فى الزيادة الحكمية على نفس الاتجاه المحرف للقبلة تبركا.

ونفس الأمر حدث في القيروان عندما أسس عقبة بن نافع مسجدها الجامع فقد جاءت مشرقة، وحافظ من جدد بنيان الجامع فى عصر الأغالبة (زيادة الله ابن الأغلب) على نفس الاتجاه[٤٩٦].

٢- الجامع الكبير برباط الفتح:

يعرف هذا الجامع أيضاً باسم آخر هو «جامع الخرازين»[٤٩٧]. وهو يقع قرب باب شالة بالسور الأندلس[٤٩٨]. وقد تضاربت الروايات حول تاريخ بنائه فمن المؤرخين من يرى أنه من بناء أبى يوسف يعقوب المنصور الموحدى فى حين ينسبه بوچندار والبعثة الفرنسية عام ١٩١٧م إلى عبد الحق المرينى، ثم أكتفت البعثة عام ١٩١٨ بقولها أن المسجد سواء كان من بناء الأندلسيين الوافدين إلى المغرب فى عهد الأشراف السعديين أو من بناء سيدى محمد بنعبد الله (١٧٦٧ - ١٧٩٠)، فإن المدخل قد تم اصلاحه على يد مولاى سليمان عام (١٨١٣ - ١٢٢٩م)[٤٩٩]. أما بوچندار فيرجح انه من بناء المرينيين لوجود المارستان العزيزى المرينى بازائه[٥٠٠].

ويرجح كاييه Caillé تاريخ بنائه إلى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى أو بدايات القرن الرابع عشر (٧/ ٨ هـ)، وكان أول من أدلى برأيه فى وجود مسجد أول حدد عدد أساكيبه وبلاطاته، ولم يسبقه إلى ذلك أحد من الباحثين واستعان فى تقدير تأريخه بتشابه تخطيطه بمساجد تلمسان المرينية وخاصة مسجد العباد ومسجد سيدى الحلوى، وأشار إلى أن هناك ظاهرة أخرى تكسبه شكل المساجد القديمة، وهى وجود العقد المفصص فى واجهة المحراب، وهو تقليد كان شائعاً فى عصر المرابطين والموحدين واستمر فى عصر المرينيين ويتمثل على سبيل المثال فى الجامع الكبير بفاس بينما اختفى بعد عصر الدولة المرينية[٥٠١].

ويذكر الدكتور **عثمان اسماعيل** أن مساحة المسجد غير منتظمة الشكل، فجدار القبلة أطول بكثير من الواجهة الشمالية، كما أن الحائط الغربي للمسجد يصنع في جدار القبلة زاوية حادة. والبلاطة الجانبية الشرقية مقطوعة أمام الاسكوب الخامس بحيث يمكننا القول بأن الواجهة الشرقية قصت من الأسكوب الخامس ببيت الصلاة إلى الحائط الشمالي الغربي بما يساوى اتساع البلاطة الجانبية الشرقية. وصحن المسجد يزيد طوله عن عمقه وتحيط به من الشرق والغرب مجنبات، أما باب الصومعة فينفتح على الصحن، وهي داخلة كليها في المحيط العام للمسجد(٥٠٢).

وسواء كان هذا الجامع من بناء المنصور الموحدى أو السلطان عبد الحق المرينى فقد جدد في عهد السلطان أبي الربيع المرينى، كما جدد السلطان سيدى محمد بنعبد الله بناءه، وفي عهد السلطان الحسن الأول تجدد صحنه واعيد بناء بابه، ثم تداعى بعد ذلك وأشرف سقفه على الانهيار فأعيد اصلاحه وترميمه وتحسينه سنة ١٣٣٣هـ(٥٠٣).

ويذكر بعض المؤرخين أن العمران اتسع حول القصبة زمن بنى مرين وامتد منها إلى وسط المدينة القديمة ، الأمر الذى دفع الناس إلى اقامة مسجد آخر جامع يلبى حاجتهم إلى الصلاة. ويبدو أنه كان صغير المساحة على قدر الحاجة التى أنشأ من أجلها(٥٠٤).

د- آثار سلامية أخرى:

١- المدارس

لا نعرف من المدارس المبنية في العصور الوسطى الاسلامية بالرباط بقصد التدريس إلا **مدرسة الملاحة** التى بنيت أيام الموحدين بجوار القصبة وهى المعروفة في الوقت الحالى بالمدرسة، وقد اتخذها الأندلسيون فيما يعد لتعلم فن الرماية والملاحة وباقى الفنون الحربية المعروفة في ذلك العهد، وهناك بناء آخر يطلق عليه

مجازاً اسم **مدرسة الجامع الكبير**، والواقع انها انشئت لتكون مارستانا وعرفت بالمارستان العزيزى المرينى، ربما لأنها كانت فى الأصل مدرسة لطلاب العلم المترددين على الجامع الكبير، وينسب المارستان العزيزى والسقاية بجواره إلى مؤسسها السلطان أبى فارس عبد العزيز بن على بن عثمان المرينى. ويرجع تاريخ البناء إلى القرن الثامن الهجرى(٥٠٥).

ويتكون بناء المارستان من صحن مركزى مربع الشكل تحيط به أروقة تطل على الصحن بسوارى وأقواس بسيطة. والبناء بوجه عام شبيه ببناء المدارس المرينية، ولكن ينقصه بيت للصلاة كما يفتقر إلى الزخرفة ويغلب على البناء فى الوقت الحاضر الطابع العلوى حيث أنه(٥٠٦) جدد فى عصر الأسرة العلوية.

٢- السقايات والحمامات:

بخلاف سقاية القصبة اليت سبق أن ذكرنا أنها بنيت فى العصر الموحدى توجد سقاية الجامع الكبير، وهى مرينية الانشاء ولا تزال واجهتها تحتفظ بزخارفها المنقوشة على الحجر، ويبلغ طولها ١٠,٢٦ مترا، وارتفاعها ٤,٦٢ مترا وعمقها ٢,٧٥ مترا وواجهتها من الحجر المنحوت المتناسق(٥٠٧).

وتتكون واجهتها من ٣ أقواس مرفوعة على أربعة أعمدة من الحجر الصلب المنحوت، ركبت حجارتها الواحدة فوق الأخرى بأحكام واتقان. وتزداد من اعلاها بنقوش شبيهة بالنقوش التى تكسو باب قصبة الودايا. وتحتفظ مدينة رباط الفتح بآثار حمام مرينى هو **حمام العلو** الذى بناه وحبسه السلطان أبو عنان المرينى على ضريح والده وعلى اطعام المساكين بشالة. ويعد اقدم حمام بالرباط ولا يزال يؤدى وظيفته حتى اليوم(٥٠٨). وقد سجل تحبيسه على لوحة مربعة من الرخام محفوظة اليوم بالجامع الكبير دليلها كانت محفوظة بشالة ثم نقلت إلى الجامع. والحمام صغير المساحة بسيط فى تخطيطه وبنيانه مجرد من الزخارف والتنميقات، ولكنه متقن البناء، محكم الصنعة(٥٠٩).

الباب الثالث

دراسة ختامية عن أوجه الشبه

بين كل من مدينة الإسكندرية ومدينة رباط الفتح

أوجه الشبه بين كل من مدينة الإسكندرية ومدينة رباط الفتح

يذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان أن الخليفة المنصور الموحدى ابتنى بالقرب من مدينة سلا (سنة ٥٩٣هـ) «مدينة عظيمة، سماها رباط الفتح على هيئة الإسكندرية فى إتساع الشوارع وحُسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحصينه وبناها عل يالبحر المحيط الذى هناك وهى على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلى ...»[٥١٠].

وقد نقل الناصرى السلاوى هذا القول عن ابن خلكان[٥١١]. ولم يكن ابن خلكان وحده هو الذى ربط فى الشبه بين كل من الإسكندرية ورباط الفتح فان المؤرخ المغربى المعاصر للموحدين، عبد الواحد المراكشى ربط هو الآخربين المدينتين عندما ذكر فى المعجب أن مسجد رباط الفتح الذى عرف فيما بعد بجامع حسان «كبير المساحة واسع الفناء جداً لا أعلم فى مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له مأذنة فى نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية يصعد فيه بغير درج، تصعد الدواب بالطين والآجر والجص وجميع ما يحتاج إليه إلى أعلاها ولم يتم هذا[٥١٢] المسجد إلى اليوم...»

وإذا ما قمنا بإجراء دراسة حول كل من المدينتين التى ترجع أحداهما إلى العصر القديم والأخرى إلى العصر الوسيط فسوف نلاحظ أن ثمة تشابه كبير يربط بينهما فى حقيقة الأمر فى الموقع والتخطيط والبنيان لاسيما صومعة الجامع[٥١٣]. ولعل الأساس الذى قامت عليه مقومات هذا التشابه هو مايمكن أن نسميه التماثل فى «عبقرية الزمان والمكان» الذى اتسمت به كل منهما. فالإسكندرية قُدّر لها منذ أن اختار الإسكندر المقدونى موقعها ليبنى عليه عاصمته وحتى يومنا هذا، أن تكون ملتقى للحضارات المختلفة ومنطلق إشعاع حضارى وثقافى، ومركزاً اقتصادياً عالمياً

هاماً وأيضاً قاعدة استراتيجية بحرية غاية فى الأهمية، وكذلك كان حال مدينة الرباط التى توفر لموقعها مزايا استراتيجية واقتصادية وحضارية عظيمة الأهمية فموقعها الطبيعى بين استدارة نهر وإطلالتها على المحيط الأطلسى أكسبها تميزاً استراتيجياً وقد أدرك الرومان قديماً أهمية هذا الموقع فأقاموا فى موضع قصبة الودايا[٥١٤] قلعة لهم، قام على أنقاضها رباط مرابطى لجهاد هراطقة برغواطة[٥١٥]، استخدمه تاشفين بن على لقتال المهدى بن تومرت، ثم أعاد بناؤه الخليفة عبد المؤمن بن على ليصبح نواة مدينة رباط الفتح التى شرع ولده أبو يعقوب يوسف فى بنائها ثم استكملها من بعده ولده المنصور.

وقد حدثتنا المصادر العربية عن المكانتين الاقتصادية والعلمية اللتين، امتازت بهما مدينة رباط الفتح منذ إنشائها، بين مدن المغرب الإسلامية ولعل ذلك يذكرنا بمقولة ابن صاحب الصلاة الشهيرة عن مدينة رباط الفتح «وكان أهل الأثر يقولون فى ذلك التاريخ، سيكون فى هذا الموضع مدينة عظيمة لخليفة عظيم»[٥١٦]، وبنبؤة المهدى بن تومرت التى أوردها عبد الواحد المراكشى من أن رباط الفتح هى التى ستبقى فى أيدى أهل المغرب ثم يفتح الله عليهم منها فى تجميع كلمتهم[٥١٧].

وفى رأيى أن المدن كالبشر، فاذا كان لكل إنسان شخصيته الخاصة به المميزة له وكذلك إمكانيات وقدرات تجعل شخصاً ما يتفوق على غيره، فكذلك شأن المدن فهناك من المدن والبلاد مايحمل من المقومات الطبيعية والبشرية ما يجعلها تبرز بين غيرها فى تفوقها، ومن بين هذه المدن التى حملت بجدارة صفة «عبقرية الزمان والمكان» مدينة بيت المقدس على سبيل المثال، فهى ملتقى الديانات الثلاثة والتى بحكم وقوعها فى فلسطين، تقع فى قلب منطقة الشرق الأدنى القديم، وهناك مدينتى «القاهرة» و«الإسكندرية» باعتبارهما مدن مصرية، فمصر حباها الله موقع جغرافى فريد فهى تقع فى قلب العالم العربى وفى نفس الوقت فى قلب العالم الإسلامى، وكذلك فى قلب العالم كله تتحكم فى عدد من أهم المجارى المائية

العالمية، وكذلك العراق، وعاصمته بغداد، فالعراق له حضارة من أقدم وأعرق الحضارات فى التاريخ، والعراق يمثل قديماً الجناح الشرقى فى منطقة الشرق الأدنى القديم، والبوابة الشرقية للعالم الإسلامى فإذا كان العراق هو البوابة الشرقية، فإن المغرب هو البوابة الغربية لعالم الشرق الأدنى قديماً والأمة الإسلامية فى العصرين الوسيط والحديث، وكان لمدينة رباط الفتح وضع هام وخاص فهى باطلالتها على المحيط الأطلسى، تطل على العالم الغربى كله وتعد بمثابة همزة وصل بين هذا العالم، والعالم الإسلامى، وكانت بحكم موقعها فى وسط المغرب الأقصى بمثابة قاعدة مركزية لربط أنحاء المغرب بعضه ببعض وكذلك لربطه ببلاد الأندلس.

وسنقوم فى السطور التالية بمحاولات أكثر تفصيلاً لتوضيح أهم ملامح الالتقاء والتقارب بين كل من الإسكندرية ورباط الفتح فى المجالات المختلفة ونلاحظ أن أهم ملامح التقارب تتمثل فى الموقع الجغرافى فكل من الاسكندرية ورباط الفتح تطل على ساحل البحر، الأولى على البحر المتوسط والثانية على البحر المحيط. ولعل الموحدين عندما آختاروا موضع مدينة رباط الفتح لبناء هذه المدينة كانت قد وصلت إلى أسماعهم الشهرة الكبيرة التى كانت تنعم بها مدينة الإسكندرية منذ أقدم العصور فبحثوا عن موضع ساحلى يتميز بخصائص جغرافية واستراتيجية مشابهة، فوجدوا أن موضع الرباط يجمع بين كل المقومات، فهى إلى جانب وقوعها كامتداد لقصبة تاشفين بن على القائمة على رباط المرابطين لقتال برغواطة محل القلعة الرومانية القديمة كما سبق أن ذكرنا، مدينة ساحلية، فمن الممكن أن تلبى حاجتهم إلى الجهاد البحرى وتحقق الغرض من بنائهم لها لتكون قاعدة للجهاد فى الأندلس أو لمحاربة أعدائهم فى بلاد المغرب. وكذلك مركزاً اقتصادياً هاماً على النحو الذى كانت عليه مدينة الاسكندرية فى مصر. وقد دفع هذا التحليل الكثير من المؤرخين إلى وصف ابى يوسف يعقوب المنصور بأنه كان يفكر فى بناء مدينة جديدة تخليداً لذكرى انتصار الأرك، على غرار الحواضر الإسلامية الكبرى[٥١٨].

أما بالنسبة لمدينة الإسكندرية فانها تختلف بعض الشئ من حيث التخطيط عن مدينة رباط الفتح فهى تتكون أساساً من قربة تعرف باسم راكوتيس RhaKotis يحدها من الشمال جزيرة تعرف باسم جزيرة فاروس كانت بمثابة حاجز طبيعى لها يحميها من أنواء البحر وعواصفه، ويحدها من الجنوب بحيرة مريوط[٥١٩]، فى حين أن مدينة رباط الفتح لم تكن محاطة لا فى شمالها بجزيرة ولا فى جنوبها ببحيرة، ورغم ذلك الاختلاف الظاهرى فى التخطيط والوضع الجغرافى بين المدينتين إلا أن عاملاً جغرافياً آخر هاماً للغاية قربّ بين المدينتين وهو وجود مجرى مائى فى كل منهما، ففى حالة مدينة الإسكندرية، لاحظنا أن بحيرة مريوط كانت تقع جنوب الإسكندرية، وهى بحيرة عذبة كانت مياه النيل تصل إليها عن طريق قنوات تتفرع من ترعة شيديا، وهذه الترعة كانت تخترق مدينة الإسكندرية وتصب فى البحر المتوسط، وكانت تحتشد فيها السفن القادمة من جنوب مصر، وبذلك تمكنت المدينة من التزود بمياه النيل. ويذكر المؤرخون أن هذه الترعة كانت تتفرع إلى فرعين عند حجر النواتية يسير أحدهما بمحاذاة الشاطئ إلى كانوب (أبى قير) بينما يتجه الآخر إلى الإسكندرية[٥٢٠] ويدور جنوب المدينة ثم يصب فى الميناء الغربى المعروف بالصندوق وإن كان برشيا Breccia يعتقد أن هذا الفرع كان يصب فى الميناء الشرقية[٥٢١] أما رباط الفتح فتقع على امتداد الضفة اليسرى لنهر أبى رقراق فى مواجهة سلا كما سبق أن أشرنا فى بداية البحث، وكان هذا النهر يصب فى المحيط الأطلسى مما أتاح الفرصة لبعض السفن الأبحار فى النهر والدخول إليه بعكس ما أشار إليه كاييه Caillé فى كتابه عن الرباط*.

وإذا انتقلنا للحديث عن تشابه المدينتين فى التخطيط العمرانى، فاننا نلاحظ أن مدينة الإسكندرية أسست وفق تخطيط مسبق لها ولشوارعها ولأهم مبانيها شأنها وفى ذلك شأن سائر المدن يونانية البناء. ومن المعروف أن دينوقراطيس Denokrates مهندس الاسكندر هو الذى وضع أساسها[٥٢٢]، ولم يتم بناؤها فى عهد الاسكندر، وإنما استكملها خليفته بطليموس سوتر. وكانت المدينة تمتد فى عصر

المطالة من الشرق إلى الغرب بحذاء الساحل بحيث تؤلف مركزاً عمرانياً على شكل شريط ساحلى يزيد طوله على عرضه، وتتخلله شبكة من الطرق المستقيمة رصفت بالبازلت الأسود(٥٢٣) أو الأصفر تتقاطع فيما بينها، سبعة ممتدة طولاً بحذاء الساحل، واثنى عشر تقطعها عرضاً من الشمال إلى الجنوب، بحيث كانت تبدو وكأنها رقعة شطرنجية ويرجع الفضل فى هذا «التخطيط الشطرنجى» إلى المهندس دينوقراطيس الذى اتبع نفس نظام التخطيط الأغريقى الذى ابتدعه هيبوداموس الميليطى وطبق فى تخطيط المدن اليونانية منذ القرن الخامس ق.م. مثل هاليكارناسوس وبيرايوس ورودس وكان يخترق المدينة شارعان رئيسيان لايقل اتساع الواحد منهما عن ثلاثين متراً الأول يسمى الشارع الكانوبى Canopus لأنه يمتد فى الباب الشرقى فى اتجاه ضاحية كانوب (أبى قير الحالية) متتبعاً طريق الحرية فى الوقت الحاضر(٥٢٤)، ثم يمتد من الباب الغربى حتى شاطئ البحر. أما الطريق الثانى فكان يقطع الطريق الكانوبى فى وسطه ويتفق فى تخطيطة مع خط شارع النبى دانيال الحالى. ويقال أن بطليموس سوتر قام بخدعة ماكرة، عندما اتفق سراً مع أحد القادة اليونان لنقل جثمان الإسكندر من بابل حيث توفى إلى سورية، ومنها إلى مصر بدلاً من مقدونية حيث كان يجب أن يدفن طبقاً لما تم الاتفاق عليه بين قادته، وقد قام بطليموس بدفن جثمان قائده الراحل فى منف بصفة مؤقتة ثم نقله بعد ذلك إلى الإسكندرية(٥٢٥) حيث دفن كما هو معروف لدى الباحثين فى ضريح يقع عند نقطة التقاء الطريقين الرئيسيين السابق ذكرهما واللذين كانا يخترقان مدينة الإسكندرية، وعرف هذا الموضع بالسوما أو السيما بمعنى الجسد الحى نسبة إلى جثمان الاسكندر(٥٢٦). وكان بطليموس سوتر يهدف من وراء دفن قائده الاسكندر فى الاسكندرية، إكتساب مكانة روحية كبيرة للمدينة التى ستصبح عاصمته باعتبار أن الإغريق كانوا ينظرون إلى الاسكندر نظرة وإن لم تصل إلى التأليه الكامل فهى لاتبتعد كثيراً عنه، فأصبحت الإسكندرية منذ ذلك لحين مركز الثقل الأول فى العالم(٥٢٧) المتأغرق. وقد وضع بطليموس نظاماً دقيقاً لتزويد مدينة

الاسكندرية بمياه الشرب والسقاية، فمدت في جوف الأرض قنوات لتوصيل هذه المياه من ترعة شيديا إلى صهاريج وخزانات جوفية مازال بعضها قائماً حتى اليوم، وقد لاحظ الجغرافيون والمؤرخون العرب هذا التنظيم الدقيق، وقام بوصفه كل من المسعودى[٥٢٨] وابن جبير[٥٢٩] . واستمر ازدهار الإسكندرية يتزايد في العصور التالية حتى إذا ما دخلها العرب عند افتتاحهم لها سنة ٢١ هـ، بهتوا لما شاهدوه فيها من حسن العمارة وروعة التخطيط وجليل العمران حتى أن القائد عمرو بن العاص فكر في بادئ الأمر في إتخاذها عاصمة لمصر الإسلامية[٥٣٠] .

أما من حيث التشابه بين المدينتين في التخطيط العمراني فإن تيراس Terrasse يذكر أن رباط الفتح بنيت في موضع حصين حصانة طبيعية على مرتفع قريب من النهر وفي واجهة البحر، وهذا يذكرنا بموقع الإسكندرية ذى الحصانة الطبيعية حيث تحميها جزيرة فاروس فالموقعان وأن اختلفا في التفاصيل إلا أنهما اشتركا في «الحصانة الطبيعية» . وإذا كانت الإسكندرية قد حظيت بتخطيط مسبق قبل بنائها شأن المدن اليونانية، فان الرباط قد حظيت أيضا بهذه الميزة. وتذكر المصادر العربية أن الخليفة ا لموحدى عبد المؤمن بن على عهد إلى المهندس البناء عبد الحق بن ابراهيم بن جامع باتمام بناء قصبة وقصر المهدية[٥٣١] ، وأن العمران بدأ يمتد حولها فعمرت سريعاً بالسكان وأصبحت بذلك نواة لمدينة جديدة هى رباط الفتح، كما تذكر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان المسئول الأول عن تخطيط مدينة رباط الفتح ورسم شوارعها وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي «وكان أبو يعقوب رحمه الله هو الذى أختطها ورسم حدودها وابتداء في بنياتها فعامة الموت عن اتمامها....»[٥٣٢] ، ويشير ابن صاحب الصلاة إلى هذه الحقيقة بقوله «وأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين هذا هو الذى مصّرها ومهدها وابتدأ بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب ...»[٥٣٣] .

وتعتبر مدينة رباط الفتح على هذا النحو من الأمثلة النادرة للمدن الإسلامية

الحدثة التى تميزت بتخطيط مسبق لأسوارها وشوارعها قبل الشروع فى بنائها، فالمدن الإسلامية تتفق جميعاً فيما بينها سواء فى المشرق أو المغرب وسواء أكانت مدناً مفتوحة أو مدناً أسست فى عهد الإسلام فى مظهرها العمرانى العام ونعنى فى طريق تكوين شوارعها وتعرجها وتشعب طرقاتها وتوزيع مراكزها العمرانية كما تتفق فى أبنيتها عامة باستثناء تفاصيلها الزخرافية بتأثير المناخ أو طبيعة المكان، وتتمثل هذه الظاهرة فى مصر والشام والعراق وبلاد المغرب والأندلس، ويمكن تفسيرها بأن المسجد الجامع الذى لايختلف كثيراً فى نظام بنائه فى سائر أنحاء العالم الإسلامى كان يعتبر أساس التنظيم العمرانى للمدينة الإسلامية، والذى تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية. وكان تشييد المساجد الجامعة فى الإسلام أساس العمران فى المدن إسلامية الإنشاء أو المدن المفتوحة، فكان المسلمون منذ فجر الإسلام وفى زمن الفتوحات التى يراد طبعها بطابع الإسلام، فكان المسلمون منذ فجر الإسلام وفى زمن الفتوحات الكبرى يشيدون المسجد الجامع فى المدن المفتوحة رغبة فى أسباغها الطابع الإسلامى، لأن المسجد الجامع فى الواقع هو الذى يتحكم فى كل مراكزها العمرانية، كما كانوا يبدأون ببناء المسجد عند تأسيسهم للمدن الجديدة مثلما حدث عند بناء سعد بن أبى وقاص لمدينة الكوفة سنة ١٧هـ، وبناء عمرو بن العاص للفسطاط سنة ٢١هـ، وبناء عقبة بن نافع لجامع القيروان فى القيروان وبناء حسان بن النعمان الغسانى لجامع الزيتونة بتونس : وبعد بناء المسجد الجامع الذى سرعان ما تلتف حوله الدور ومختلف الأبنية والأسواق، تتوزع الطرق بين هذه المرافق جميعاً وتشكل شبكة معقدة من الدروب الدروب والحارات والأزقة المتعرجة التى تكسب المدينة طابعاً مميزاً لأنها لم يخطط لها تخطيطاً مسبقاً.

أما فى حالة رباط الفتح، فان تخطيطها سبق بناء مسجدها الجامع(٥٣٤)، فقد شرع الخليفة أبا يعقوب يوسف فى تخطيط المدينة. وبناء أسوارها وأبوابها قبل بناء مسجدها الجامع الذى لم يبدأ العمل فيه إلا فى عهد الخليفة المنصور كما سبق أن ذكرنا، وبذلك فان شكل شوارعها جاء مختلفاً عن الشكل التقليدى المعروف

للشوارع الضيقة والدروب المتعرجة فى المدن الإسلامية، وبدت مدينة رباط الفتح على حد وصف تيراس Terrasse «مدينة توزعت فيها شبكة منتظمة من الطرق الفسيحة على غرار تخطيط مدينة الإسكندرية...»(٥٣٥).

وكما حرص البطالمة على تزويد مدينة الإسكندرية بالمياه الصالحة للسقاية وإنشاء الصهاريج والخزانات اللازمة كذلك اهتم خلفاء الموحدين بتزويد رباط الفتح بالسقايات فقد ذكر البيذق أن الخليفة عبد المؤمن بن على قد مد السقاية من عين غبولة إلى موضع قصبة تاشفين حين أسس قصبة المهدية(٥٣٦)، وكذلك أشار إلى ذلك كل من ابن صاحب الصلاة(٥٣٧) وابن ابى زرع(٥٣٨)، أما الخليفة أبو يعقوب يوسف فقد لاحظ كما سبق أن أوضحنا عند زيارته لرباط الفتح سنة ٥٦٦هـ أن الماء قد أسن وفسد جريه، فقام بتجديد مشروع والده مضيفاً إليه صهريجاً يتجمع فيه الماء(٥٣٩). وقد أشار كل من صاحب الاستبصار والحميرى إلى وجود عدة سقايات وصهاريج للمياه بموضع رباط الفتح(٥٤٠).

وإذا كان بطليموس بنقله لجثمان الإسكندر إلى الإسكندرية يهدف إلى إسباغ أهمية روحية للإسكندرية عن غيرها من مدن العالم المتأغرق فان رباط الفتح حظيت هى الأخرى بمكانة روحية ومعنوية لاتقل بأى حال من الأحوال عن تلك التى حظيت بها مدينة الإسكندرية وأعنى بذلك ارتباطها اسماً وفعلاً بمفهوم «الجهاد المقدس» وهى نقطة سنعود للحديث عنها بمزيد من التفصيل فى الصفحات التالية، ولكن ما نود الآن الإشارة إليه، أن هذه المكانة الروحية ترجع أيضاً فى اعتقادى الشخصى إلى عامل ثانى يتمثل فى وفاة أكثر من خليفة موحدى برباط الفتح وحرص عدد آخر منهم على قضاء الأعياء الدينية على وجه الخصوص بها، وقد أوردت على الصفحات السابقة بعض الأمثلة لذلك فى سياق عرضى التاريخى ولعل أهم هؤلاء الخلفاء الموحدين الذين توفوا برباط الفتح، الخليفة عبد المؤمن بن على الذى توفى وفقاً لما ذكره كل من صاحب الحلل الموشية(٥٤١) وابن ابى

زرع[٥٤٢] والغبريني[٥٤٣] وبوجندار[٥٤٤] فيها سنة ٥٥٨هـ بل أن ابن عذارى يؤكد أن الخليفة أبو يعقوب يوسف بايع لولده فيها أيضا[٥٤٥].

وتذكر المصادر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن دفن أولاً برباط الفتح بعد عودته شهيداً من غزاته بشنترين سنة ٥٨٠هـ، وأن ولده أبا يوسف يعقوب تأسى والده فتلقى بيعته بها دون غيرها من مدن المغرب[٥٤٦]. ويؤكد ابن الخطيب أن الخليفة محمد الناصر الموحدى توفى فى رباط الفتح سنة ٦١٠هـ[٥٤٧]. ومن هذا المنطلق بدأت مدينة رباط الفتح تكتسب مكانة روحية بحيث أصبحت مرتبطة إلى حد كبير بالقيم الروحية لدى خلفاء الموحدين لذلك كانوا يفضلون قضاء أيام شهر رمضان والأعياد بها، واستمر هذا التقليد متبعاً فى عصر بنى مرين.

واستكمالاً للحديث عن التخطيط والنواحى المعمارية والعمرانية، فلابد أن نشير إلى منار الإسكندرية ومدى الارتباط بينه وبين صومعة جامع حسان، وأوجه التشابه بينهما والتى نصت عليها بعض المصادر العربية كما سبق أن أشرنا. يتفق المؤرخون وعلماء الاثار على أن منار الإسكندرية، كان يتألف من طابق رئيسى يتمثل فى برج ضخم مربع القاعدة يبلغ ارتفاعه ستين متراً، وتميل جدرانه ميلاً خفيفاً كلما ارتفعت نحو الداخل، ويعلوه طابق ثان مثمن الشكل أقل حجماً يبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً، وتتخذ جدرانه نفس الميل إلى الداخل، ويلى ذلك طابق أسطوانى الشكل أرتفاعه ١٥٠ متراً ينتهى من أعلى بجوسق قائم على ثمان أعمدة من الجرانيت، ويتوجه من أعلى بناء مثلث الشكل يرتفع بأعلاه تمثال ضخم من البرونز يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار يمثل آله البحر بوسيدون[٥٤٨]. وكان الصعود إلى المنار يتم بواسطة طريق صاعد مبسوط لادرج له[٥٤٩] وكان منار الإسكندرية عند بنائه يعد من أعاجيب الدنيا السبعة[٥٥٠]، وظل المنار يحتل هذه المكانة طوال العصر الوسيط حتى طليعة القرن السابع الهجرى عندما بدأ يفقد مكانته تدريجياً بسبب ما تعرض

له بنيانه العلوى من تصدع وإنهيار بسبب الزلازل المتتابعة، لاسيما زلزال سنة ١٨٠هـ الذى تسبب فى هدم طابقة العلوى وظل المنار على هذه الحال حتى قام أحد بن طولون (٢٥٤هـ-٢٧٠هـ) بإصلاحه وترميمه فجعل فى أعلاه قبة من الخشب لم تلبث أن تهدمت بفعل الرياح(٥٥١). وقد تعرض المنار لزلزال آخر عنيف سنة ٣٤٤هـ هدم ما يقرب من ثلاثين ذراعاً من أعلاه(٥٥٢). واستمر المنار قائماً حتى قام السلطان ركن الدين بيبرس البندقدارى ببناء ما تهدم منه أثناء زيارته للإسكندرية سنة ١٧٦هـ (١٢٧٢م) وأنشأ فى أعلاه مسجداً لم يلبث أن تعرض بدوره للهدم عقب زلزال حدث سنة ٧٠٢هـ(٥٥٣) (١٣٠٢م).

ويرجح المؤرخون أن تهدم المنار كله حدث فيما بين عامى ٧٢٥، ٧٥٠هـ (١٣٢٢، ١٣٤٩م)، وهما العامان اللذان زار فيهما الرحالة ابن بطوطة الإسكندرية ففى المرة الأولى كان أحد جوانبه وفقاً لرواية ابن بطوطة مهدماً، وفى المرة الثانية كان الخراب قد استولى على المنار تماماً(٥٥٤)، ولم يبق من المنار فى سنة ٧٧٥ هـ فى زمن النويرى السكندرى إلا البقعة التى كان يقوم عليها مما أوحى للسلطان قايتباى أن يبنى على أنقاضه برجاً جديداً عرف ببرج قايتباى.

ومن خلال هذا العرض السريع يتبين لنا أن منار الإسكندرية كان لايزال قائماً عندما شرع الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدى فى بناء مدينة رباط الفتح، واستكملها بعد وفاته ولده يعقوب المنصور، وكان طلاب العلم المغاربة وحجاج المغرب القادمين إلى الإسكندرية يشاهدون المنار فيتفاءلون به ويعتبرون أنفسهم قد وصلوا إلى بر الأمان بعد رحلة بحرية صعبة تعرضوا خلالها لأخطار الغرق بحراً فأصبح المنار راسخاً فى مخيلاتهم ولعل ذلك كان حافزاً على تقليد هذا المنار فى صوامع ومآذن المغرب التى كانت تقوم بالإضافة إلى وظيفتها فى الآذان بهداية الرحالة والمسافرين براً.

وإذا عدنا إلى ما ذكره كل من ابن خلكان وعبد الواحد المراكشى من التشابه

بين صومعة جامع الرباط ومنار الإسكندرية فان ذلك يعنى أن عرفاء البناء برباط الفتح اسوحوا طريقة بناء المئذنة من منار الإسكندرية الذى كان لايزال قائماً فى عهد المنصور الموحدى(٥٥٥).

وقد أشار الدكتور السيد عبد العزيز سالم فى أحد أبحاثه إلى أنه يميل إلى الاعتقاد بأن منار الإسكندرية رغم اختلافه من حيث الوظيفة ومن حيث النسب عن المئذنة فى الإسلام، قد أثر إلى حد كبير فى نظام المآذن فى المغرب والأندلس ولاسيما مئذنة المسجد الجامع بالقيروان (سنة ١٠٥هـ) ومئذنة جامع صفاقس (٣٧٠هـ/ ٩٨١م) والثلاثة مآذن الموحدية، مئذنة جامع الكتبية بمراكش وجامع قصبة الموحدين باشبيلية ومئذنة جامع حسان بالرباط(٥٥٦).

ويذكر الدكتور سالم أن الشكل العام لمنار الإسكندرية كان هو الأنموذج الذى احتذاه المعماريون فى المغرب الأدنى لمئذنتى القيروان وصفاقس، ولكن فى حالة المآذن الموحدية بمراكش واشبيلية وحسان بالرباط، فان العمارة الداخلية للمنار كانت هى مصدر الإلهام لعرفاء البناء الذين أسسوا مآذن هذه المساجد الثلاثة(٥٥٧).

ومما لاشك فيه أن النص الذى أورده عبد الواحد المراكشى بهذا الصدد واضح وصريح وفى غاية الأهمية، ويؤكد بما لايدع مجالاً للشك فى أن صورة منار الإسكندرية كانت لاتزال راسخة فى مخيلة الخليفة أبى يوسف يعقوب المنصور وأنه أملى على مهندسيه رغبته فى أن تتشابه صومعة جامعه بالرباط مع منار الإسكندرية **أولاً** من حيث الضخامة والارتفاع، ومن المعروف أن طول كل جانب من قاعدة الصومعة يبلغ ١٦,١٥ متر(٥٥٨) وهو يزيد كثيراً عن نظيره فى صومعة جامع أشبيليه وصومعة جامع الكتبية بمراكش، أما ارتفاعها اليوم فيبلغ ٤٤ متراً، وكان مقدراً لها أن تتجاوز فى الارتفاع ٦٠ متراً، **وثانياً** من حيث النظام الداخلى للبناء حيث يتم الصعود إلى أعلى الطابق الأول عبر طريق مستوٍ صاعد بدون درج أشار إليه عبد الواحد المراكشى عند وصفه لصومعة جامع حسانً.

ويصف تيراس Terrasse هذا النمط الداخلي للبناء بقوله عن الصوامع التوائم الثلاثة «وبين الجدار الخارجي السميك والنواة الوسطى لايوجد درج وفق النظام الشائع للمآذن، وإنما يرتقي المرء عبر طريق صاعد بدون درجات بحيث يجتاز في صعوده عطفات مؤربة (تتخذ زوايا قائمة) وقد طبق هذا النظام في صومعة جامع أشبيلية (الجيرالدا) كما طبق في صومعة جامع حسان بالرباط»[٥٥٩].

ولايقتصر التشابه بين مدينتي الاسكندرية ورباط الفتح على النواحي العمرانية والمعمارية فحسب، وإنما أيضا في الغرض الذي من أجله أنشئت كلتا المدينتين. ففي حالة مدينة الاسكندرية نلاحظ أن موقعها على ساحل البحر المتوسط أوحى لبانيها بأنها ستشغل دائما مكانة استراتيجية رفيعة، وتتبوأ مركزاً اقتصادياً ساحقاً عبر كل العصور، وكذلك كان الأمر بالنسبة لمدينة رباط الفتح وإن كانت مكانتها الاستراتيجية قد فاقت مكانتها الاقتصادية.

فالاسكندرية اتسعت عمرانياً منذ إنشائها واتسمت بالعظمة والفخامة ذلك لأن بطليموس الأول (سوتر) كان حريصاً على تزويدها بكل ما كانت تحتاج إليه من مقومات هذه الفخامة والاتساع العمراني، فقد ربط بين جزيرة فاروس وبين المدينة برصيف يبلغ طوله نحو ١٢٥٠ مترا وعرضه نحو ٣٠ متراً، وقدر لهذا الرصيف أن يتسع بمرور الزمن ويصبح حياً هاماً من أحياء المدينة كما أعطى هذا الرصيف للمدينة بعداً استراتيجياً قوياً في ذات الوقت، فقد قسم ميناء الاسكندرية إلى مينائين أحداهما شرقية وتعرف بالميناء الكبير Megas Limen والأخرى غربية وتسمى ايونوستوس أي العود الحميد Eunostos وعرفت أيضاً بميناء السلام، وهي الميناء الحالية[٥٦٠]. وكان هذان الميناءان يتصلان فيما بينهما عن طريق ممرين محصنين فتحا بالرصيف عند طرفيه الجنوبي والشمالي. كما مد بطليموس من الطرف الشمالي لرأس لوكياس (رأس السلسلة) شريطاً صخرياً ينحني نحو الغرب وظيفته حماية الميناء الشرقي من عواصف البحر وانوائه وهكذا اصبح ميناء الاسكندرية يفوق

سائر موانئ البحر المتوسط منعة وحصانة.

وكان يحيط بالاسكندرية فى العصر البطلمى وطوال العصر الرومانى والبيزنطى سور حجرى عظيم مزود بأبراج ضخمة يفوق فى امتداده اسوار المدن الاغريقية الأخرى باستثناء أسوار سرقوصة وأثينا (٥٦١)، واستمرت هذه الأسوار الحصينة التى اكسبت المدينة منعة وقوة استراتيجية إلى ان فتحها العرب بعد حصار طويل تخللته مفاوضات انتهت بتسليم المدينة للمسلمين (٥٦٢).

وكان بالاسكندرية فى العصر البطلمى دار لصناعة السفن وهى نفس دار الصناعة التى اتخذها عبد الله بن سعد بن ابى السرح بعد تجديدها (٥٦٣) لصناعة السفن الاسلامية التى عهد إليه معاوية بن ابى سفيان بصناعتها ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها هى نفسها دار الصناعة الغربية التى كانت تقع عند نهاية المطرق الغربى داخل سور الاسكندرية وبلصق السور، وقد توصل إلى هذا الرأى بعد اكتشافه لأثر له أهميته فى القطاع الغربى من الاسكندرية لصق سورها المصاقب للباب الأخضر ويتميز هذا الأثر بمدخل على هيئة الصرح المصرى القديم، من الواضح أنه قد تبقى من مدخل دار الصناعة البطلمية، ويؤدى إلى درج يفضى إلى باب اسلامى ذى ممر منكسر تعلو مدخله فتحة طويلة ضيقة لعلها كانت مكاناً يرتفع إليه المشط الحديدى الذى كان صلاح الدين خليل بن عرام نائب السلطنة بالاسكندرية قد دعم به تحصين هذا الباب سنة ١٩٧٧ هـ عقب غارة القبارصة على المدينة سنة ٧٦٧ هـ (٥٦٤).

ولعل هذه المكانة الرفيعة التى تبوأتها الاسكندرية والحصانة والمنعة التى اتسمت بها منذ نشأتها هى التى دفعت ولاة الاسكندرية منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر الأموى الى تحصين سواحلها بالأربطة والنواظير، وكان خوف المسلمين على هذه المدينة من التعرض للاعتداءات البيزنطية البحرية، الدافع الرئيسى وراء اعتبارهم لها منذ افتتاحها ثغراً من الثغور الاسلامية التى يفد إليها المرابطة بقصد الرباط، وقد نزلت

قبائل العرب بالاسكندرية منذ أيام عمرو بن العاص وانتجعوها للرباط والجهاد، وقبل أن نستطرد في الحديث عن وضعية الاسكندرية فى العصر الإسلامى كرباط وثغر للجهاد، نود أن نشير إلى أوجه التشابه فيما ذكرناه بينها وبين رباط الفتح.

لقد ذكرنا في الصفحات السابقة أنه قام في موضع قصبة الرباط، أيام الرومان حصن رومانى قديم للدفاع عن سلا والمنطقة المحيطة بها، وأنه قام على انقاض هذا الحصن، قصبة ايام المرابطين لقتال برغواطة، اشار اليها ابن حوقل، ثم اعاد تاشفين ابن على بناءها ليواجه منها المهدى بن تومرت وهى نفسها التى أعاد عبد المؤمن بن على بناءها، وعرفت باسم المهدية، وفيما بعد بقصبة الوداية وهى نواة مدينة رباط الفتح.

إذن فقد كانت لكل من المدينتين مكانة استراتيجية فى التاريخ القديم والوسيط أهلتها لتتبوأ المكانة المتميزة التى ظهرت بها فى العصر الإسلامى، وإذا كنا قد أشرنا إلى تحول مدينة الاسكندرية الى ثغر ورباط عقب الفتح الاسلامى لمصر مباشرة فإن رباط الفتح منذ أن أسست قصبتها المسماة بالمهدية زمن عبد المؤمن بن على بنيت على هذا الأساس ولهذا الغرض، لكى تكون رباطاً يقصده الراغبين فى الجهاد. وقد اهتم كل من الخليفة ابى يعقوب يوسف وابى يوسف يعقوب المنصور باحاطة مدينة رباط الفتح بأسوار قوية ومنيعة لا تقل فى المنعة والحصانة عن أسوار الاسكندرية البطلمية، وفيما يتعلق بصناعة السفن فإن دار صناعة سلا التى كان بابها مسامتاً لجامع حسان كانت تقوم بهذه المهمة وكانت الرباط كما أثبتنا فى الصفحات السابقة ميناء حربية وتجارية هامة طوال العصر الإسلامى.

ونتوقف قليلاً للإشارة إلى نظام الرباط والأربطة قبل أن نسترسل فى الحديث عن المدينتين كربط اسلامية هامة.

المرابطة تعنى ملازمة ثغر العدو وتعنى ايضاً المحافظة على أوقات الصلاة طبقاً

لتفسير الامام ابى بكر الطرطوشى [٥٦٥] للآية الكريمة «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» [٥٦٦]. ومن ذلك يتبين أن الرباط يعنى المكان الذى يجتمع فيه الفرسان المجاهدون قبل الخروج إلى دار الحرب للجهاد. وكان يجتمع فيه ايضاً أهل الزهد والنسك والتصوف تقرباً لله [٥٦٧].

وقد ارتبط الجهاد بالرباط والمرابطة فأصبح من أخص صفاتهما. وقد استقى هذا المفهوم من الآية القرآنية الكريمة «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» [٥٦٩].

ويختلف المؤرخون فيما بينهم حول تحديد بداية ظهور الأربطة فى التاريخ الاسلامى، فقد أرتأى كل من الدكتور **السيد عبد العزيز سالم و الدكتور محمد توفيق بلبع** و الدكتور **محمد الأمين بلغيث** أن الأربطة ظهرت لأول مرة فى الشرق الاسلامى قبل بلاد المغرب وذلك عقب الفتوحات الاسلامية مباشرة لحماية المناطق الساحلية التى كانت فى حوزة المسلمين، فساحل الشام كله كان يعتبر رباطاً بعد الفتح إذ تنتهى عنده الحدود الاسلامية وتبدأ الدولة البيزنطية وتتناثر على تلك الحدود الثغور، وكانت ملازمة هذه الثغور اسمى ما يصل اليه المسلم من تقوى، وكان بناء الربط أو الأربطة وملازمة المسلمين ومرابطتهم فيها يرصع ثغور الشرق فى البر والبحر [٥٧٠] وكذلك كان الحال فى مصر [٥٧١] بعد الفتح الاسلامى حيث اعتبرت الاسكندرية ثغراً ورباطا فقد ارسل اليها عمرو بن العاص عقب الفتح قبائل العرب لسكناها وحراستها والمرابطة فيها فنزلت قبيلة لخم فى المكان المعروف بكوم الدكة وجذام ببركة جذام ونزلت كندة بالبراكل، ونزلت الأزد بحارة الأزدى وحضرموت بشارع الحضارمة بينما نزلت خزاعة والمزاغنة بناحية أبى قير شرقى الاسكندرية، وبدأت تنتشر الأحاديث النبوية فى فضل الاسكندرية والرباط فيها لتشجيع المرابطة والمثاغرة ومن هذه الأحاديث، حديث عن ابى هريرة أنه سمع رسول الله (ص) يقول «المقيم بالاسكندرية ثلاثة أيام من غير رياء بمنزلة من عبد الله سبعين سنة ما

بين الروم والعرب»[٥٧٢]، وحديث آخر عن سعد بن أبى وقاص ذكر فيه رسول الله أن الاسكندرية وعسقلان عروستان، والاسكندرية افضلهما ومن رابط بالاسكندرية أربعين يوماً كتب الله له براءة من النار[٥٧٣].

أما بالنسبة لأربطة المغرب فقد اهتم الدكتور حسن محمود بابراز دورها فى هذه البلاد المغربية دون الاشارة إلى دورها فى المشرق الاسلامى، واوضح أن بداية ظهورها على سواحلها كان لرد الخطر البيزنطى عن الأراضى حديثة العهد بالاسلام، وأن الربط فى المغرب كانت فى أوائل الأمر مجرد حصون تقام فى المناطق الأكثر تعرضاً لغارات العدو، وأشار إلى أن القيروان تعتبر أول رباط كبير يتخذه العرب لصد غارات الروم مفسراً كلمة قيروان بأنها موضع اجتماع الجيش وقيل محط أثقاله وأشار تأكيدا ودعماً لرأيه إلى النص الذى أورده الدباغ فى كتابه معالم الايمان من أن عقبة بن نافع أراد ببنائه القيروان أن تكون محل رباط[٥٧٤]. كما أشار الدكتور حسن محمود إلى أن برقة اعتبرت رباطاً وأشار إلى مرابطة زهير بن قيس البلوى بها عقب انسحابه من القيروان ثم ما لبثت الأربطة أن تزايدت فى عصر دولة الأغالبة وعرفت آنذاك بالقصور والمسالح[٥٧٥].

ويذكر الدكتور فرحات الدشراوى بعد أن استعرض الخطر البيزنطى على السواحل العربية الإسلامية عقب الفتوحات الاسلامية للشام ومصر والمغرب ان أقدم رباط فى المغرب هو رباط سوسة الذى يرجع تاريخ انشائه إلى عهد يزيد بن حاتم المهلبى (١٥٥ - ١٧١هـ) ويليه رباط المنستير الذى يرجع إلى عهد الوالى العباسى هرثمة بن اعين (١٧٩ - ١٨١ هـ)[٥٧٦]. وقد أشار كل من خايمى أوليڤر آسين Jaime Oliver Asin ومانويلا مارين Manuela Marin إلى أن أقدم الأربطة التى ظهرت فى العالم الاسلامى هو رباط عبادان الذى أقيم فى جزيرة بين ذراعين من دجلة والفرات عند الخليج العربى[٥٧٧].

ومن الجدير بالذكر أن الرباط فى المغرب الاسلامى عند نشأته، لم يتخذ طابعاً

عسكرياً عدوانياً أو هجومياً حيث لم تنظم حملات عسكرية ضد المسيحيين فى تلك المرحلة المبكرة، وإنما كانت مهمته الأساسية الحفاظ على المكاسب الاسلامية والدفاع عنها ضد أى عدوان يقوم به العدو (٥٧٨).

أما نظام الحياة فى الرباط الإسلامى بوجه عام وفى المغرب الاسلامى على وجه الخصوص فقد اتسم بطابع دينى خالص، وإن كان بعض المرابطين يغادرون رباطهم احياناً لفترات مؤقتة ثم يعودون اليها من جديد، ولكن جرت العادة أن يقضى المرابط عشرين أو ثلاثين عاماً فى الرباط وربما حياته كلها حتى الوفاة، ولم يكن بقاؤه فى الرباط راجع إلى ضغط من أحد وإنما كان نابعاً من رغبته الشخصية فحسب. وفى كثير من الأحيان كان المرابطون يلتزمون الزهد والتقشف الشديد فى الحياة(٥٧٩). وقد أدى ذلك إلى ظهور حركة صوفية قوية بدأت فى أربطة المشرق الإسلامى فى القرن السادس الهجرى (١٢م) حولت الرباط إلى مقر دينى أو «ديرى» على حد تعبير أحد المستشرقين(٥٨٠)، وقد انتقلت هذه الروح شيئاً فشيئاً إلى الربط فى المغرب الإسلامى فظهرت طبقة كبيرة من الصلحاء والمريدين والمتصوفة فى عهد المرابطين والموحدين(٥٨١) فى المغرب لا سيما فى المنطقة الغربية التى كانت فيما مضى مجالاً لدولة برغواطة المنحرفة، وقد أفرد لهم ابن الزيات التادلى كتاباً خاصاً سماه التشوف إلى رجال التصوف(٥٨٢). ونشير هنا إلى ازدهار حركة التصوف فى الاسكندرية أسوة بما حدث فى المغرب الأقصى، ولعل أشهر هؤلاء الصوفية عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى (ت ٦١٢ هـ)(٥٧٣) ولا عجب أن تزدهر حركة الصوفية فى الاسكندرية مثلما ازدهرت فى بلاد العرب، فقد كانت ظاهرة التصوف فى القرن السادس الهجرى، ظاهرة عامة فى العالم الإسلامى كله، وكان لزعماء الطرق الصوفية، المكانة المميزة فى الدعوة إلى الاسلام، وإعادة المجتمعات الاسلامية إلى الطريق السليم(٥٨٤).

ولم تقتصر حركة التصوف فى هذا العصر (القرنين السادس والسابع الهجريين) على جماعة من الزهاد والمتصوفة بل عمت كافة الطبقات فى المجتمع الغربى، وقد

حظى الصلحاء وأهل التصوف بمكانة مرموقة لدى الخليفة ابى يعقوب المنصور الموحدى الذى كان يستقبلهم بحفاوة عظيمة ويجزل عليهم العطاء(٥٨٥) ، مما شجع كل طبقات المسلمين على الانخراط فى المرابطة وأصبح الرباط والجهاد فرض واجب على كل مسلم لا فرق بين قاض وفقيه واديب وتاجر وصانع وفلاح(٥٨٦).

ولعل هذا يذكرنا بالاجراء الذى اتخذه يعقوب المنصور لتشجيع التجار والصناع والفلاحين على الوفود إلى رباط الفتح والاستقرار فيها عندما أمر أن يمنح كل ساكن فيها تعويضاً علاوة على ما تدر عليه مهنته اجتذاباً لفئات مختلفة من الناس للمرابطة فى هذه المدينة، وقد فقدت الأربطة دورها العسكرى إلى حد كبير فى أواخر عصر المرابطين واصبحت مدرسة أو مؤسسة للتعليم والعبادة بعد ظهور حركة التصوف فى العصر الاسلامى(٥٨٧).

وكان وصف الرباط الاسلامى كمؤسسة جهادية وتعليمية ودينية، مجالاً لدراسات عديدة لعل أشهرها الدراسة التى قام بها الدكتور محمد تونيق بلبع وتلك التى اصدرها Jaime Oliver Asin(٥٨٨) وتلك التى قام بها الدكتور محمد الأمين بلغيث ومجموعة الأبحاث القيمة التى ساهم بها الاساتذة مانويلا مارين والدكتور فرحات الدشراوى والدكتور جمعة شيخة والدكتور ميكل دى ابالثا والدكتور مانويل اسبينار Manuel Espinar Moreno فى مؤتمر «الرباط الاسلامى» الذى عقد فى قطالونيا ١٩٨٩ باسبانيا. وقد أشارت بعض هذه الدراسات إلى أن الربط نوعان ربط للرجال، وربط للنساء، أما الرجال فكانت مهماتها دينية وحربية فى حين كانت ربط النساء ذات طبيعة اجتماعية، فهذه الربط النسائية لم تكن تستخدم لمجرد التعبد وإنما كانت مجالاً لايواء النساء المطلقات أو الأرامل أى بمثابة ملاجئ لهن مثل رباط البغدادية فى القاهرة(٥٨٩). ولم يكن وجود المرأة ملحوظاً فى الفترة الأولى ولكن فيما بعد اصبحت النساء تؤلف جزءاً من مجتمع المرابطين(٥٩٠) لا سيما فى

رباط صفاقس والمنستير وقصور طرابلس الغرب وفى رباط سلا (رباط الفتح) ويرى د. محمد الأمين بلغيث أن رباط سلا (نواة رباط الفتح) الذى ذكره ابن حوقل وأشار إلى أنه كان يحتوى على أكثر من ١٠٠ ألف انسان هو وما حوله من رباطات، كان يضم رجالاً ونساءً أيضاً حيث أن ١٠٠ ألف عدد كبير من رأيه، وفى تصوره ان هذا العدد الضخم لم يكن قاصراً على الرجال خاصة وأن ابن حوقل لم يحدد نوع هؤلاء المرابطين وأنه لو اراد أن يعبر عن ذكورتهم لأصناف بعد الرقم كلمة رجلا كتمييز لجنس المرابطين فيه ولكنه عمم التمييز فاختار كلمة «انسان»[٥٩١].

وعلى هذا النحو كانت كل من الاسكندرية ورباط الفتح دار رباط هامة[٥٩٢] وقد قيل فى فضل الرباط بالاسكندرية أقوال كثيرة وكتبت فى ذلك رسائل كثيرة منها على سبيل المثال «رسالة فى فضائل الاسكندرية» وهى مخطوطة مجهولة المؤلف اشتملت على فتح الاسكندرية وفضل المرابطة فيها وذكر أسوارها وعدد مساجدها وهى محفوظة فى المكتبة التيمورية بالقاهرة[٥٩٣] وكتاب «الدرة السنية فى تاريخ الاسكندرية» صنفه أبو مظفر منصور بن سليم السكندرى (ت ٦٧٣ هـ)[٥٩٤] ومخطوط «فضائل الاسكندرية» لأبى على الحسن بن عمر بن ابى اسحاق المعروف بابن الصباغ[٥٩٥]. وقد نزل الاسكندرية عدد كبير من الصحابة منهم سرق بن أسيد ويقال أسد الجهنى أو الديلمى أو الانصارى[٥٩٦]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[٥٩٧] وسفيان بن هانئ بن جبير أبو سالم الجيشانى الذى توفى بالاسكندرية فى امارة عبد العزيز بن مروان[٥٩٨]، وعلقمة بن يزيد المرادى الغطيفى الذى تولى رابطة الاسكندرية زمن معاوية بن ابى سفيان[٥٩٩].

كما نزلها التابعين ثمامة بن شفى الهمدانى وزاهر بن معبد بن عبد الله بن هشام[٦٠٠]، ومن تابعى التابعين سعيد بن يزيد الحميرى القتبانى الاسكندرانى وطلحة بن ابى سعيد الاسكندرانى والعلاء بن كثير الاسكندرانى[٦٠١].

ولم تكن الاسكندرية وحدها فى مصر دار رباط فقد انتشرت الحصون والمسالح والأربطة على طول ساحل الاسكندرية مما جعل ابن رسته يصف رباطات الاسكندرية ويسميها المحارس(٦٠٢) ولعل وجود هذه المحارس كان سبباً فى تسمية الاسكندرية بالثغر المحروس(٦٠٣).

واستمرت الاسكندرية طوال العصر الاسلامى مركزاً بحرياً قتالياً متميزاً وتعرضت لغارات الصليبيين فى آواخر العصر الفاطمى، فقد ناصر أهلها القائد صلاح الدين يوسف بن ايوب ضد شاور الوزير الفاطمى الخائن وحلفائه من الصليبيين ووقف أبناء هذه المدينة المجاهدة وراء صلاح الدين الذى احتمى بها من اعدائه، وحاول شاور أن يغرى أهل الاسكندرية بكافة وسائل الاغراء لخذلانه، ولكن مساعيه باءت بالفشل. وقد تعرضت الاسكندرية فى أوائل العصر الايوبى لحملة بحرية قام بها وليم الثانى النورماندى ملك صقلية سنة ٥٦٩ هـ ولكن أهلها تصدوا لهذه الحملة وردوا هذا العدوان. وفى عام ٧٦٧ هـ تعرضت الاسكندرية لغزوة قام بها بطرس لوزينان على المدينة، وتعد هذه الحملة القبرصية احدى الحملات الصليبية المتأخرة.

ونلاحظ أن الاسكندرية وحدها كانت تضم عدداً كبيراً من الربط منذ عهد أبن رسته وحتى غزوة القبارصة، مما يؤكد على اهميتها الاستراتيجية. وكان منار الاسكندرية نفسه أحد هذه الأربطة وذلك قبيل بناء قلعة قايتباى على بقعته بعد تهدمه(٦٠٤). وترجع أهم الأربطة التى أنشئت بمدينة الاسكندرية ووصلت الينا أسماءها فى المصادر العربية إلى القرنين السابع والثامن للهجرة. ومن أشهرها رباط الواسطى الذى كان يقع شرقى مسجد أبى العباس المرسى، وكان عبارة عن زاوية صغيرة يقوم فى جهتها القبلية قبة صغيرة يتوسطها قبران، الشرقى منهما هو قبر منشئ الرباط الشيخ أطكين شهاب الدين أبو على منصور بن الشيخ السعيد الأمين أبو الفتوح نصر بن الشيخ ابى الفضل الواسطى، المتوفى سنة ٦٧٢هـ(٦٠٥). ومنها

رباط سوار الذى كان يقع بظاهر الاسكندرية من الجهة الشمالية الشرقية حيث منطقة الشاطبى حالياً أقام به نزيل الاسكندرية أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى المتوفى[٦٠٦] سنة ٦٧٢ هـ أما **رباط الهكارى** فقد أنشأه محمد ابن الأمير زين الدين ابى المفاخر بن عبد الله الهكارى (ت ٦٨٣ هـ) متولى ثغر الاسكندرية زمن السلطان المملوكى المنصور قلاوون، ودفن فى رباطه بخارج باب رشيد، وقد تولى ابنه حسام الدين ولاية الاسكندرية فى سلطنة الأشرف خليل[٦٠٧] . ومنها **رباط ابن سلام** الذى أسسه الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلام خارج باب البحر بشبه جزيرة المنار قبل وقعة القبارصة سنة ٧٦٧هـ بأكثر من سنة، وقد استشهد فيه أكثر من ثلاثين مجاهدا كانوا بأعلى الرباط، عندما داهمهم القبارصة. أما **رباط وتربة الأمير طغية** فكان يقع فى شبة جزيرة المنار بالقرب من رباط ابن سلام وكان يقوم حوله عدد من الأضرحة، ومنها رباط قجماس الاسحاقى الذى عمره الأمير **قجماس الاسحاقى** نائب سلطنة الاسكندرية فى أيام الأشرف قايتباى خارج باب البحر على شاطئ بحر السلسلة[٦٠٨] . وفيما يتعلق بالمغرب الأقصى، فإن أول عهده بالرباط يتمثل فى رباط شاكر، وهذا الرباط نال شهرة كبيرة واصبح مقصداً للأولياء والصوفية[٦٠٩] . أما رباط نكور فقد بنى على ساحل البحر عند مصب نهرى نكور وغيس لتحصين هذه المنطقة وحمايتها من الاعتداءات البحرية على مدينة نكور نفسها التى تبعد خمسة اميال الى الداخل، وقد تم بناؤه سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٧ م) على يد سعيد بن صالح. ويذكر الدكتور **محمد توفيق بلبع** أن غارات النورمانديين على سواحل الأندلس والعدوة وهجومهم على مدينة نكور وتغلبهم على أهلها واقامتهم بها ثمانية أيام قبل ارتدادهم عنها محملين بالغنائم والأسلاب، كان العامل الأساسى وراء بناء رباط نكور[٦١٠] ، فى حين يرى **چورچ مارسيه**، ويميل إلى الأخذ بوجهة نظر الدكتور **محمد الأمين بلغيث** أن رباط نكور إنما ابتنى هو ورباط شرشال ورباط وهران ورباط سلا ورباط الفتح، للقضاء على دولة برغواطة فى تامسنا[٦١١] .

ومن الأربطة المغربية أيضاً رباط قوز الذى أطلق عليه صاحب كتاب الاستبصار اسم «جوز»، ويعد من أشهر الأربطة المغربية، وقد أقيم على ساحل البحر المحيط عند مصب وادى تنسيفت الذى تقع مراكش على أحد روافده، وكان رباطاً مخصصاً لمجاهدة برغواطة الملحدة، كما كان مركزاً تجارياً هاماً تقصده السفن من جميع البلاد، وكان البحريون وأصحاب السفن يفضلون أن تكون أحوال البحر فى هذه المنطقة عند ابحارهم غير مستقرة حتى يضمنوا سلامتهم وحسن سير الرياح بعكس ما هو شائع ومعروف عن الملاحة البحرية[٦١٢].

أما رباط الفتح فقد تحدثنا فى النصف الأول من البحث عن أهم المظاهر الأساسية لكونها رباطاً تنطلق منه القوات الموحدية منذ أيام الخليفة عبد المؤمن بن على، وبعد ذلك القوات المرينية للجهاد فى الأندلس أو للقتال مع اعدائهم فى انحاء بلاد المغرب المختلفة، بل ان اسمها فى حد ذاته يؤكد هذا الدور الذى اضطلعت به وكذلك الخاصية الاستراتيجية الجهادية لهذه المدينة.

واعتقد أن السر وراء اختيار الخليفة الموحدى الرشيد مدينة رباط الفتح دون غيرها من مدن المغرب لينزل فيها أهل شرق الأندلس الذين هجروا بلادهم بعد سقوطها فى ايدى الأرجونيين، يرجع إلى الدور الجهادى الذى تقوم به هذه المدينة وشخصيتها باعتبارها رباطاً، فلعله أراد من الأندلسيين النازحين أن يقيموا فى رباط دائم ليتيح لهم الفرصة للخروج فى حملات للجهاد ضد الاسبان الذين انتزعوا مدنهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، وهذا ما حدث بالفعل فى الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى رباط الفتح فى القرن ١٧ م، وكان هؤلاء الأندلسيين لا يترددون دوماً فى المشاركة فى الحملات الموجهة ضد النصارى[٦١٣].

كذلك تشابهت كل من المدينتين، الاسكندرية،ورباط الفتح من حيث أوضاعهما الاقتصادية، فالاسكندرية اختارها البطالمة، حاضرة لهم فى مصر لعبقرية الموقع الذى تشغله، فالبطالمة كانوا بفضل هذا الموقع يتحكمون فى الطرق التجارية

العالمية المختلفة باعتبار أن الاسكندرية كانت ملتقى طرق التجارة العالمية المختلفة آنذاك، وبالتالى وأصبحت الاسكندرية المركز التجارى الأساسى فى شرق البحر المتوسط[٦١٤]. واستمرت الاسكندرية طوال العصور القديمة، وفى العصر الاسلامى الوسيط حلقة الاتصال التجارى بين الشرق والغرب، ولم تفقد مكانتها التجارية فى العصر العباسى على الرغم من سيطرة بغداد على تجارة العالم الإسلامى وذلك يرجع أساساً إلى موقعها الرائع على البحر المتوسط، وإلى اتصالها بالنيل عن طريق خليجها، وأصبحت الاسكندرية الوسيط التجارى بين الشرق الأقصى مصدر التوابل والكارم عصب التجارة العالمية فى العصور الوسطى وبين الغرب الاسلامى والأوربى[٦١٥]

وبلغت الاسكندرية فى عصر الدولة الأيوبية المعاصرة لدولة الموحدين فى المغرب، وفى الوقت الذى استكملت مدينة رباط الفتح تأسيسها، أوج نشاطها التجارى فكانت سوقاً هائلة للتجارة العالمية وإليها كانت تتدفق معظم منتجات الشرق من طيب ويواقيت وعطور وتوابل مما أذهل بعض الرحالة الأوروبيين امثال بنيامين التطيلى وبرخارد الذى سار إلى مصر سفيراً للأمبراطور فريدريك بربا روسة سنة ١١٧٥[٦١٦] رغم الحروب المتواصلة التى خاضتها مصر ضد الصليبيين.

ونتج عن ازدهار التجارة فى الاسكندرية أن كثر بها عدد تجار الافرنج، وقد اجتمع بالاسكندرية زمن الملك العادل وحده نحو ثلاثة آلاف تاجر أجنبى[٦١٧] كما أقامت الجمهوريات الايطالية لها فنادق بالاسكندرية[٦١٨].

ولسنا بصدد الدخول فى تفاصيل حول الازدهار الاقتصادى لمدينة الاسكندرية فى العصور الاسلامية لأن ذلك كان مجالاً لدراسات قيمة، وإنما قصدنا من عرضنا هذا الاشارة إلى التشابه الكبير بين ما بلغته الاسكندرية من تألق اقتصادى واضح المعالم وما بلغته مدينة رباط الفتح من ازدهار اقتصادى سبق أن اشرنا إليه، فوفقاً لما ذكره كل من ابن صاحب الصلاة وصاحب كتاب الاستبصار زخرت المدينة بالاسواق واقيمت فيها قيسارية وعدة فنادق مما يعبر على نشاط واسع النطاق للحركة

التجارية. ولعل العثور على عملات أجنبية فى رباط الفتح زمن الخليفة الناصر الموحدى يؤكد هذا الازدهار التجارى.

ونختتم دراستنا عن أوجه التشابه بين الاسكندرية ورباط الفتح بالتطرق الى نقطة هامة أخيرة تتعلق بعلاقة كل من المدينتين بالأندلسيين المهاجرين من بلادهم أما قبيل سقوط مدنهم أو عقب سقوطها في ايدى الاسبان مباشرة أو بعد الطرد الآخير.

فإذا كانت مدينة رباط الفتح عرفت فى التاريخ بأنها مدينة أندلسية خاصة بعد صدور ظهير الخليفة الرشيد الموحدى الذى سبق أن تحدثنا عنه بشئ من التفصيل فى القسم التاريخى من هذا البحث، وهو الظهير الذى بمقتضاه وهبت المدينة لأهالى شرق الأندلس المهاجرين بعد سقوط بلادهم فى أيدى الأرجوينين بحيث أصبحت منذ ذلك التاريخ منزلاً لمهاجرى الأندلس الذين آثروا التوطن فيها باعتبارها رباطاً ومنطلقاً يجاهدون منه العدو الذى استولى على بلادهم، فإن الاسكندرية بدورها كانت طوال العصور الاسلامية وثيقة الصلة بالأندلس شأنها فى ذلك شأن مدينة رباط الفتح، وكان ارتباطها بالأندلس متعدد الجوانب فكان ارتباطاً اجتماعياً وعلمياً واقتصادياً مما دفع العديد من المؤرخين إلى الاعتقاد بأن بحر الاسكندرية[٦٢٠] ينتهى عند المحيط الاطلسى، واليها استقر عدد من الأندلسيين الذين آثروا الاستقرار فى ارضها بعد سقوط مدنهم فى أيدى الاسبان المسيحيين، واليها استقر عدد كبير من العلماء أمثال الشاطبى وابى العباسى المرسى والطرطوشى، وكان العامل الدينى ايضاً أحد الاسباب التى أدت الى تعميق الصلة بين الاسكندرية وبين المغرب الإسلامى، فقد كان حجاج المغرب والأندلس يؤثرون الرحلة إلى الاسكندرية، ومنها يرحلون إلى مكة سواء عن طريق وادى العلاقى وعيذاب أو عن طريق سيناء وعُدّت لذلك باب المغرب، ولا ينبغى أن تغفل العامل العلمى فقد كان طلب العلم ببلاد المشرق الإسلامى هدفاً رئيسياً لأهل المغرب والأندلس فكان طلاب العلم يتجشمون اخطار الرحلة ومتاعبها للإلتقاء بشيوخ المشرق الاسلامى فى الاسكندرية والقاهرة

والفسطاط وقوحى وبغداد والكوفة ودمشق وحلب ومكة والمدينة خاصة مع امتزاج مفهوم التجارة بالعلم فى الاسلام[٦٢١].

ومن أشهر من زار مصر من علماء الأندلس ونزل بالاسكندرية واستقر بها محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي الواداياشي الأندلسي، الذى درس على عبد الرحمن بن مخلوف بها كما جال فى البلاد المشرقية وتوفى سنة ٧٤٩ هـ[٦٢٢] . وعلى بن أحمد بن حديدة الأندلسى الذى ولد فى حدود سنة ٦٦٥ هـ وعاش بالاسكندرية وعمر بها عدة زوايا وتوفى ببيت المقدس سنة ٧١٩ هـ[٦٢٣].

ومن العلماء الأندلسيين كذلك الذين زاروا الاسكندرية بعد سقوط مدنهم ابراهيم بن عبد الملك بن ابراهيم الجزامي البرنتيشى نسبة إلى حصن برنتيش من غرب الأندلس من اعمال اشبونة التى سقطت سنة ٥٤٢ هـ. وقد استقر هذا الأندلسى بالقاهرة. وقد وصفه السخاوى بأنه تاجر السلطان ثم انتقل للمعيشة فى الاسكندرية وبها توفى فى أول شعبان سنة ٨٨٠هـ وكان من اصحاب الأشرف قايتباى. وقد اوصى قبيل وفاته بمعظم تركته لأهله الذين كانوا لا يزالوا يعيشون فى برنتيش بالاشبونة فى ظل الحكم البرتغالى وبعد وفاته وفد إلى مصر قريب له يكنى بأبى الفضل بن ابى عبد الله محمد البرنتيشى، وهو ابن عم والده، سعياً الى الظفر بميراث قريبه، وقد استقر فى متجره إلى أن توفى بالاسكندرية فى سنة ٨٩٢هـ[٦٢٤].

غير أن مدينة رباط الفتح فاقت الاسكندرية فى اجتذاب اعداداً لا حصر لها من مهاجرى الأندلس لا سيما فى العصر الحديث عقب الطرد الأخير للموريسكيين فهجرات الموريسكيين إلى الاسكندرية كانت محدودة إذا ما قورنت بما حدث فى حالة رباط الفتح وفاس ومدن تونسية مثل تستور وزغوان وتونس نفسها وكذلك الجزائر الحالية، ويرجع ذلك فى تصورى إلى العامل الذى سبق أن اشرت اليه وهو

كون مدينة رباط الفتح رباطاً للجهاد، مما يناسب وضع هؤلاء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ويلائم نفسيتهم ويسّهل لهم الانتقام بالجهاد ضد النصارى، وكذلك بحكم كون رباط الفتح وباقى مدن المغرب الأقصى والأوسط، والأدنى أقرب إلى بلاد الأندلس من مصر.

ونود أن ننهى هذا البحث بأنه إذا كانت الاسكندرية قد حظيت فى العصور القديمة بشهرة تجاوزت الآفاق بفضل منارها الذى كان يعد من عجائب الدنيا السبعة، فإن مدينة رباط الفتح على حد قول المؤرخ بوجندار كانت فى حد ذاتها من الاعاجيب ويعبر عن ذلك بقوله « ان بناء الرباط هو من الاعاجيب التى اجراها الله تعالى على يد هذا السلطان الأعظم الدالة على اتساع دائرة فكرته اذ قلما توجد مدينة على تلك الصفة إلا وواضعها رجل عظيم حكيم وقد أودع من بدائع الصنائع لديه....»(٦٢٥).

الحواشي

(١) عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٩٧٩، ص ٥٠.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧، مادة (سلا)، ص ٢٣١ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الأفريقي)، وصف افريقيا، ترجمة محد حجي محمد الأخضر، طبعة بيروت، ١٩٨٣، جـ١، ص ٢٠١ - عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح، ص ٥٠.

(٣) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤، ص ٤٤٨. ويعلق د. التازي بقوله أن أصل كلمة عراق هي كلمة «ايراه» بالفارسية، أي ساحل البحر، وقد عربته العرب، وسمي كذلك لوقوعه على شاطئ نهر دجلة، وقد شبه ابن صاحب الصلاة الرباط بالعراق الذى تقع عاصمته بغداد على نهر دجلة لتماثلها معها فى الموقع الجغرافي على وادى نهر ابى رقراق. (التازي، في تحقيقه للمن بالامامة، ص ٤٤٨ حاشية ٦)

(٤) وادى نهر أبو رقراق: يبلغ طول هذا النهر نحو ٢٥٠ كيلو متر، وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون قديماً وحديثاً على أصل تسميته، وقد ذكر الدكتور عبد الهادي التازي ان البكرى يسميه وادى وانسيفين استناداً على قوله «ونهر وانسيفين يقع فى نهر سلة تحت الرباط فى البحر المحيط...» (البكرى، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، طبعة مكتبة المثنى ببغداد، بدون تاريخ، ص ١٤١). ولكن الدكتور عثمان عثمان اسماعيل يرى أن البكرى انما يقصد بنهر سلة نهر ابى رقراق، أما نهر وانسيفين فهو يقصد به أحد أنهار برغواطة التى تجرى من الجنوب الى الشمال لتصب فى نهر إلى رقراق أو نهر سله (عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الاسلامية، بيروت، ١٩٧٥، ص ٥١).

ويطلق ابن حوقل عليه اسم «وادى سلا» (ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة بيروت، بدون تاريخ، ص ٨٢). وفى حين يسميه الادريسى وادى اسمير (الادريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، طبعة القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ، حـ١ ، ص ٢٣٩) أما عبد الواحد المراكشى فقد سماه بوادى الرمان وفى ذلك يقول «ومدينة سلا هذه على ساحل البحر الأعظم المسمى أقيانس، وهى فى الجنوب كما ذكرنا، ينصب اليها نهر يسمى وادى الرمان يصب فى البحر المذكور...» (عبد الواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص اخبار المغرب، تحقيق وضبط محمد سعيد العريان، طبعة القاهرة، ١٩٤٩ ، ص ٣٥٩). ويذكر الدكتور عبد الهادى التازى أنه لا يزال حتى الآن يوجد بالقرب من مدينة سلاعين تحمل اسم اسمير وهى تصب فى وادى أبى رقراق (التازى فى تحقيقه للمن بالامامة، ص ٤٥٠ حاشية (١)). ويذكر الدكتور أحمد مختار العبادى أن نهرابى رقراق هو نفسه وادى الغبط الذى يفصل سلا عن الرباط وقد ذكره ابن الخطيب بهذا الاسم فى كتابه نفاضة الجراب (أحمد مختار العبادى فى تحقيقه لكتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، الدار البيضاء، ١٩٦٤، ص ١٨١). ويذكر الاستاذ عبد الله السويسى أن هذا النهر «أبو رقراق» اشتق اسمه من رقرقة الماء وصفائه (السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٥٠) فى حين يرجح الدكتور عبد الهادى التازى ان النهر اشتق اسمه من الآلة ركراكة التى توجد باطلال المنطقة (التازى فى تحقيقه للمن بالامامة، ص ٤٥٠، حاشية (١)). ويأخذ د. عثمان عثمان اسماعيل برأى روزيه القائل بأن لفظة «ابو رقراق» معربة من كلمة Asif Ourgraf ومعناها وادى الحصى (Lieutenant Rozet, Rapport Sur la chellah, 1914) عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الاسلامية، ص ١٠٨ - وارجع كذلك إلى (سحر عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب فى العصر الإسلامى، الاسكندرية، ١٩٩٣ ، ص ٦٧).

(٥) عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الاسلامية، ص ٤٤ – عبد العزيز بن عبد الله، سلا أولى حاضرتى ابى رقراق، ص ٥.

(٦) وقد عرض الدكتور عثمان عثمان اسماعيل لكل هذه الآراء بالتفصيل فى كتابه «تاريخ شالة الاسلامية» (ارجع إلى المرجع السابق، ص ٤٤ – ١١١).

(٧) نفسه، ص ٤٤، ٦٧.

(٨) كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار، ونشر وتعليق د. سعد زغلول، الاسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٤٠ – عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الاسلامية، ص ١٠١.

(٩) المرجع السابق، ص ١٠١.

(١٠) Henri Basset, Lévi - Provençal, CHELLA une nécropole merinide, Paris, 1923, P1.

(١١) H. Basset, Lévi Provençal, op. cit. P 3.

(١٢) Marcains, H., Découverte de restes humains fossiles dans les grés quaternaires De Rabat, L'Anthropologie, t, XLIV, 1934, P 597, 583.

(١٣) رشيد الناضورى، المغرب الكبير، طبعة الدار القومية، ١٩٦٦، ص ٦١ وكان قد عثر فى محجر سيدى عبد الرحمن من نواحى الدار البيضاء على مجموعة عظمية تتشابه إلى حد كبير فى التكوين الچيولوچى مع مجموعة انسان الرباط للتشابه الكبير فى البيئة المحيطة بحياة الانسان الأول فى كلا الموقعين (Mc. Burry, C.B, The stone age of northern Africa, London 1960, P 118).

وارجع كذلك إلى (عبد الكريم كريم، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٦، ص ٧) وإن كان بعض المؤرخين أمثال الدكتور عبد العزيز بن عبد الله قد نفوا هذه العراقة التاريخية لمدينة الرباط ونسبوها إلى سلا وحدها ويعبر عن ذلك بقوله «وقد حاول مؤرخون أن يرجعوا تاريخ مكان رباط الفتح إلى العهد الرومانى زاعمين ان اسمها آنذاك هو Oppidom Novum أى الحاضرة الجديدة، وهو مجرد وهم لأن هذا الاسم أطلق على مدينة القصر الكبير كمدينة جديدة اسست بعد لوكسوس. والواقع أن العدوة الجنوبية لأبى رقراق لم تكن عندما كانت سلا قائمة سوى رباط يتجمع في مساحته الشاسعة المجاهدون منذ القرن الثالث عشر الهجرى، اما ضد البرغواطيين الذين كانت منطقة نفوذهم هي تامسنا الممتدة بين نهرى ابى رقراق وأم الربيع، وإما ضد الاسبان في الأندلس...» (عبد العزيز بن عبد الله، سلا أولى حاضرتى ابى رقراق، ص ٥). ونلاحظ هنا ان الدكتور عبد العزيز بن عبد الله كان يقصد بلا شك القرن الثالث عشر الميلادى وليس الهجرى، كذلك يتضح من خلال ما أوردناه في المتن وجود جذور تاريخية قديمة جداً ترجع إلى العصر الحجرى لانسان في منطقة الرباط، وهذا ثابت من خلال دراسات الأثريين والحفريات الأثرية، مما لا يدع مجالاً للشك في عراقة انسان الرباط وأصالته وموقع هذه المدينة بعكس ما يذكر الدكتور بن عبد الله.

(١٤) عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٥٠.

(١٥) المرجع السابق، ص ٥٠.

(١٦) رشيد الناضورى، المغرب الكبير، ص ٦٢، ٦٣.

(١٧) المرجع السابق، ص ١٥٢ - ٢٣٩.

(١٨) Edmond Pauty, Cella á travers les ages, Rabat, 1944. - عثمان

عثمان اسماعيل شالة الاسلامية، ص ١١٦.

(١٩) قسّم الرومان المغرب إلى عدة أقسام هى:

أولاً : ولاية أفريقية التى كانت تشتمل على منطقة العاصمة القرطاجية بصفة خاصة.

ثانياً: ممالك بربرية تنقسم الى ثلاث وحدات سياسية هى نوميديا وعاصمتها قرطة (قسنطينة) وموريطانيا القيصرية وتقع فى المنطقة الغربية من الجزائر الحالية وعاصمتها شرشال، وأخيراً موريطانيا الطنجية وعاصمتها طنجة (رشيد الناضورى، المرجع السابق، ص ٢٩١)

(٢٠) نفسه، ص ٢٣٩، أحمد مختار العبادى فى تحقيقه لاعمال الاعلام، جـ٣، ص ١٨١.

(٢١) Janet Abu-Lughod, Rabats, Urban Apartheid in Morocco, New Jersey, P 38.

(٢٢) محمد بوجندار، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٣٤٥ هـ، ص ٣٩.

(٢٣) عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الاسلامية، ص ٦٧. وقد استمرت سلا مستعمرة رومانية مدة تقرب من الخمسمائة عام بلغت خلالها شأواً كبيراً وقد بدأ اكتشاف الأطلال الرومانية بها منذ سنة ١٩٣٠ واهمها الساحة العمومية وقوس النصر (لمزيد من التفاصيل عن سلا الرومانية ارجع الى ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، ١٩٦٥، جـ١، ص ٧٣ - حمدى عبد المنعم مدينة سلافى العصر الاسلامى، الاسكندرية، ١٩٩٢، ص ٣)

(٢٤) عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص ١٢١.

(٢٥) لمزيد من التفاصيل عن الوندال والبيزنطيين وعلاقتهم بهذه المنطقة ارجع إلى (عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة، ص ١٢٢ ، ١٢٣ . وارجع كذلك إلى مناقشتة لرأى كل من ليون الأفريقي ومارمول حول فتح القوط لسلا وانتزاعها من يد الرومان. فى ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

وتقول الباحثة جانيت أبو لغد Janet Abu Lughod أنها لا تستطيع أن تجزم بحزم ان كان الوندال قد احتلوا سلا ومنطقتها أم لا، وان كانت هى تميل الى ترجيح ذلك لأن سلا كانت خرائب عندما وصلت الجيوش العربية اليها (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Janet L. Abu Lughod, Rabats, P. 39)

(٢٦) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، بيروت، ١٩٦٥ ، المجلد الرابع، ص ١٠٥ وما يليها - ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار المغرب، تحقيق ليڤى بروفنسال وكولان، ليدن، ١٩٤٨ - ١٩٥١ ، جـ١ ، ص ٢٧. وكان يليان حاكم طنجة وسبتة هو الذى بادر بمهادنة عقبة بن نافع فعقد معه معاهدة صلح وساطة ودله على المواضع فيما وراء جبال أطلس، وبفضل توجيهات يليان تمكن عقبة من الوصول الى وليلى Volubilis ، وطارد أهالى هذه المنطقة من البربر حتى درعة وانحدر عقبة من بلاد تامسنا بالسوس الأدنى وتوغل فى منازل صنهاجة ثم فى بلاد هسكورة ثم نزل اغمات وريكة ومنها هبط على وادى نفيس، وتابع مسيرته بعد ذلك حتى نزل ايجلى بالسوس وبنى فيه مسجداً ثم واصل تقدمه حتى وصل ماسة وبذلك يكون عقبة قد اكتسح بقواته الآراضى المغربية من طنجة حتى بلاد جزولة بالسوس الأقصى (لمزيد من التفاصيل ارجع الى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، الاسكندرية، بدون تاريخ، ص ١٣٩).

٢٧- لمزيد من التفاصيل عن عقبة بن نافع وفتوحاته فى المغرب ارجع إلى الرقيق القيروانى، تاريخ أفريقيا والمغرب، تونس، ١٩٦٨ ، ص ٣٩-٤٨- ابن عذارى، البيان، جـ١ ، ص٤٢ - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب

اللبناني، بيروت، ١٩٦٨، جـ٦، ص٤٣٧. ولمزيد من التفاصيل انظر (حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، ١٩٥٩، ص٤٩ - Henri Terrasse, Histoire Du Maroc, Casablanca, p. 80-89.

السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص١٧٠ ومايليها - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢١٢ - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص١٢٦-١٤٢ - رجب عبد الحليم، دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى، القاهرة، ١٩٦١، جـ١٨، سحر عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة، ص٥).

٢٨- ابن الخطيب، أعمال الإعلام، جـ٣، ص١٨٤ - عبد العزيز بنعبد الله، سلا أولى حاضرتي ابي رقراق، ص٩- H.Basset, Leve Provnçal, op. cit., p. 6. وعن دولة برغواطة أرجع إلى (ابن ابي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق تورنبرج، أوبسالة، ١٨٤٣، ص٨٢، ٨٣ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ق١، م١، ١٩٦٨، ص٤٢٨ - ابو العباس احمد بن خالد الناصرى، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، الدولتان المرابطية والموحدية، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ص١٤ - مجهول، نبذ تاريخية منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشر وتصحيح ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤، ص ٤٧ - ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص ١٩٤ - محمد ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، دراسة في التاريخ السياسي، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٧، ص٧٣- احمد مختار العبادى، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٧٢، ص٤٨٨ - محمود اسماعيل، حقيقة المسألة البرغواطية، مغربيات المغرب، ١٩٧٧، ص٢٠ - محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى، القاهرة، ١٩٦٠،

ص٢٩٥ - رجب عبد الحليم، دولة بنى صالح فى تامسنا - ميلود عشاق، ملاحظات حول المسألة البرغواطية، مجلة العلم الثقافى، العدد ٩٧٢، الرباط، مايو، ١٩٩٠، ص٦ ومايليها - M. Talbi, The independence of the Maghrib, General history of Africa, Vol. III, Unesco, 1988, p. 250 - M. El Fasi and I. Herbec, Stages in the development of Islam and its dissemination in Africa, General history of Africa, Unesco, 1988, Vol. III, p. 65. سحر عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة، ص٥ ومايليها وعن شالة زمن البرغواطيين، ارجع إلى (عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص١٢٦ ومايليها.

٢٩- لمزيد من التفاصيل أرجع إلى (عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ص١٤٠-٢٢٣).

٣٠- ولعل أهم هذه الدراسات ماكتبه ليفى بروفنسال وهنرى باسيه عن تاريخ مدينة شالة وكتاب د. عثمان اسماعيل عن تاريخ شالة وكتابه عن آثارها الإسلامية.

٣١- Basset et levi provençal, op. cit., p. 6.

٣٢- راجع مناقشة د. عثمان عثمان اسماعيل للآراء المختلفة التى وردت فى المصادر العربية واستنتاجه لهذه الحقائق التى عرضناها فى المتن (تاريخ شالة الإسلامية ص٢٢٨-٢٤٨) وارجع إلى خليل السامرائى، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، تاريخ المغرب العربى، الموصل، ١٩٨٨، ص٢٤٩ - محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى ودورها فى عصرى المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، اشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، ١٩٨٧ (من مكتبة جامعة محمد الخامس بالرباط).

٣٣- يذكر كل من الدكتور أحمد مختار العبادى والدكتور عثمان اسماعيل أن ابن حوقل ذكر فى كتابه الذى اسماه الدكتور عثمان عثمان اسماعيل بالمسالك والممالك «ويرابطون برباط يحف بها» وليس رباطات كما ورد فى النص الذى رجعنا إليه (أحمد مختار العبادى، فى تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٧٢، ص٤٩٥، عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص٤٩ - عبد الله السويس ص٩٠) وقد اعتمد الدكتور العبادى على كتاب صورة الأرض، طبعة ليدن، ١٨٧٣.

٣٤- ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٢، وراجع مخطوط سالم عبد ربه بن على بن جعفر بن أحمد الناصرى، سلا ورباط الفتح واسطولهما الجهادى، فى الخزانة الصبيحية بسلا، رقم ٤٠٢، جـ١، ص٢ حيث ذكر «رباطات».

٣٥- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص٤٩.

٣٦- يذكر الدكتور محمد الأمين بلغيث أن رباط سلا (رباط الفتح فيما بعد) والربط المحيطة به، لم يكن الهدف منها الدفاع ضد برغواطة وحدها بل كانت مقدمة أمامية لحماية البلاد من أى عدوان تتعرض له مثل غارات النورمانديين الذين هاجموا مدينة نكور سنة ٢٤٤هـ (٨٥٨م) (محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى، ص١٤٥).

٣٧- طبقاً لما ورد فى نسخه كتاب صورة الأرض لابن حوقل طبعة بيروت.

٣٨- كان يصحب أبا صالح زمور فى هذه السفارة عيسى بن داود المسطاسى الذى كان يتولى نقل أفكار السفير البرغواطى إلى الخليفة المستنصر فى شوال سنة ٣٥٢هـ (البكرى، المغرب، ص١٣٤ - ابن عذارى، البيان، جـ١، ص٢٢٣ - ولمزيد من التفاصيل أرجع إلى سحر سالم، من جديد حول برغواطة، سنة ٣٦).

٣٩- والمقصود بنهر سلة، نهر أبي رقراق (البكرى، المغرب، ص١٤١).

٤٠- المصدر السابق، ص٨٦، ٨٧ - عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ص٥١.

٤١- نفس المرجع ، ص ٥١،

٤٢- Jacques Caillé, la Ville De Rabat, Paris, 1945, Volume I, p. 58 -
عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٩٠

Rachid Bourouiba, Abd Al Mumin flambeau des Almohades, Alger, 1974, 128.

٤٣- Janet Abu Lughod, Rabats, p. 53.

٤٤- ابن عذارى، البيان، القسم الخاص بالموحدين، ص٢٥.

٤٥- الحلل الموشية، ص١٣٧ - وارجع كذلك إلى Rachid Bourouiba, op. cit., p. 128 محمد بن على بن احمد دنية، مجالس الإنبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، ١٩٨٦، ص٣٩- Henri Terrasse, l' Art Hispano Mauresque Des origines au x IIIe Siecle, Paris, p. 287 - Caillé, la Ville De Rabat, Vol. I, p. 54 - Rachid Bourouiba, op. cit., p. 128. ويذكر محمد بوجندار فى مقدمة الفتح أن هناك تساؤلاً يدور بين المؤرخين إن كان هذا الرباط هو من بناء تاشفين بن على آخر أومراء المرابطين، أم من إنشاء جده يوسف بن تاشفين (بوجندار، مقدمة الفتح، ص٣٩). وقد اهتم بهذا التساؤل الدكتور محمد الأمين بلغيث، وعرضه فى بحثه عن الربط بالمغرب الإسلامى، ص ١٩٨.

٤٦- Janet Abu-Lughod, Rabats, p. 53.

عبد الله، السويسى، المرجع السابق، ص٥١.

٤٧- أورد الأدريسى فى نزهة المشتاق اسم قصر تازكا أو قصر تاركا ولكن موضعه كان يبعد كثيراً عن موضع الرباط (الأدريسى، نزهة المشتاق، جـ٢، ص٥٣٢).

٤٨- اليعقوبى، كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩٢ - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، الإسكندرية، ١٩٧٨، ص٥٠٥.

٤٩- لمزيد من التفاصيل أرجع إلى (حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة ١٩٥٧، ص٣٨).

٥٠- البكرى، المغرب، ص١٦٨.

٥١- المصدر السابق، ص١٦٣.

٥٢- حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص٤٤-٤٨.

٥٣- المرجع السابق، ص٤٨ ومايليها.

٥٤- البكرى، المغرب، ص٨٦ - الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق أحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤، ص٥٨٤.

٥٥- ويذكر البكرى أن مدينة درعة يقال لها يتومتين وأنها مدينة أهلة عامرة بها جامع وأسواق ومتاجر رابحة (البكرى، المغرب، ص١٥٥) وقد عرفها الحميرى بأنها من جهة سجلماسة وواديها كبير لأن به نهر كبير يجرى من المشرق إلى المغرب وينبعث من جبال درن، كما وصف درعة بأنها مدينة عامرة بها جامع وأسواق، ومتاجر حافلة وبين درعة والسوس الأقصى أربعة أيام (الحميرى، ص٢٣٦).

٥٦- هى تاجرا أو تاجر أوتاجرة أو تاكرارت أو تجرارت.

(البكرى، المغرب، ص٨٠ - ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١١١، ١٢٣ - الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص ٦٤، ٦٥). وكانت مسقط رأس عبد المؤمن بن على وفيما يتعلق بكون تاجرا الموطن الأصلى لعبد المؤمن بن على أرجع إلى (عبد الواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى، القاهرة، ١٩٤٩، ص١٩٧). وكانت تاجرا تسمى إذا ما ذكرها عبد المؤمن بن على بكومية وارجع كذلك إلى (ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص١٢٥ - ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص١١١. الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص٦٤، ٦٥ - محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين، ص٢٥٢).

٥٧- ابن عذارى، البيان، جـ٤، ص١٢٥ والقسم الخاص بالموحدين، جـ٢١، الحلل الموشية، ص١٠٤ - عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٢٠٢ - ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص١٢٣ - نبذ من مفاخر البربر لمؤرخ مجهول، نشر ليفى بروفنسال، رباط الفتح، ١٩٣٤، ص٥٨ - ابن الأبار، الحلة السيراء، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٩٥ - الناصرى، الاستقصا، ص٦٤-٦٥.

٥٨- ابن عذارى، البيان، جـ٤، ص١٢٥.

٥٩- يذكر البكرى أنه فى تلمسان جبل يسمى بجبل تاجرة، وبالقرب منه تسكن كومية (البكرى، المغرب، ص٨٠ كما ورد فى روض القرطاس، ص١١١ أن تاجرا قرية من تلمسان.

٦٠- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص١٩٧، ٢٣٢ - محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين ص٢٤٢ فتاجرا تقع على مقربة من مرسى هنين شمالى تلمسان،.

٦١- البكرى، المغرب، ص٨٠.

٦٢- الأدريسى، نزهة المشتاق، جـ١، ص٢٥٢ - الحميرى، الروض المعطار، ص١٣٥.

٦٣- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٢١.

٦٤- ابن الابار، الحلة السيراء، جـ٢، ص١٩٥.

٦٥- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٢٢، ٢٣ - محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٢٥٢.

٦٦- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣٥٩.

٦٧- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٤٤٦، ٤٤٧.

٦٨- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣٥٩ - بوجندار، مقدمة الفتح، ص٤٣
Caillé, la Ville, p. 67.

٦٩- ابن صاحب الصلاة، المن بالأمامة، ص٤٤٦. وارجع إلى تعليق د. عبد الهادى التازى فى تحقيقه لهذا المصدر، ص١٧٣ حاشية ٤- ابن عذارى، البيان، قسم، الموحدين، ص٦١، ٢١٤ - ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧، جـ٣ ص٢٣١ - محمد على بن احمد دنية الرباطى، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، الرباط، ١٩٨٦، ص٣٨، ٣٩ - Terrasse, l' Art Hispano, p. 287 محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٦٥ - عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص٦٦ - محمد بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى، ص٣٠٧.

٧٠- الناصرى، مخطوط سلا ورباط الفتح بالخزانة الصبيحية بسلا، ص١١٢،

١١٣ وارجع كذلك إلى .Caillé, la Ville De Rabat, p. 64

٧١- البيذق، اخبار المهدى بن تومرت، ص١٣٢ - الناصرى، مخطوط سلا بالخزانة الصبيحية ص١٤٣، ١٤٤ - Rachid Bourouiba, op. cit., p. 128.

وبنو جامع : أسرة ترجع فى نسبها إلى ابراهيم بن جامع. يُعد أبناؤها من أهل الإدارة والوزارة فى عهد الموحدين، تولوا المناصب المختلفة بداية من عهد المهدى بن تومرت إلى أيام العادل الموحدى. وترجع هذه الأسرة بأصلها إلى الأندلس. وقد نشأ جدهم الأول ابراهيم بن جامع بضيعة روطة Rota بساحل مدينة شريش على المحيط الأطلسى ثم انتقل إلى بلاد المغرب حيث كان يعمل فى صناعة النحاس وهناك التقى بابن تومرت فأصبح من أصحابه (عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣١٠، ٣١١ - وارجع إلى تحقيق د. حسين مؤنس للحلة السيراء، جـ٢، ص٢٣٩، ٢٤٠). وظل ابراهيم بن جامع فى رعاية محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن على من بعده حتى أنه كان يعيش فى قصر هذا الأخير، وقد وُلِدَ له ابنه أبو العلاء أدريس فيه. وقد استوزر الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف ولده أو العلاء أدريس (المراكشى، المعجب، ص٢٤٤).

وكان لادريس هذا أخ يسمى عبد الله بن ابراهيم بن جامع كان يتولى مدينة سبتة وجهاتها وقيادة الأسطول (المصدر السابق، ص٣١١) وظل ابو العلاء أدريس وأسرته يتمتعون بالاحترام والإجلال طيلة خمس عشرة سنة ولكنهم تعرضوا لمحنة شديدة عندما نكبهم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فنفاهم إلى ماردة بغرب الأندلس حيث ظلوا ست سنوات حتى عفا عنهم وهو فى طريقه إلى غزوة شنترين سنة ٥٨٠هـ (مؤنس فى تحقيقه للحلة السيراء، جـ٢، ص٢٤٠). وقد برز اسم عبد الله بن جامع فى كثير من أحداث التاريخ الموحدى أبرزها عندما أرسل بالميرة والإمدادات إلى بطليوس حاضرة الثغر

الجوفى لانجاد واليها القائد ابى غالب بن ابى الحسين بن الموصلى سنة ٥٦٨هـ (ابن صاحب الصلاة، المن، بالإمامة، ص٥٢٥).

وقد أنجب ابو محمد عبد الله عدداً من الأبناء منهم يوسف والحسين وعثمان ويحيى وعدة بنات (المراكشى، المعجب، سنة ٣١١هـ) أشهرهم أبو سعيد عثمان الذى تولى الوزارة لعدد من خلفاء الموحدين أشهرهم الخليفة محمد الناصر وكان له دور فى هزيمة المسملين فى وقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ (ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص١٥٨). وقد استمر أبو سعيد عثمان وزيراً فى عهد كل من الخليفة ابو يعقوب يوسف الملقب بالمستنصر بالله بن الخليفة الناصر وكذلك الخليفة ابو محمد عبد الواحد (المراكشى، المعجب، ص٣١١ - حسين مؤنس فى تحقيقه للحلة السيراء، جـ٢، ص٢٤٠).

ومن أفراد هذه الأسرة أيضا ابو اسحاق ابراهيم بن ادريس بن ابراهيم بن جامع الذى تولى الشئون المالية والإدارية للأسطول الموحدى المرابط فى مدينة سبتة فى اواخر ايام الخليفة المستنصر بالله وأوائل أيام الخليفة ابى محمد عبد الواحد، وقد قتل فى وقعة طريف سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) (ابن الابار، الحلة السيراء، جـ٢، ص٢٩٣) ومنهم ابو على عمر بن جامع وهو ابن أخى الوزير ابى العلاء أدريس بن ابراهيم بن جامع وكان اديباً وشاعراً (المصدر السابق، جـ٢، ص٢٧٥).

ونضيف إلى قائمة أفراد هذه الأسرة عبد الحق بن ابراهيم بن جامع الذى ورد ذكره فى المتن.

(لمزيد من التفاصيل ارجع إلى حمدى عبد المنعم اسرة بنى جامع ودورها فى عصر الموحدين فى المغرب والأندلس. مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٣.

٧٢- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٤٤٦.

٧٣- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص١٢٥ - Caillé. la Ville De Rabat.

p. 62.

وارجع كذلك إلى الناصرى، مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا، ص١٤٨.

٧٤- ابن صاحب الصلاة المن بالأمامة، ص٤٤٦.

٧٥- البيذق، ص١٣٢.

٧٦- ونستدل على ذلك ما ذكره ابن عذارى عن عثمان بن عبد العزيز الكومى، والى سلا فى ٥٨٤هـ (١١٨٨م) إذ يذكر أنه كان على قصبة رباط الفتح (ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٢٠٠)، وكذلك فى إشارته إلى السيد ابى العلاء صهر الخليفة الموحدى الرشيد وواليه على سلا فقد أكد ابن عذارى على استقراره فى رباط الفتح (ابن عذارى، المصدر السابق، ص٣٤٤)، وأيضا عند ذكره لمحمد بن ابى يعلى الكومى والى سلا فى حوادث سنة ٦٥٧هـ (١٢٥٨م) زمن الخليفة المرتضى الموحدى، حيث يذكر أنه كان يقيم فى قصبة رباط الفتح (ابن عذارى، البيان، ص٤١٦. وارجع كذلك إلى ابن خلدون، العبروديوان المبتدأ والخبر، المجلد السابق، القسم الأول، ١٣، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣، ص٣٥٨.

الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص١٧ - محمد بن على دنية، مجالس الانبساط، ص٣٨، ٣٩ - عز الدين موسى، الموحدون فى الغرب الإسلامى، تنظيماتهم ونظمهم، بيروت ١٩٩١، ص٣٢٠).

٧٧- عبد الهادى التازى فى تحقيقه لكتاب المن بالامامة، ص٤٤٧ حاشية (٢).

وعن حفيده ارجع إلى ابن الزبير، صلة الصلة، تحقيق بروفنسال، الرباط، ١٩٣٨، ص١٧١، ترجمة ٣٣٥ - ابن الأبار، التكملة،نشر كوديرا، ترجمة رقم ٨٣٦ ورقم ١٩٩١.

٧٨- البيذق، ص٥٥ - الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص٩٧.

٧٩- عبد الله كنون، النبوغ المغربى فى الأدب العربى، بيروت، ١٩٧٥، ص٩١.

٨٠- كان ابن الوكيل اليابرى عاملاً لدى دولة اللمتونيين، يستعملونه فى السفارة خلال القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ثم انكسر عليه مال جليل يبلغ عشرة آلاف دينار فقبض عليه، وأرسل إلى مراكش، ولما بلغ الموكلون به مدينة سلا وكان حكامها آنذاك هم بنو عشرة المعرفون بمكانتهم العلمية والسياسية الرفيعة، قام برفع قصيدة يستجير فيها بقاضى سلا ابى الحسن على بن عشرة الذى بادر عند الوقوف عليها إلى الاتصال بأمراء الأندلس ليطلب الصفح عن السفير اليابرى وليلتزم بتحمل المال ويطلب الصفح عن ابن الوكيل.

(لمزيد من التفاصيل ارجع إلى عبد الهادى التازى، ابو عبد الله اليابرى، فقيه مغربى من القرن الرابع عشر، مقال فى مجلة المناهل، العدد ٢٥، الرباط، ١٩٨٢، ص١٣١)

٨١- قارن بين ما أورده كل من الدكتور عبد الله كنون، المرجع السابق، ص٩١، والدكتور الهادى التازى فى تحقيقه للمن بالامامة، ص٤٤٧).

ولمزيد من التفاصيل عن بنى عشرة أرجع إلى البيذق، ص٥٤، ٥٥ حيث أشار البيذق إلى احمد بن عشرة، وحسن بن عشرة وكذلك إلى القاضى حسون ابن عشرة، وارجع كذلك إلى الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول، الاسكندرية، ١٩٥٨، ص١٤٠ وإلى بحث الدكتور محمد بن شريفة، أسرة بنى عشرة، مجلة البحث العلمى، محرم ١٣٨٧، ابريل ١٩٦١

ويرجع المؤرخ سالم عبد ربه بن على بن جعفر الناصرى، أصلهم إلى رؤساء بنى أمية فى المغرب الأوسط، وعن سبب تسميتهم بهذا الاسم الذى ارتبط بأسطورة تقول بأن بنى عشرة، ولدوا عشرة أخوة فى بطن واحدة فسموا ببنى عشرة، وقيل أنهم ينتسبون إلى احمد بن محمد بن المدبر صاحب الأعمال

ببلاد الشام والعراق ومتولى الخراج بمصر زمن احمد بن طولون (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى مخطوط سالم عبد ربه بن على بن جعفر الناصرى بالخزانة الصبيحية، سلا ورباط الفتح، ص٧، ٨). وعن اخبار احمد بن المدبر وانتقال اسرته من مصر إلى المغرب الأوسط وعن نزولهم بسلا (ارجع إلى المخطوط، ص٧-٣٠). ويذكر صاحب المخطوطة أن عبد المؤمن بن على نزل فى قصر بنى عشرة بعد تغلبه على سلا سنة ٥٤٠هـ لأنه كان أعظم بناء قائم آنذاك. كما أشار صاحب المخطوطة إلى ابى الحسن على بن القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى بن عشرة السلاوى، ووصفه بأنه زينة البيت العشرى وأنه كان من أهل العلم والسؤدد، ومن الأسرة أيضا أشار إلى ابنه القاضى احمد بن على بن عشرة، وكان له من الأخوة عدد كبير، منهم ابو على حسن أو حسون وابو زكريا يحيى، وابو يعقوب بوسف. وكان ابو العباس احمد هو الوالى على سلا بأمر من الأمير علبى بن يوسف بن تاشفين (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى المخطوط، ص٧١، ٧٢ ومايليها. وعن بقية ابناء بنى عشرة، ابو يعقوب يوسف بن على بن عشرة والقاسم عبد العزيز بن عشرة، وابو الحجاج يوسف انظر نفسه، ص ٩١).

وقد انتقل بعض أفراد هذه الأسرة السلاوية من بنى عشرة إلى تونس لأسباب غير معروفة.

ويشير الدكتور عبد الهادى التازى إلى وجود مسجد بالرباط يحمل اسم مسجد «القاضية» أو مسجد «أم القاضى» وهو أم حسون بن عشرة قاضى سلا (لمزيد من التفاصيل، ارجع إلى عبد الهادى التازى، ابو عبد الله اليابرى، ص١٣٢).

٨٢- لمزيد من التفاصيل أرجع إلى عبد الهادى التازى فى تحقيقه للمن بالأمامة، ص٤٤٨، حاشية (٤)- عبد الله السويسى،تاريخ رباط الفتح ، ص٥٢ - محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٦٥ - Caillé, la Ville de Rabat, p. 27.

٨٣- عبد الهادى التازى فى تحقيقه للمن بالإمامة، ص٤٤٨ حاشية (٥) - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص٦٣ وارجع كذلك إلى :

Mission Scient du Maroc : Rabat et sa Regi6n, Paris, 1918, ler T. p., 127.

٨٤- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٤٤٨.

٨٥- Caillé, la ville De Rabat, p. 59

٨٦- أخذ بهذا الرأى الدكتور عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والعمارة التطبيقية بالمغرب الأقصى، الرباط، ١٩٩٣، جـ٣، ص١٦٥-١٧٢.

٨٧- مخطوط الناصرى بالخزانة الصبحية جـ١ ، ص١٤٢- عبد الهادى التازى فى تحقيقه للمن بالأمامة، ص٤٤٤ حاشية رقم (٤) - عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص٦٥ وما يليها - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص٧٩، ١٠٢ - شارل أندرى جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تونس ١٩٧٨، ص١٥٩ - H.Terrasse, l' Art, p. 287 - H. Terrasse et P'office chérifienne du tourisme : A Traveers Rabat, case, 1938, p.8.

وقد توفى السلطان عبد الرحمن العلوى فى سنة ١٨٥٩م وأرجع إلى :

G. Deverdum : Incriptions Arabes de Marrakech, Rabat 1956. Tableau des soverains Alaouites, p.252.

وقد سميت بهذا المسمى «قصبة الودايا» عندما خرج جيش الودايا على السلطان عبد الرحمن العلوى وظفر بهم وقطعم فى الأرض وأنزل قوادهم ووجوهم بالقصبة الرباطية التى صارت منذ هذا الحين تنسب إليهم وتعرف بقصبة الودايا. ويذكر الناصرى فى مخطوط الخزانة الصبيحية أن قصبة الودايا سميت باسم القصبة أو القصر أو قصبة الأندلسيين بعد هجرة الأندلسيين فى القرن الحادى عشر الهجرى وإن سلا سميت بسلا القديمة، أما سلا الجديدة فقد سميت بها مدينة الرباط وقصبة سلا هى القصبة بالرباط (الناصرى، مخطوط الخزانة الصبيحية؛ ص١٥٣).

٨٨- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣٥٩ - بوجندار، مقدمة الفتح، ص٤٣ - محمد بن على بن دنية، مجالس الأنبساط، ص٣٨، ٣٩ - Rachid Bourouiba, op. cit., p.128 - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص١٠٦.

٨٩- ابن عذارى، البيان، القسم الخاص بالموحدين، ص٢١٤ وفى ذلك يقول «فاغتبط بسكناه (الخليفة المنصور الموحدى) وعزم على الانتقال الكلى إليه فأمر بتجديد القصبة المسماة بالمهدية المشبهة بمهدية بنى عبيد بأفريقية لاحاطة البحر بها من جميع جهاتها ....». Caillé, la ville de Rabat, p60 H. Terrasse. l' Art Hispano - Mauresque, p. 287, 288.

٩٠- وكان الأسبان قد استولوا عليها سنة ١٥١٤م وشيدوا بها قصبة سموها سان ميجل دى الترامار San Miguel De Ultramar أى القديس ميخائيل ما وراء البحار. وعندما استرجعها المولى اسماعيل العلوى سنة ١٦٨١م بنى بها مسجداً وقصراً وباباً كبيراً وأطلق عليها اسم المهدية (بوجندار، مقدمة الفتح، ص٤٤، ٤٥) ولمزيد من التفاصيل أرجع إلى محمد بن على دنية، مجالس الإنبساط، ص٣٩ - عبد الهادى التازى، مهدية المولى اسماعيل، مجلة المغرب، ماية سنة ١٩٦٣، ص٧-٩ - عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للاعلام البشرية

والحضارية، معلمه المدن والقبائل مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٧٧، ص٣٤٩-٣٥٠، وارجع إلى رضوان البارودى وأحمد الطوخى فى تحقيقهما لمخطوطة فيض العباب وإفاضة قدح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب لابن الحاج، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص٩٣، حاشية (١) - عبد العزيز بنعبد الله، سلا أولى حاضرتى أبى رقراق ص١٢٧ - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص١٠٧

٩١- ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٣ - البكرى، ص٢٩، ٨٤-٨٥.و لمزيد من التفاصيل عن المهدية الفاطمية أرجع إلى (ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتانى، الدار البيضاء، ١٩٦٤، ص٥٠ - ابن خلدون، جـ٤، ص٧٩ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص٥٠ ومايليها.

٩٢- البيذق، ص١٣٢.

٩٣- ابن صاحب الصلاة، المن بالأمامة، ص٤٤٦.

٩٤- المصدر السابق، ص٤٤٦.

٩٥- ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص٦١.

٩٦- المصدر السابق، ص٢١٤.

٩٧- ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧، مجلد ٣، ص٢٣١.

٩٨- محمد بن على بن دنية الرباطى، مجالس الإنبساط، ص٣٨-٣٩.

٩٩- ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٢٥.

١٠٠- الحلل الموشية، ص١٥٧.

١٠١- المصدر السابق، ص١٥٨.

١٠٢- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان، تحقيق إحسان عباس، طبعة بيروت، جـ٧، ص٥.

١٠٣- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، بيروت، ١٩٦٦، جـ١١، ص٢٨٤، ٢٩١.

١٠٤- أبو العباس الغبرينى، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية تحقيق عادل نويهض، بيروت، ١٩٦٩، ص٢٨.

١٠٥- الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٠٦.

١٠٦- المصدر السابق، ص١٢٨.

١٠٧- محمد بوجندار، الاغتباط بتراجم اعلام الرباط، تحقيق د. عبد الكريم كرّيم، الرباط، ١٩٨٧، ص٣٩٧.

١٠٨- المصدر السابق، ص٣٩٧.

١٠٩- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٢١٣، ١٩٠.

١١٠- المصدر السابق، ص٢١٧. وقد ذكر ابن صاحب الصلاة مصطلح رباط الفتح سبع مرات فى عهد عبد المؤمن بن على.

١١١- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ١٨٥.

١١٢- المصدر السابق، ص١٧٠.

١١٣- نفسه، ص٢٠٣.

١١٤- نفسه، ص٢٠٤، ٢٠٥

١١٥- نفسه، ص٢١٤.

١١٦- نفسه، ص٢١٧.

١١٧- مجموع رسائل موحدية، نشر ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٤١، رسالة ١١، ١٣، ٢٣- Caillé, p60. وكان ابن صاحب الصلاة معاصراً وقت بناء رباط الفتح سنة ٥٩٣ هـ إذ ظل على قيد الحياة حتى سنة ٥٩٤هـ (التازى، فى تحقيقه، للمن بالإمامة، ص٣٥). ويذكر رشيد بروبية أنه كان هناك اسمان للمهدية عند بنائها، الأول المهدية والثانى رباط الفتح.

(Rachid Bourouiba, Abd Al Mumin, p. 128.)

١١٨- الناصرى، مخطوط سلا ورباط الفتح، ص١١٣.

١١٩- Janet Abu Lughod, Rabats, p. 54.

١٢٠- محمد بو جندار، مقدمة الفتح، ص٤٤.

١٢١- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص٦٠، محمد بلغيث، الربط، ص٣٠٧.

١٢٢- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص٧٣. وبالرجوع إلى تيراس نجد أنه لم يذكر سوى القصر ومسجد القصبة والسقاية من عين غبولة بين أعمال عبد المؤمن بن على (H.Terrasse, l' Art Hispano Mauresque, p. 287) وأرجع كذلك إلى (محمد بوجندار، مقدمة الفتح، ص٤١).

١٢٣- عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص١١٩.

١٢٤- ابن صاحب الصلاة، المن بالأمانة، ص٤٤٦.

١٢٥- عن مسجد القصبة أو المسجد العتيق ارجع إلى عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص١٢٥. وكان الموحدون يهدمون المساجد والقصور المرابطية فى

المدن التى يدخلونها تطهيراً لها، فقد هدم عبد المؤمن بن على جامع على بن يوسف بمراكش وأقام على أساسه جامع الكتبية بقصر الحجر المرابطى، كما هدم عبد المؤمن بن على أسوار مدينة سلا ثم عاد وبناها من جديد
(Terrasse, l'Art Hispano Mauresque, p. 285).

١٢٦- البيذق، ص١٣٢، ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٤٦ - ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٢٥، الاستبصار، ١٤٠.

١٢٧- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٤٥٠.

١٢٨- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٢٦٦، الاستبصار، ص١٤٠، بوجندار، مقدمة الفتح، ص ٧٢-٧٥، محمد بن على بن دنية، مجالس الانبساط، ص ٣٩، مخطوط الناصرى بالخزانة الصبيحية، ص١٤١، ١٤٢، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص٧٥٠، شارل أندرى جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ص١٦٥.

١٢٩- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٢٦٦.

١٣٠- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٤٥٠.

١٣١- الاستبصار، ص١٤٠، محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٦٦.

تذكر الباحثة جانيت أبو لغد Janet Abu Lughod أن الخليفة أبا يوسف يعقوب المنصور هو الذى قام ببناء جسر عائم على نهر أبى رقراق (Janet Abu Lughod Rabats, p. 57). وقد جانبها الصواب فى ذلك الخبر لأن أبى يعقوب يوسف هو الذى قام بإنشائه، وذلك استناداً على النص الصريح الذى أورده صاحب الاستبصار وهو فى ذلك يقول فى ص١٤٠ «وأمر الخليفة أبو يعقوب رضه ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة....وفى هذه المدينة المحدثة قيصارية عظيمة وحمامات وفنادق وديار كثيرة ومياه مطرده وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها إذ وضعها على المجاز والمعبر على حضرة مراكش

كلأها الله، وعلى هذا المعبر قنطرة مركبة على ٢٣ معدية مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش...» .

١٣٢- Caillé, p. 36-39- Janet Abu Lughod, Rabats, p. 36, 55.

١٣٣- H. Terrasse, l' Art Hispano, p. 287 - Caillé, la Ville, p. 58.
عنان، المرجع السابق، ص٦٣٣)، عبد الكريم كريم، رباط الفتح، ص٥.

١٣٤- Caillé, la Ville, p. 58 - Rachid Bourouiba, Abd Al Mumin, p. 128.

١٣٥- هذه الرسالة هى الرسالة الحادية عشرة من مجموع الرسائل الموحدية التى نشرها ليفى بروفنسال (مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، إصدار ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٤١، الرسالة الحادية عشرة، ص٤٤.

١٣٦- مجموع رسائل موحدية، رسالة ١٣، ١٤ ص٥٦، ٦٢.

١٣٧- الرسالة ٢٣، ص١٢٦، نشر ليفى بروفنسال.

١٣٨- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٦١، ٦٢. ولم يتم تحرك الخليفة عبد المؤمن الموحدى إلى أفريقية إلا فى سنة ٥٥٤ هـ (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى المصدر السابق، ص٦٣). وعن أنباء الانتصارات الموحدية فى أفريقية، وإتمام فتح المهدية، أرجع إلى ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٢٠ ومايليها).

١٣٩- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٩٠. وعن تحقيق موضع وادى كساس أرجع إلى (عبد الهادى التازى فى تحقيقه للمصدر السابق، حاشية (١). ص١٩٠، وقد انتهى بعد مناقشة لمختلف الآراء إلى أن وادى كساس هو نفسه وادى التويمى بالشاوية جنوب مدينة سطات). ولمزيد من التفاصيل عن

هذه الحملة أرجع إلى مصطفى أبوضيف أحمد، أثر القبائل العربية، ص٨٤.

١٤٠- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص١٩٣.

١٤١- المصدر السابق، ص١٩٣، ١٩٤.

١٤٢- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٧٦.

١٤٣- ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص٣٠١. ولمزيد من التفاصيل عن موقعة مرج الرقاد وجهود الموحدين في مواجهة ابن مردنيش وابن همشك ارجع إلى (محمد أحمد عبده أبو الفضل، شرق الأندلس فى عصر دولة الموحدين، رسالة دكتوراة تحت إشراف الدكتور السيد عبد العزيز سالم، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص٩٢ ومايليها).

ونلاحظ أن ابن الأثير المؤرخ المشرقى قد أورد فى كتابه الكامل ذكر هذه الأحداث ولكنه لم يذكر اسم المهدية ولارباط الفتح مثل سائر المصادر المغربية وإنما يكتفى بالإشارة إلى أن عبد المؤمن بن على كان قد سار إلى مدينة سلا. (ابن الأثير، الكامل، جـ١١، ص٢٨٣).

١٤٤- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢١٣. ونلاحظ هناك أيضا أن ابن صاحب الصلاة قد استبدل اسم المهدية برباط الفتح.

١٤٥- يشير د. عبد الهادى التازى إلى أن بندغل أرض فضاء تقع إلى الشمال الشرقى من عين غبولة، وكانت من المواضع العسكرية التى يتجمع فيها الجيش الموحدى (التازى، فى تحقيقة المن بالامامة، ص٢١٨ حاشية(٢)).

١٤٦- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢١٧، ٢١٨.

١٤٧- المصدر السابق، ص٢٢١، ٢٢٢.

١٤٨- ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣١ - الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٢٨، Caillé, la Ville de Rabat, p63.

١٤٩- الحلل الموشية، ص١٥٧.

١٥٠- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص١١٥ - Caillé, la Ville, p. 65.

١٥١- ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص١٣١.

١٥٢- الغبرينى، عنوان الدراية، ص٢٨.

١٥٣- بوجندار، الاغتباط، ص٣٩٧.

١٥٤- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٢٢٢.

١٥٥- ابن خلدون، العبر، طبعة بيروت، ١٩٥٦، جـ٦، ص٤٩٦، وارجع كذلك إلى عبد الله كنون، النبوغ المغربى فى الأدب العربى، بيروت، ١٩٧٥، جـ١، ص١١٤.

١٥٦- Caillé, la Ville, p.65, 66 - Janet Abu Lughod, p. 36.

١٥٧- يذكر الدكتور عبد الهادى التازى أن هذه الدار لها صلة بدار البركة (ارجع إلى عبد الهادى التازى فى تحقيقه للمن بالامامة، ص٤٤٦، حاشية (١). وانظر Caillé, la Ville De Rabat, p. 255. فى حين يرى الاستاذ عبد الله السويسى أن دار البركة هى بقايا قصر المهدى بن تومرت، مؤسس القصبة (أرجع إلى السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص١١٩). ونحن نميل إلى الأخذ برأى د. التازى لأن المهدى طبقاً لما ورد فى البيذق أمر الموحدين ببناء المهدية فقط، ولكنه لم يشرع فى بنائها، وسنعرض لهذه الآراء فى الجزء الخاص بدراسة آثار رباط الفتح.

١٥٨- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص٤٤٤-٤٤٦.

وكان أبو يعقوب يوسف قد تحرك للغزو سنة ٥٦٦هـ لمناهضة مدينة وبذة Huete. وعن مصحف عثمان بن عفان واهتمام الموحدين به وتقديمهم له في كل معاركهم تبركا به ارجع إلى كتابي (أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقاً وغرباً، الإسكندرية، ١٩٩١). وعن الرايات والبنود الموحدية وألوانها واستخداماتها في الحروب والاحتفالات والمناسبات المختلفة أرجع إلى بحثي (الألوية والرايات والبنود والأعلام في الأندلس في العصر الإسلامي، دورية كلية الآداب جامعة المنصورة، العدد ١٦، يناير، ١٩٩٥، ص٢١٥-٢٢١، ٢٢٧-٢٣١).

١٥٩- ابن عذاري، البيان، ص١١٨.

١٦٠- المصدر السابق، ص١١٨. ومن الجدير بالذكر أن القائد الكبير أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المعروف بعمر ينتي شيخ قبيلة هنتاته إحدى بطون مصمودة وأحد كبار القائمين بدعوة المهدي بن تومرت وأحد القادة الموحدين البارزين الذي فتح كثيراً من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء، ورندة واشبيلية وقرطبة وغرناطة وجد الحفصيين حكام أفريقية، توفي في وباء الطاعون الذي حل ببلاد المغرب سنة ٥٧١هـ. وكان الشيخ أبو حفص بقرطبة فخرج منها مسافراً إلى مراكش ومات في الطريق ودفن بالمهدية (ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص١٣٦ - الناصري، الاستقصا، جـ٢، ص١٥١ - الدكالي، الاتحاف الوجيز، ص١٩٢ - محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٩٤).

١٦١- ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، ص١٥٧. و ارجع كذلك إلى مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية، ص٨٩.

١٦٢- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٣٩. وارجع إلى محمد عبد الله

عنان، عصر الموحدين، ص١١٤ ، ١١٥ .

١٦٣- ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص١٧١ .

١٦٤- الادريسى، نزهة المشتاق، جـ١ ، ص٢٣٩ .

Caillé, la Ville, p. 58.

١٦٥- ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٢٠١ . وإن كان الدكتور محمد المنونى يرى أن بناء دار صناعة سلا لاتزال قضية تحتاج للبحث وربما يشير الدكتور المنونى إلى احتمال بنائها زمن الموحدين (المنونى، ورقات، ص٧٦).

١٦٦- أبو اسحاق ابراهيم بن الحاج النميرى، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، القاهرة، ١٩٨٥ ، ص١٩ ، ٩١ .

١٦٧- ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص١٧٢ . ويذكر ابن أبى زرع أن المنصور كتم خبر وفاة والده حتى وصوله إلى سلا فأشهره (ابن أبى زرع، روض القرطاس ص١٤١) وأرجع كذلك إلى (مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبنى مرين، الدار البيضاء، ١٩٨٢ ، ص٧٣).

١٦٨- ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص١٨٦ . وأرجع إلى محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص١٥٩ .

١٦٩- ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص٢٠٠ .

١٧٠- المصدر السابق، ص٢٠٣ .

١٧١- نفسه، ص٢٠٤ ، ٢٠٥ - الحميرى، الروض المعطار، ص٣٤٢ .

١٧٢- ابن عذارى، البيان، ص٢١٤ .

١٧٣- المصدر السابق، ص٢١٧ . ولمزيد من التفاصيل أرجع إلى محمد عبد الله عنان عصر الموحدية، ص١٩٧ ومايليها.

١٧٤- عن خروج الجيوش الموحدية إلى رباط الفتح ومنها إلى الأندلس استعداداً لموقعة الأرك أرجع إلى (رفع الحجج المستورة فى محاسن المقصورة، ملحق نشرة أمبرويثو أويثى ميراندا فى مقالة عن وقيعة الأرك، جـ٢، ص١٥٢-١٥٦).

١٧٥- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٢٢٠ وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، حـ٧، ص٥.

١٧٦- يرفض كاييه Caillé الرأى القائل بأن بناء مدينة رباط الفتح قد بدأ قبل موقعة الأرك، رغم رجوعه إلى ما ذكره كل من عبد الواحد المراكشى وصاحب الاستبصار اللذين أكدا على ذلك (راجع Caillé, la Villé, p. 68) . أيضا فاته ما ذكره ابن صاحب الصلاة بخصوص دور أبى يعقوب يوسف فى بناء رباط الفتح (ابن صاحب الصلاة، المن بالأمامة، ص٤٤٦، ٤٤٧) لأن كتاب المن بالأمامة لم يكن قد نشر بعد.

١٧٧- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٢٢٦.

١٧٨- ابن صاحب الصلاة، المن بالأمامة، ص٤٤٦، ٤٤٧.

١٧٩- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص١٥١.

١٨٠- المصدر السابق، ص١٧٩.

١٨١- ابن خلكان، وفيات الأعيان، حـ٧، ص٩.

١٨٢- الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٨١.

* المصدر السابق، ص ١٧٤

١٨٣- الاستبصار، ص١٤٠. وقد جاء وصف الحميرى لرباط الفتح مقارباً جداً لأوصاف صاحب الاستبصار، (راجع الروض المعطار، ص٣١٩).

١٨٤- ليون الأفريقى، وصف أفريقيا، ص٢٠١.

١٨٥- المصدر السابق، ص٢٠٢.

١٨٦- نفسه، ص٢٠٢، ٢٠٣.

١٨٧- نفسه، ص٢٠٢، مخطوط الناصرى، ص١٦٢.

١٨٨- ليون الأفريقى، وصف أفريقيا، ص٢٠٢.

١٨٩- Caillé, la Villé de Rabat, p. 67 - H. Terrasse, l'Art Hispano Mauresque, Paris, 1932, p. 337.

أحمد الطوخى، ورضوان البارودى في تحقيقهما لفيض العباب، ص٩٠ حاشية (٢).

١٩٠- كذلك يشير المؤرخون الأوروبيون أمثال مارمول Marmol، وشينيه Chénier إلى بناء المنصور لرباط الفتح سنة ٥٩٣هـ الموافقة ١١٩٧م. ويؤكد ذلك النقوش الرسمية فى الرباط التى سجلت أبان الاحتلال الفرنسى، فهناك نقشان تذكريان نصبا منذ سنة ١٩٢١ عند الطرف الغربى من شارع النصر الذى يحدد النطاق الخارجى للسور القديم الخارجى للمدينة العلوية، نقش فيهما على لوحة من الحجر المصقول باللغة الفرنسية والعربية ما يلى «رباط الفتح أسسها السلطان العظيم يعقوب المنصور الموحدى سنة ٥٩٣هـ أو ١١٩٨م». ويعلق كاييه Caillé على هذا النص بأن التاريخ الميلادى فيه لايتفق مع ١١٩٨ م لأن ٥٩٣ هـ تتفق مع تاريخ سنة تبدأ فى ٢٤ نوفمبر ١١٩٦ وتنتهى فى ١٢ نوفمبر ١١٩٧ (Caillé, la Ville, p. 68).

١٩١- Caillé, Ibid, p. 70.

١٩٢- الناصرى، مخطوطة سلا والرباط بالخزانة الصبيحية، ص١٥٦ .

١٩٣- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ مدينة شالة، ص٦٣ . ويذكر كثير من المؤرخين أن بناء المنصور لمدينة رباط الفتح، كان يحمل بين طياته نهاية مدينة شالة، فقد انتقل السكان من شالة إلى الرباط كما انتقل أصحاب الحرف والصنائع إليها كما أشار إلى ذلك ليون الأفريقي، فأصبحت شالة خاوية حتى جاءت دولة بنى مرين، فأزداد خرابها فاتخذوها مدفناً (لمزيد من التفاصيل عن وضع شالة بعد بناء رباط الفتح أرجع إلى (عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ص٢٥٤ ، ومايليها) .

١٩٤- ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٢٠٢ .

١٩٥- بنو مرين هم شعب من بنى واسين من بطون قبيلة زناتة التى ينتمى إليها عدد من القبائل البربرية مثل مغراوة ومغيلة ومديونة وبنى يفرن وبنى دمر وزواغة وجراوة وبنى عبد الواد وغيرهم. وقد أرجعوا أنفسهم كمعظم الأسر البربرية التى شادت بالمغرب دولاً شامخة كالمرابطين والموحدين إلى العرب، فقد نسب بنو مرين أنفسهم إلى بربرن قيس عيلان بن مضر. وكانت منازل بنى مرين واخوانهم من بنى مديونة وبنى يلومن وبنى يادين بن محمد فى المغرب الأوسط ما بين وادى ملوية شمالاً وسجلماسة جنوباً. وكانت المعارك كثيراً ما تنشب بى بنى مرين وجيرانهم من بنى يادين، وهم الذين انتسب إليهم بنو عبد الواد أصحاب مملكة تلمسان فيمابعد. وكانت غالباً ما تحل الهزيمة على بنى مرين فى بداية الأمر لكثرة خصومهم من بنى يادين. وكان بداية ظهور خطرهم على الدولة الموحدية زمن الخليفة الموحدى المستنصر (٦١٠-٦٢٠هـ) ابن الناصر، فكانوا قبل ذلك لايأوون إلا للقفار ولايعرفون الزرع والحرث، وكان لاشاغل لهم إلا الصيد وشن الغارات وجل أموالهم من

الإبل والخيل، ولكنهم بداية من عهد المستنصر بدأوا ينفذون إلى نواحى المغرب المجاورة فاكتسحوا بخيلهم البسائط وملأوا أيديهم بالغارة والنهب، وهنا بدأت مواجهة الموحدين لهم. ومن أشهر المعارك التى خاضها الموحدون ضدهم، وكانت الغلبة فيها لبنى مرين، موقعة المشعلة سنة ٦١٣هـ (لمزيد من التفاصيل عن أولية بنى مرين ومراحل صراعهم مع الموحدين أرجع إلى (عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣١٥ وماليليها - ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص٢٧٨ وماليليها، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية - ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١، ابن الأحمر، روضة النسرين فى دولة بني مرين، الدار البيضاء ١٩٦٢ - ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٢١ وماليليها - الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص٣ وماليليها - محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٣٢٩ وماليليها - محمد المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين، الرباط، ١٩٧٩، ص٩ وماليليها - محمد عيسى الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، الكويت. ١٩٨٥، ص٧ وماليليها - عبد الله كنون، النبوغ العربى فى الأدب المغربى، ص١٨٧ - ونلاحظ أن دولة بنى مرين لم تقم مثل المرابطين والموحدين على أساس دينى عقائدى (راجع فى ذلك مراجع عقيلة الغناى، سقوط دولة الموحدين، بنغازى، ١٩٧٥، ص٢٦٨ وماليليها).

١٩٦- محمد المنونى، ورقات، ص٧ وماليليها.

١٩٧- يذكر المؤرخ الكبير الاستاذ محمد المنونى أن أهم المدن المغربية التى تألقت فى عصر بنى مرين وفقاً لمراكزها الاقتصادية هى : فاس، مراكش، سجلماسة، سبتة، آسفى، وآنفا، سلا، الرباط، طنجة، تازى، أغمات، آزمور (المرجع السابق، ص١١).

١٩٨- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٢٤٣ - محمد عبد الله عنان، في عصر الموحدين، ص٢٦٤.

١٩٩- ابن عذارى، البيان، ص٢٤٩ - عنان، عصر الموحدين، ص٢٧١.

٢٠٠- ابن عذارى، البيان، ص٢٥٩ - عنان، عصر الموحدين، ص٢٨٥.

٢٠١- ابن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، تعليق وتقديم د. عدنان درويش، دمشق، ١٩٩٠، ص٢٠٢، ٢٠٣.

٢٠٢- الناصرى، الاستقصا، جـ٢، ص١٨٣. ويذكر عبد الواحد المراكشي أنه اختلف في سبب وفاته، وان كان يرجح أنه توفى نتيجة سكتة من ورم في دماغة وأن الأطباء أشاروا عليه بالفصد فرفض ذلك مما أدى إلى موته (عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص٣٢٣). في حين يذكر ابن عذارى أن بعض وزرائه أغروا به من سمه لأنهم كانوا يخشون أن يقتلهم (ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص٢٦٥).

٢٠٣- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص٣٢٧ ومايليها - ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص٢٦٦ - ابن خلدون، العبر، ٦٥، ص٥٢٤ - محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٣٣٢.

٢٠٤- كانت الرياسة في بداية الأمر في بني مرين لمحمد بن وزير بن فكوس بن كرماط ابن مرين، ولما توفى تولى أمرهم أكبر أولاده حمامة، ثم خلفه أخوه عسكر، وخلف عسكر في الرياسة ولده أبو يكى الملقب بالمخصب، فلم يزل أميراً عليهم حتى ظهر أمر الموحدين، وزحف عبد المؤمن بن على إلى تلمسان في أثر تاشفين بن على سنة ٥٣٩هـ، وبعث قوة من الموحدين لمحاربة الخوارج من بطون زناتة، فاجتمعوا لقتال بن يادين وبنى يلومى وبنى مرين ومغراوة ومزق الموحدون جموعهم، فأذعن بنى يلومى وبنى يادين وبنو عبد الواد للطاعة،

ولكن بنى مرين لحقوا بالصحراء فى اتجاه الزاب ثم هاجموا قوات الموحدين وما كانوا يحملونه من أموال وذخائر تاشفين بن على وانتزعوا منهم تلك الذخائر، فأرسل الموحدون لاستنفاذ الغنائم والتقوا مع بنى مرين فى فحص مسون فهزموا بنى مرين وقتل شيخهم المخضب ابن عسكر سنة ٥٤٠هـ، وفروا فى أعقاب ذلك إلى الصحراء يتحينون الفرص. وقام بأمر بنى مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حمامة بن محمد، ولما توفى سنة ٥٦١هـ قام بأمرهم ولده محيو، الذى كان معاصراً للخليفة المنصور الموحدى، وكان المنصور قد استغفرهم للمشاركة فى موقعة الأرك، فشاركوا بالفعل فى الموقعة وأصيب زعيمهم محيو بجراح أدت إلى موته فخلفه فى الرياسة أكبر أولاده أبو محمد عبد الحق الذى بدأ نجم بنى مرين يسطع فى عهده. واستغلوا ما طرأ على دولة الموحدين من ضعف ووهن بعد هزيمتهم فى وقعة العقاب ووفاة محمد الناصر على أثرها، لتحقيق طموحاتهم كما ذكرنا فى المتن (ولمزيد من التفاصيل أرجع إلى ابن عذارى، البيان، ص٢٦٦ ومايليها، ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص١٤ ومايليها حتى ص٤٩ - ابن خلدون، العبر، طبعة ١٩٨٣، المجلد السابع، القسم الأول، ص٣٤٧ ومايليها، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص٩ ومايليها - الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص٦ ومايليها).

٢٠٥- يسميها كل من ابن عذارى وابن خلدون بالمشغلة بالغين (ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٢٦٦، ابن خلدون العبر، م٧، ص٣٤٨). بينما يسميها كل من ابن ابى زرع والناصرى بالمشعلة بالعين (ابن ابى زرع، الذخيرة، ص٢٤، ٤٩ - الناصرى، الاستقصا، جـ٣، ص٦).

٢٠٦- ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص٢٤، ٤٩ - محمد عبد الله عنان، ص٣٣٧.

٢٠٧- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٢٦٦.

٢٠٨- عنان، عصر الموحدين، ص ٣٣٨ ومايليها.

٢٠٩- لم تسند لابى محمد عبد الواحد أية ولاية أو مناصب حتى زمن الخليفة الناصر، الذى ولاه على مالقة سنة ٥٩٨هـ، ثم صرفه عنها سنة ٦٠٣هـ، وولاه أمر قبيلة هسكورة وهى ولاية ضخمة ثم اختاره المستنصر والياً لسجلماسة ثم والياً لاشبيلية ثم نقل إلى ولاية تونس ثم صرف عنها إلى مراكش. (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣٣٣ - ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص١٦٣ - ابن خلدون، جـ٦، ص٥٢٥ - محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٣٤٩).

٢١٠- لمزيد من التفاصيل أرجع إلى عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص٣٣٣ - ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٢٦٩ ومايليها - ابن ابى زرع، روض القرطاس ص١٦٣ - ابن خلدون، العبر، جـ ٦، ص٥٢٦.

٢١١- ابن عذارى، البيان، ص٢٧١ - ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص١٦٤- ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٥٢٧.

٢١٢- ابن عذارى، البيان، ص٢٧١-٢٧٣.

٢١٣- المصدر السابق، ص٢٧٣ - ابن خلدون، جـ٦، ص٤٢١، ٥٢٨ - عنان، عصر الموحدين، ص٣٦٤. وهسكورة قبيلة تنتمى لصنهاجة وبطونها عديدة فمنهم مصطاوة وفطواكة وزمراوة وبنو نفال. وكان عمر بن وقاريط زعيمهم فى أواخر عصر دولة الموحدين، وبعد وفاته تولى أمرها من بعده مسعود بن كلداسن. ولما انقضى أمر الموحدين استعصوا على بنى مرين لفترة وكانوا ملجأ للنازعين من الطاعة من عرب جشم، ومأوى للثائرين منهم ثم استقاموا وأذعنوا لأداء الضرائب والمغارم (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٤٢١ ومايليها.)

٢١٤- ابن عذارى، البيان، ص٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٨ - ابن ابى زرع، روض

القرطاس، ص١٦٦ ومايليها - ابن خلدون، العبر، جـ٦ ص٥١٩ ومايليها.

٢١٥- ابن عذارى، ص٢٨٦ - ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص١٦٧، عنان عصر الموحدين، ص٣٧١. وعن اسقاط المأمون اسم المهدى بن تومرت من الخطبة وانكار عصمته وقوله بأنه «لامهدى إلا عيسى عليه السلام» وعلاقة ذلك بالفكر المسيحى باعتبار أن أمه كانت أم ولد رومية نصرانية ولاستعانته بالنصارى ضد منافسه على العرش وبنائه كنيسة لهم فى مراكش (ارجع إلى محمد العروسى المطوى، السلطنة الحفصية، منشورات دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٦، ص١٢٤-١٢٥ - رضوان البارودى، اضواء على المسيحية والمسيحيين فى المغرب فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص٤١.

٢١٦- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٣٠٣,٣٤٥ - ابن خلدون، العبر جـ٦، ص٥٣٢، ٥٣٣ - محمد بن الله عنان، عصر الموحدين، ص٣٦٤، ٤٩٨، ٥٠٠-٥١٠، حمدى عبد المنعم حسين مدينة سلا فى فى العصر الإسلامى، الإسكندرية ١٩٩٣، ص٣٧، ٣٨.

٢١٧- ارجع إلى المصادر السابقة.

٢١٨- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٣٤٤، ٣٤٥. Caillé, la Ville, p. 79.

٢١٩- ابن عذارى، المصدر السابق، ص٣٤٥- وارجع كذلك إلى ابن خلدون، البعر، جـ٦، ص٥٣٦ ومايليها.

٢٢٠- ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص٢٨٠.

٢٢١- قبض عليه الفقيه ابو عبد الله المومنانى، وكان من أهل فاس المقيمين باشبيلية وكان موالياً لدولة الموحدين (ابن عذارى، نفسه، ص٣٤٦ - ابن خلدون، نفسه، ص٥٣٦).

٢٢٢- ابن عذارى، البيان، ص٣٤٦ - ابن خلدون، جـ٦، ص٥٣٦ - عنان، عصر الموحدين، ص٥١٠.

٢٢٣- ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣، جـ٢، ص١٢٧ - ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين ص٤٤٥ ومايليها. - محمد احمد عبده ابو الفضل، شرق الأندلس في عصر دولة الموحدين رسالة دكتوراة، الاسكندرية، ١٩٨٠، ص١٩٥ ومايليها.

٢٢٤- عن شاطبة وسقوطها ارجع إلى كتابي (شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي، التاريخ السياسي والحضاري) الاسكندرية، ١٩٩٥.

٢٢٥- محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص٤٥٥ ومايليها - خليل ابراهيم السامرائي، تاريخ المغرب العربي، ص٣٤٦، ٣٧٠.

٢٢٦- قام الاستاذ محمد عبد الله عنان بنشر هذا الظهير الوارد في المخطوط الموسوم بزواهر الفكر المحفوظ بمكتبة الاسكوريال (ارجع إلى عنان، ص٧٣٧ ومايليها) وارجع كذلك إلى الناصري، مخطوط الخزانة الصبيحية، ص٢٤٦.

٢٢٧- وعن ظروف وفاة الرشيد ارجع إلى ابن عذارى، البيان، القسم الموحدي، ص٣٥٩ - ابن خلدون، العبر، المجلد ٦، ص٥٣٩.

٢٢٨- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص٣٧٢، ٣٧٣ - ابن خلدون، العبر، م٦، ص٥٣٩ - ٥٤٢ - عنان، عصر الموحدين، ص٥٢٤.

٢٢٩- ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص٦٦، الناصري، مخطوط الخزانة الصبيحية ص٦٤١، محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية، ص٦.

٢٣٠- ابن عذارى، البيان، القسم الموحدى، ص ٣٨٨ ابن خلدون، العبر، م ٦، ص ٥٤٢ - محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص ٥٢٩، عز الدين موسى، الموحدين فى الغرب الاسلامى، ص ٣٥٨.

والمرتضى لأمر الله هو السيد أبو حفص عمر ولد السيد ابى ابراهيم بن الخليفة ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، أى ابن أخ للخليفة يعقوب المنصور، وعم المأمون والد السعيد. كان قد عين من قبل والياً لأغمات، ثم ولاه الخليفة السعيد على سلا ورباط الفتح، كان هادى الطباع، شديد الورع، قليل الأطماع.

لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (ابن عذارى، البيان، ص ٣٨٧ وما يليها، عنان، ص ٥٢٩ وما يليها).

٢٣١- ارجع الى الحاشية السابقة.

٢٣٢- ابن عذارى، البيان، ص ٣٩٠ - ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ٧٢، روض القرطاس، ص ١٩٥، ابن خلدون، العبر، المجلد السادس، ص ٥٤٢، عنان، عصر الموحدين، ص ٥٣١.

٢٣٣- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٣٩٠، ٣٩١.

٢٣٤- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ١٩٥، الذخيرة السنية، ص ٧٢ - عنان عصر الموحدين، ص ٥٣١.

٢٣٥- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ١٩٥ - الذخيرة السنية، ص ٧٢.

٢٣٦- ابن عذارى، البيان، ص ٣٩٦ - ابن خلدون، العبر، المجلد السادس، ص ٥٤٢ وان كان ابن خلدون قد ذكر فى موضع آخر من كتابه أن استيلاء الامير ابى يحيى على فاس لأول مرة كان سنة ٦٤٦ هـ (ابن خلدون، المجلد السابع، ص ٣٥٨). وراجع ما ذكره الناصرى فى الاستقصا، حـ١،

ص ١٤، ١٦.

٢٣٧- عادت فاس للثورة وانتهزت فرصة خروج الأمير المريني ابى يحيى لغزو بلاد فازار فانقلبت عليه وعادت لطاعة الموحدين ولكن الخليفة الموحدى المرتضى لم يبعث اليهم بأى مدد فلما قنطوا من مساندته لهم عادوا يلتمسون العفو والامان من الأمير أبو يحيى المريني عقب عودته من بلاد فازار وانتصاره على الأمير يغمراسن بن زيان، ففتحت فاس للمرة الثانية فى سنة ٦٤٨ هـ على يد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق المريني (ابن ابى زرع، الذخيرة، ص ٧٤ وما يليها - ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٣٥٩.

٢٣٨- لمزيد من التفاصيل ارجع الى ابن عذارى، البيان، ص ٤٠٠ وما يليها، عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤١ وما يليها.

٢٣٩- ابن خلدون، العبر، المجلد السابع، ص ٣٦١، ٣٦٢ - الناصرى، الاستقصا حـ٢، ص ٢٢٧، ٢٢٨، حـ٣، ص ١٧ - عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٧ - السامرائي، تاريخ المغرب العربى، ص ٣٣٥.

٢٤٠- ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ٧٩ - وارجع كذلك الى مصطفى ابو ضيف، اثر القبائل العربية، ص ١٦٥.

٢٤١- لمزيد من التفاصيل على موقعة بنى بهلول ارجع إلى (ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٤٠٧ وما يليها - ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ١٧٣ - ابن خلدون، العبر، المجلد السابع، ص ٣٦٢ - محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٤.

٢٤٢- ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ٨١ - ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٣٦٣.

٢٤٣- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٤١١ وما يليها. ولمزيد من

التفاصيل ارجع الى عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٥.

٢٤٤- ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ٨٣.

٢٤٥- ابن عذارى، البيان، ص ٤١٦.

٢٤٦- ابن زرع، الذخيرة السنية، ص ٩٣.

٢٤٧- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٤١٦، ٤١٧.

٢٤٨- ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ٩٣.

٢٤٩- ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٣٦٦.

٢٥٠- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٤١٧ - الناصرى، الاستقصا، حـ٣، ص ٢١ - عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٨.

٢٥١- هناك وثيقة بابوية مؤرخة فى الثامن من أكتوبر عام ١٢٤٦م، صادرة عن المجمع الدينى المنعقد فى مدينة ليون برئاسة البابا انوسنت الرابع تحض على نقل الحروب الصليبية إلى المغرب، وتنص صراحة على ضرورة الاستيلاء على مدينتى سلا ورباط الفتح الاستراتيجيتين (ارجع إلى A. Ballesteros Beretta: La Toma de Salé en tiempos De Alfonso El Sabio, Al Andalus, 1943, Fasc 1, p 104 - 115.

٢٥٢- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٤١٨، ٤١٩ - ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ٩٣، ٩٤ - ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٣٦٦، ٣٦٧ - الناصرى الاستقصا حـ٣، ص ٢١ - عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٨ وما يليها - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الاسلامية، ص ٣٠٩ - محمد عيسى الحريرى، تاريخ المغرب الاسلامى والأندلس فى العصر المرينى، الكويت، ١٩٨٥، ص ٢٩ - A. Ballesteros Beretta, La Toma De Salé, p 114- Miranda, La toma de Salé por le esuadra

de Alfonso x nuevos datos, R. Hesperis, 1952, let 2, p 25.

حمدى عبد المنعم، مدينة سلا في العصر الاسلامي، ص ٥٢ وما يليها.

٢٥٣- بعث السلطان ابو يوسف يعقوب، ابا بكر بن يعلى في اواسط شهر ذى القعدة من سنة ٦٥٨ هـ برسم افتكاك الأسرى المسلمين وافتدائهم، وكان قد أسر في جملتهم ابو على بن عشرة قاض سلا ورباط الفتح، ففداه السلطان المرينى في جملة من فداهم (لمزيد من التفاصيل، ارجع إلى ابن عذارى، ص ٤٢٢).

٢٥٤- ابن عذارى، البيان، ص ٤٢١ - ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ٩٤ ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٣٦٧ - الناصرى، الاستقصا، حـ٣، ص ٢٢ وما يليها.

٢٥٥- ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٣٦٧.

٢٥٦- المصدر السابق، ص ٣٦٨ - الناصرى، الاستقصا، حـ٣، ص ٢١.

٢٥٧- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٢٥ - عز الدين موسى، الموحدين في الغرب الاسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، بيروت، ١٩٩١، ص ٣٢٠ - ولمزيد من التفاصيل عن ثورة الماسى في سلا ارجع الى (حمدى عبد المنعم، مدينة سلا، ص ٤٢ وما يليها).

٢٥٨- كان موسى بن زيرى الهنتاتى أحد كبار الشخصيات الموحدية، وقد تصدى لثورة الثائر المسمى بمصبوغ اليدين هو والقائد الموحدى يصلاسن بن المعز وانتصروا عليه وقتلاه في حدود عام ٥٤٠ هـ، وكانت ثورته في نظر أجرسيف (البندق، اخبار المهدى بن تومرت، ص ١٠٩، ١٥٥، ١٢٤) كما شارك الهنتاتى، القائد على بن يبورك في قتال الثائر هارون بن يحيى الزرهونى، وقد تمكنا من القبض عليه وساقاه الى سلا حيث صلب.

(البيذق، ص ١٥٦) كذلك واجه موسى بن زيرى الهنتاتى الثائر مفال الذى قام فى آيور جان وغزاه سعد الله بن زيرى مع موسى الهنتاتى (البيذق، ص ١٥٨).

٢٥٩- الاستبصار، ص ١٥١.

٢٦٠- ابن عذارى، البيان، ص ٢٠٠ - عز الدين موسى، الموحدون فى الغرب الاسلامى، ص ٣٢٣.

٢٦١- ابن عذارى، ص ٣٤٤ - عز الدين موسى، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

٢٦٢- ابن عذارى، ص ٣٨٨ - مصطفى ابو ضيف، اثر القبائل العربية، ص ١٠٩.

٢٦٣- ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٤١٦، وارجع كذلك الى الناصرى الاستقصاء، حـ٣، ص ١٧، وقد أورد اسمه على أنه «ابو عبد الله بن يعلو» وارجع كذلك الى عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤١.

٢٦٤- الناصرى، مخطوط الخزانة الصبيحية، ص ٢٤٩.

٢٦٥- ابن ابى زرع، الذخيرة، ص ١١٤ - ولمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث ارجع: ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص ٤٣٤ وما يليها - ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ١١١ وام يليها، روض القرطاس، ص ٢٠٤ - ابن خلدون، العبر، م ٦، ص ٥٥١، م٧، ص ٣٧٤ وما يليها، وانظر كذلك ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ٧، ص ١٧، ١٨.

٢٦٦- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٠٦. ويعتبر الناصرى صاحب المخطوط عن سلا ورباط الفتح بالخزانة الصبيحية بسلا أن كل زيارة قام بها المنصور المرينى لمدينة سلا هى فى نفس الوقت زيارة لرباط الفتح لأن اسم

سلا من وجهة نظره كان يشمل العدوتين معاً (الناصرى، مخطوط سلا والرباط، ص ٣٠٨). وعلى هذا الأساس يعتبر الناصرى أن زيارة المنصور لسلا سنة ٦٦٥ هـ تشمل الرباط أيضاً.

٢٦٧- ابن زرع، الذخيرة السنية، ص ١٢٥.

٢٦٨- ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٣٧٧، وارجع كذلك الى عنان، عصر الموحدين، ص ٥٧١.

٢٦٩- ابن ابى زرع، الذخيرة، ص ١٣٦.

٢٧٠- المصدر السابق، ص ١٣٦.

٢٧١- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢١٦، ٢١٧ - ابن خلدون ، العبر، م٧، ص ٤٥٣ - الناصرى، الاستقصا، حـ٣، ص ٤٥، وارجع الى مخطوط الناصرى بالخزانة الصبيحية ص ٣٠٨.

٢٧٢- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٠. وقد أشار ابن ابى زرع فى الذخيرة السنية الى تلك الأحداث، وذكر أن وفداً من أهل فاس كان من بين الذين وفدوا على السلطان المرينى وهو بالرباط فى شهر رمضان سنة ٦٨٣ هـ (الذخيرة، ص ٣١).

٢٧٣- ابن خلدون، العبر، م٧، ص ٤٢٧.

٢٧٤- الناصرى، الاستقصا، حـ٣، ص ٥٨.

٢٧٥- محمد المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية، ص ٧٦. وإن كانت هناك بعض الروايات التى تشير إلى أن دار الصناعة سبق أن أنشئت فى زمن الموحدين (حمدى عبد المنعم، مدينة سلا فى العصر الاسلامى، ص ٧٦. وارجع كذلك إلى Terrasse, Les Portes de L'arsenal De Salé,

Hespéris T. II, 1922, p 369 - 371.

وكان المهندس الأندلسي محمد بن على بن عبد الله بن محمد ابن الحاج الاشبيلى الأصل هو الذى قام ببناء هذه الدار، وكان الأمير أبو يوسف يعقوب يشرف على بنائها بنفسه (ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٠١). أما المهندس محمد بن على بن عبد الله فكان يعرف بابن الحاج وهو من مدجنى مدينة اشبيلية، وقد أشار ابن الخطيب فى الاحاطة بأنه قد توارث هذه المهنة عن والده الذى كان يعمل نجاراً ووصفه بأنه كان «من العارفين بالحيل الهندسية بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية والعمل بها، وانتقل الى مدينة فاس على عهد ابى يوسف المنصور بن عبد الحق، واتخذ له الدولاب المنفسح القطر (البعيد المدى)، ملين المركز والمحيط المتعدد الأكواب، الخفى الحركة حسبما هو اليوم ماثل بالبلد الجديد، دار الملك بمدينة فاس، أحد الآثار التى تحدو إلى مشاهدتها الركاب، وبناء دار الصنعة بسلا، وانتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثانى الملوك من بنى نصر...» وكانت وفاته بفاس سنة ٧١٤ هـ (ابن الخطيب، الاحاطة فى أخبار غرناطة، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٤٠، ابن القاضى، جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط ١٩٧٤، ق ١، ص ٢٨٨.

أما بابا دار الصناعة فكان أولهما يسمى باب المريسى وهو على شكل عقد متجاوز لنصف الدائرة (حدوة الفرس) يدور حوله افريز زخرفى ونقش طويل تحليه كتابات بالخط الكوفى هى الآيات ١٠، ١١، ١٢، ١٣ من سورة الصف، وهى ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلكم الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين ﴾ فى حين تغطى اركان الباب زخارف نباتية كثيفة، وكان يكتنف الباب برجان

بارزان، تتوجهما زخارف نباتية. وكان هذا الباب يؤدى الى حى اليهود بسلا ويعرف بباب الملاح. أما الباب الثانى فقد تهدم ولم يبق منه الإجدار الواجهة التى كانت تتوسط البرجين اللذين لم يبق منهما سوى بروزهما (Terrasse, Les Portes de L' arsenal de Salé, p 357 - 371 محمد الدكالى، الاتحاف الوجيز، ص٦٣، ٦٤ - حمدى عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص ٧٧).

٢٧٦- ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٤٣١.

٢٧٧- ابن زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٠.

٢٧٨- اسماعيل بن الاحمر، روضة النسرين فى دولة بنى مرين، الرباط، ١٩٩١، ص ٢٧.

٢٧٩- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٥٧.

٢٨٠- المصدر السابق، ص ٢٥٧.

٢٨١- نفسه، ص ٢٥٧ - ابن الأحمر، روضة النسرين، ص ٢٧.

٢٨٢- الناصرى، الاستقصا، حـ ٣ ، ص ٦٥.

٢٨٣- لمزيد من التفاصيل عن وضعية شالة عقب بناء رباط الفتح، ارجع إلى عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الاسلامية، ص ٢٥٤ وما يليها.

٢٨٤ - لمزيد من التفاصيل ارجع الى المرجع السابق، ص ٢٥٦ وما يليها.

٢٨٥- نفسه، ص ٢٦٠ وما يليها.

٢٨٦- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٣٠ - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ شالة الاسلامية، ص ٣١١.

٢٨٧- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٣٦٨.

٢٨٨- ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٤٨٥.

٢٨٩- ابن الاحمر، روض النسرين، ص ٣١. وقتله الخصى سعادة مملوك الكاتب يحيى المليانى.

٢٩٠ - ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٧٠ - ابن خلدون العبر، م ٧، ص ٤٩١ - الناصرى، الاستقصا، حـ٣، ص ٩٤.

٢٩١- ابن الاحمر، روضة النسرين، ص ٣٢.

٢٩٢- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٢٧١ - ابن خلدون، العبر، م ٧، ق ٣، ص ٤٩٤.

٢٩٣- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ٣٦٨، ٢٧١.

٢٩٤- المصدر السابق، ص ٢٧٥ وارجع كذلك إلى ابن خلدون، العبر، م ٧، ص ٥٠٣. ويشير ابن الخطيب الى اهتمام السلطان أبى سعيد بانشاء الاساطيل فى دار صناعة سلا (ابن الخطيب الاحاطة، حـ٣، ص ١٤١)

٢٩٥- الناصرى، مخطوط سلا والرباط بالخزانة الصبيحية، ص ٣١٠.

٢٩٦- ابن ابى زرع، الذخيرة السنية، ص ٣٧.

٢٩٧- ابن الاحمر، روضة النسرين، ص ٣٤. ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عثمان عثمان اسماعيل استعرض مختلف الآراء التى ناقشت قضية دفن السلطان ابى سعيد عثمان بن يعقوب فى شالة (لمزيد من التفاصيل، ارجع الى عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ص ٣١٣ وما يليها).

٢٩٨- الناصرى، الاستقصا، حـ٣، ص ١٣٥ - عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ص ٣١٥.

٢٩٩- استند الناصرى فى مخطوطته عن سلا والرباط على ما ذكره الناصرى السلاوى فى الاستقصا، وبالرجوع الى السلاوى لم نجد ما ينص على مرور السلطان على رباط الفتح (ارجع إلى السلاوى، حـ١، ص ١٨٢).

٣٠٠- الناصرى، السلاوى، الاستقصا، حـ١، ص ١٨٢.

٣٠١- مخطوط الناصرى عن سلا ورباط الفتح، ص ٣١١.

٣٠٢- الناصرى، مخطوط سلا ورباط الفتح، ص ٣١١.

٣٠٣- ابو اسحاق ابراهيم بن الحاج النميرى، فيض العباب وافاضته قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، نشر وتحقيق رضوان محمد رضوان البارودى، أحمد محمد الطوخى، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص ٨٦.

٣٠٤- المصدر السابق، ص ٩٠.

٣٠٥- تذكر Janet Abu Lughod أن الجسر الذى كان يربط بين سلا ورباط الفتح انهار اثناء الصراع بين الموحدين والمرينيين(Janet Abu Lughod Rabats, p 58).

٣٠٦- السويسى، ص ٥٧، ٥٨.

٣٠٧- يذكر الاستاذ محمد المنونى أن أهم المدن المغربية فى العهد المرينى حسب مركزها الاقتصادى هى: فاس ومراكش وسجلماسة وسبتة، اسفى وانفا وسلا، والرباط وطنجة وتازى واغمات وأزمور (المنونى، ورقات، ص١١)

٣٠٨- ابن عذارى، البيان، ص ٣٣٤ (قسم الموحدين).

٣٠٩- عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٦٥.

٣١٠- أبو العباس الغبرينى، عنوان الدراية، ص ٢٩٨.

٣١١- ابن عبد الملك الانصارى، السفر الأول من كتاب الذيل والتكملة، القسم الأول تحقيق محمد بنشريفة، ص ١٥٠ وما يليها.

٣١٢- المصدر السابق، ص ١٥٠ وما يليها. وارجع كذلك الى ابن الخطيب، الاحاطة فى اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٧٥ ولمزيد من التفاصيل عن ابى جميل زيان ارجع الى سحر سالم، شاطبة، الحصن الأمامى لشرق الأندلس فى العصر الإسلامى، التاريخ السياسى والحضارى، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص ١٧٦ وما يليها.

٣١٣- ابن عبد الملك الانصارى، المصدر السابق، ص ١٥٠ وما يليها. ومن أشهر نماذج نثره قطعة من رسالة هنأ بها المستنصر بالله، ابا عبد الله بن الأمير الاجل ابى زكريا بن الشيخ ابى محمد بن الشيخ ابى حفص باجرائه ماء السقاية بجامع حضرة تونس (المصدر السابق، ص ١٥٤ وما يليها).

٣١٤- ابن الخطيب، الاحاطة، م١، ص ١٧٥. ويذكر ابن عبد الملك الأنصارى أنه تولى قضاء بلد هيلانة (ابن عبد الملك، الذيل، السفر الأول، ص ١٧٧ ومن الواضح ان هيلانة محرفة من مليانة، ومليانة بلدة تابعة لمراكش.

٣١٥- المصدر السابق، ص ١٧٧، والسفر الخامس، ص ٣٥٣ - ٣٦١ - ابن الخطيب، الاحاطة، م ١، ص ١٧٥ - الغبرينى، عنوان الدراية، ص ٢٩٨ - بوچندار، الاغتباط بتراجم اعلام الرباط، ص ٧ - الدكالى، الاتحاف الوجيز، ص ١٤٣ - محمد بن على بن أحمد دنية الرباط، مجالس الانبساط بشرح تراجم وعلماء وصلحاء الرباط، الرباط ١٩٨٦، ص ٧٥ التازى فى تحقيقه المن بالامامة، ص ٣٨ - ولمزيد من التفاصيل عن حياة ابى المطرف بن عميرة (ارجع الى محمد بنشريفة، ابو المطرف أحمد بن عميرة المخزومى حياته وآثاره من منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى،

المغرب – عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٦٥.

٣١٦- ابن عبد الملك الانصارى، السفر الأول، القسم الأول، ص ١٧٨.

٣١٧- المصدر السابق، ص ١٧٩ – ابن الخطيب، الاحاطة، م١، ص ١٧٥ – عنان، عصر الموحدين، ص ٧٠٠ – ٧٠١ – وارجع كذلك الى بوچندار الاغتباط، ص ٧.

٣١٨- هى Jares De Los Caballeras.

٣١٩- ابن عبد الملك الأنصارى، السفر الأول، القسم الأول، ص ٣٨٨ – السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٦٥.

٣٢٠- ابن الأبار، التكملة، حـ٢، ص ٧٦٤ ترجمة ١٦١٩ (طبعة ١٨٨٧)- ابن الخطيب، الاحاطة، حـ٣، ص ٤١٦ – عنان، عصر الموحدين، ص ٦٥٦، ٦٥٧ – السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٦٥.

٣٢١- الدكالى، الاتحاف الوجيز، ص ١٩٢.

٣٢٢- الغبرينى، عنوان الدراية، ص ٢١٨، ترجمة ٥٥ – الدكالى، الاتحاف الوجيز، ص ١٧٦.

٣٢٣- ابن عبد الملك الأنصارى، الذيل، السفر الأول، القسم الأول ص ٣٨ الدكالى، الاتحاف الوجيز، ص ١٤٦ – عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٦٥.

٣٢٤- ابن القاضى، درة الحجال فى غرة اسماء الرجال، الرباط، ١٩٣٦، القسم الأول، ص ٢٨٥ وعن الوافى بالوفيات للصفدى ارجع الى الدكالى الاتحاف الوجيز، ص ١٤٠، ١٦١.

٣٢٥- الدكالى، الاتحاف الوجيز، ص ١٩٢.

٣٢٦- ابن خلدون، بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٨٠، حـ١، ص ١٢٣.

٣٢٧- الدكالى، الاتحاف الوجيز، ص ١٧٦، ١٧٨.

٣٢٨- ابن عبد الملك الانصارى، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص ٣١١.

٣٢٩- ابن الأبار، التكملة، حـ٢، طبعة ١٨٨٧، ص ٤٣٤، ترجمة ١٢٤٠ - ثريا لهيى، أو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى وحياته وآثاره، الرباط ١٩٩٤، ص ٢١.

٣٣٠- ابن الابار، التكملة، جـ١، ترجمة ٢٨٠.

٣٣١- المصدر السابق، حـ١، ترجمة ١١٤.

٣٣٢- لمزيد من التفاصيل، ارجعع الى ثريا لهيى، ابو الربيع سليمان، ص ٢١ وما يليها.

٣٣٣- ابن الآبار، التكملة، حـ٢، ص ٥٢٨ ترجمة ١٤٨٩.

٣٣٤- لمزيد من التفاصيل ثريا لهيى، أبو الربيع سليمان، ص ٤٥.

٣٣٥- ابن الآبار، التكملة، حـ٢، ص ٧٠٩ ترجمة ١٩٩١. وقد استعرضت الدكتورة ثريا لهيى فى كتابها عن ابى الربيع الكلاعى حياته العلمية وقسمتها إلى مراحل تعليمية واستعرضت من خلال كل مرحلة أهم الشيوخ الذى تلقى عليهم العلم وكذلك أشهر تلاميذه وأصحابه (لمزيد من التفاصيل، ارجع إلى ثريا لهيى المرجع السابق، ص ٤٥ وما يليها).

٣٣٦- ابن عبد الملك الانصارى، الذيل والتكملة، السفر الثامن، الجزء الأول الرباط، ١٩٨٤، ص ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥. وعن قصائده الأخرى فى التوحيد والزهد، ارجع الى ص ٢٩٥ - ٢٩٨.

٣٣٧- ابن عبد الملك الانصارى، الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الثانى تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، ١٩٨٤، ص ٤٥٢، ٤٥٨، ٤٧٢، ٤٧٣.

٣٣٨- المقرى، أزهار الرياض فى أخبار عياض، الرباط، ١٩٨٨، الطبعة التابعة لصندوق احياء التراث الاسلامى، حـ٢، ص ٣٧٨ وما يليها - بوچندار، الاغتباط بتراجم اعلام الرباط، ص ٣٣٩ - عبد الله كنون، النبوغ المغربى فى الآدب العربى، بيروت، ١٩٧٥، حـ١، ص ١٨٠ - عباس الجرارى الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدى، الدار البيضاء، ١٩٧٤، ص ١١٥ وما يليها.

٣٣٩- المقرى، ازهار الرياض، حـ٢، ص ٣٧٩، ٣٨٠

* عباس الجرارى، المرجع السابق، ص ١١٥.

٣٤٠- المقرى، ازهار الرياض، حـ٢، ص ٣٧٩ - عباس الجرارى، المرجع السابق، ص ١١٥، ١١٦.

٣٤١- المقرى، ازهار الرياض، حـ٢، ص ٣٧٩ - عباس الجرارى المرجع السابق، ص ١١٥، ١١٦. وله مجموعة من قصائد أخرى، من ذلك قصيدة فى الحنين الى احبابه (المقرى، ازهار، حـ٢، ص ٣٨٣). وفى الرثاء المصدر السابق، ص ٣٨٠، وفى مدح النبى ﷺ (نفسه، ص ٣٨٣- ٣٩٢).

٣٤٢- بوچندار، الاغتباط، ص ٣٣٩. وارجع كذلك إلى الدكالى، الاتحاف، ص ٩٣.

ابو بكر عيسى بن الوكيل اليابرى: كان معاصراً للمرابطين، دخل فى خدمتهم وعمل لديهم سفيراً، وحدث أن انكسر عليه مال جليل يبلغ عشرة آلاف دينار فقبض عليه وأشخص الى مراكش، فلما بلغ الموكلون به مدينة سلا، وكان يتولاها آنذاك بنو عشرة، نظم أبو بكر بن الوكيل اليابرى قصيدة يستجير فيها بقاضى سلا ابى الحسن بن عشرة، الذى بادر بالاتصال بأمراء الأندلس طالبا الصفح عن السفير اليابرى مع التزامه بتحمل المال (ارجع لمزيد من التفاصيل إلى عبد الهادى التازى، أبو عبد الله اليابرى، فقيه مغربى من القرن الرابع عشر، المناهل، العدد ٢٥، الرباط، ١٩٨٢، ص ١٣١).

٣٤٤- بوچندار، الاغتباط، ص ٣٨٠.

٣٤٥- ابن القاضى، جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس، الرباط ١٩٧٤، ق ١، ص ١٥٣ - محمد بن على السلاوى الدكالى، اتحاف اشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا، مخطوط بدار الخزانة الحسنية رقم ١٣٢٩، ص ٣٩ - عبد الهادى التازى، أبو عبد الله اليابرى، ص ١٣٩.

٣٤٦- محمد بن على بن أحمد دنية، مجالس الانبساط، ص ٧٧.

٣٤٧- بوچندار، الاغتباط، ص ٣٨٠، ٣٦٥ - محمد بن على دنية، مجالس الانبساط، ص ٧٢، ٧٧، ٧٨ - عبد الهادى التازى، أبو عبد الله اليابرى ص ١٤٠.

٣٤٨- محمد بن على دنية، مجالس الانبساط، ص ٧٩.

٣٤٩- ابن القاضى، درة الحجال، حـ١، ص ٧٩ ترجمة ١٦٩.

٣٥٠- المصدر السابق، ص ٧٩ - بوچندار، الاغتباط، ص ٣٨١ - محمد بن على دينة، مجالس الانبساط، ص ٧٦، الدكالى، اتحاف اشراف الملا ببعض

اخبار الرباط وسلا، ص ٤٠.

٣٥١- الدكالي، الاتحاف الوجيز، ص ٥٢.

٣٥٢- ويذكر المؤرخ محمد بن علي دنية عيناً أخرى هي عين عتيق أو عتيك، قام السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتوصيل المياه منها إلى الرباط سنة ١١٩٢ (دنية، مجالس الانبساط، ص ٤١).

٣٥٣- راجع ما سبق أن ذكرناه في الصفحات السابقة (البيذق، اخبار المهدي، ص ١٣٢ - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٨ - ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٢٥، ١٢٦ - السلاوي، الاستقصا، حـ٢ ص ١١٩. وقد وصف ليون الافريقي هذه القنوات بأنها «محكمة البناء على أقواس شبيهة بتلك التي ترى في ايطاليا كلها لاسيما قرب روما وتنقسم هذه القناة الى فروع عديدة يحمل بعضها الماء إلى المساجد» (ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص ٢٠٢).

٣٥٤- ابن صاحب الصلاة، ص ٤٤٩ - الاستبصار، ص ١٤٠ - الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٩.

٣٥٥- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٩.

٣٥٦- الاستبصار، ص ١٤٠ - الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٩.

٣٥٧- ارجع إلى نص الظهير في محمد عبد الله عنان، عصر الموحدين، ص ٧٣٨.

٣٥٨- المنوني، ورقات، ص ١٠.

٣٥٩- عبد العزيز بنعبد الله، سلا، ص ٢٨.

٣٦٠- ليون الأفريقي، وصف افريقيا، ص ٢٠٨، وارجع كذلك الى عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادى فى المغرب الاسلامى، طبعة دار الشروق، ١٩٨٣ ص ١٩٥.

٣٦١- نستنتج ذلك من ظهير مرينى صادر لابن الخطيب، وقد ثبت نصه فى الاستقصا حـ٢، ص ١٢٧ - ١٢٨ - المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية، ص ١١١.

٣٦٢- الاستبصار، ص ١٤٠ - الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩. وارجع كذلك الى عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٢٠٣. كما اشار الدكتور عز الدين موسى الى صيد النعام فى البسائط فى المنطقة الواقعة بين مراكش وسلا لبيع بيضها والافادة من شحمها فى العقاقير.

٣٦٣- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٩.

* سحر عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامى، الاسكندرية ١٩٩٣، ص ٨٠ وما يليها - وكان المغرب الأقصى قبل ظهور المرابطين تتقاسمه اربعة قوى هى غمارة فى الشمال وقبائل برغواطة فى الغرب وزناتة تكون نطاقاً حول هذه القبائل بعد سقوط الأدارسة، ثم طوائف الشيعة الرافضة والوثنيين فى الجنوب بتارودانت عاصمة السوس الأقصى (محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى، ص ١٤٣).

٣٦٤- كانت الخمر تباع فى المغرب فى الاسواق فى مطلع القرن السادس الهجرى، وعلى الرغم من محاولة المرابطين منع شربها فى بداية الأمر إلا أن بعض أمرائهم وخاصة دولتهم اقدموا على شرابها، كذلك كانت تقدم فى الأعراس، ولم تبذل الدولة المرابطية جهداً لمنع الخمر إلا بعد تفاقم الثورة الموحدية، ومنع الموحدين شرب الخمر فى دور الثورة. ولكن الموحدين أباحوا

بعد ذلك الربّ المصنوعَ من العنب، وكان الخلفاء وخاصة أبو يعقوب يوسف يقدمونه في الاحتفالات الرسمية. وكان كثير من الناس يصنعون الخمر في بيوتهم خاصة في الريف (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٢٤١ وام يليها).

* ولا تزال الربعة القرآنية محفوظة بمكتبة ابن يوسف بمراكش (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى محمد المنونى، تاريخ الوراقة المغربية، الرباط، ١٩٩١، ص ٣٧ : ٣٨ - المنونى، تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، مجلد ١٥، ١٩٦٩، حـ١، ص ٣ - ٤١.

٣٦٥- عن مخطوطة السلسل العذب للحضرمى، ارجع الى محمد المنونى، تاريخ الوراقة المغربية، ص ٦٣. ولمزيد من التفاصيل عن صناعة الورق والوراقة، ارجع الى عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٢٢٨ وما يليها. وقد أدت العناية بالكتب إلى تطوير صناعة التسفير - التجليد - وقد وصلنا كتاب عن هذه الصناعة ألفه أحد المشتغلين بها عند الموحدين، وهو كتاب «التيسير في صناعة التسفير» لبكر بن ابراهيم الاشبيلى، نشره الاستاذ عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد، المجلد ٧، ٨، ١٩٥٩، ١٩٦٠، ص ١- ٤٢. وإلى جانب الزخرفة والتزويق والتلوين والتذهيب فقد تفرد القرن السادس الهجرى باستعمال السكين فى التسوية ومحاولة القضاء على أرضة الكتب بطبخ نشا الأغرية فى أصول العلقم أو تبخير الكتب باعضاء الهدهد وريشه. وأعظم أثرين فى التجليد الموحدى هما مصحف ابن تومرت ومصحف الخليفة عثمان بن عفان. (لمزيد من التفاصيل ارحع إلى كتابى، اضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقاً وغرباً، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص ٥٠ وام يليها - عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٢٢٨ وما يليها).

٣٦٦- وخير مثال للمكتبات التى وجدت فى الربط الاسلامية، مكتبة رباط المنستير وكانت عبارة عن غرفة كبيرة حولها مصاطب مبنية يجلس عليها المطالعون وفى جوانبها طاقات مفرغة بالحائط توضع فيها المخطوطات. (لمزيد من التفاصيل، ارجع الى محمد الامين بلغيث، الربط بالمغرب الاسلامى، ص ٢٦٩ - ٢٧٨).

٣٦٧- ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص ٢٠٢.

٣٦٨- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٨، راجع نص الظهير فى كتاب محمد عبد الله عنان، العصر الموحدى، ص ٧٣٨.

٣٦٩- ليون الأفريقي، وصف افريقيا، ص ٢٠٢.

٣٧٠- الاستبصار، ص ١٤٠.

٣٧١- الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٣.

٣٧٢- شارل اندرى چوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالى، البشير بن سلامة، تونس، ١٩٧٨، حـ٢، ص ١٦٠.

٣٧٣- لمزيد من التفاصيل، ارجع إلى عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٢٥٣.

٣٧٤- Antonio Vives y Escudero, Monedas De Las Dinastias Arábigo - Espanolas, Madrid, 1893, p 349.

عز الدين موسى، الموحدون فى المغرب الإسلامى، ص ٢٩٥.

٣٧٥- ليس لدينا ما يؤكد إذا ما كان المهدى هو أول من سك العملات الموحدية. (راجع المناقشات لرأى ابن خلدون، وابن الخطيب فى كتابات عز الدين

موسى، المرجع السابق، ص ٢٩٤). ويذهب معظم المؤرخين إلى القول بأن عبد المؤمن بن على هو أول من سك عملة موحدية، وربما حدث ذلك فى حياة المهدى بعد ان اختاره خليفة فى حياته ولقب بأمير المؤمنين، وقد اهتم الموحدون بضرب عملات صغرى اساسها الدرهم، منها نصف درهم، وربع وثمن (عبد الواحد المراكشى المعجب، ص ٢٠٧) واصغر وحدة فى الدرهم هى الخراريب لتسهيل التعامل بين الناس. ومن أمثلة ما كان ينقشه الموحدون على العملة أنهم كانوا يرسمون على أحد الوجهين «لا إله إلا الله، الأمر كله لله، لا قوة إلا بالله» وكان على الوجه الآخر فى سطور ثلاثة «الله ربنا محمد رسولنا المهدى أمامنا» (عز الدين موسى، الموحدون فى المغرب الاسلامى، ص ٢٩٥). غير أن المأمون اسقط عبارة «المهدى إمامنا» عندما اسقط رسوم المهدية ونقش مكانها عبارة «القرآن آمامنا». وكانت مسكوكات الموحدين غالباً لا تحمل سنوات الضرب ولا مكانه (حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، تونس ١٩٦٤ - ١٩٦٦، ق١، ص ٤٥٥ وكانت فاس عدوتا القرويين والأندلس هى مقر سك العملة الموحدية ثم نقلها الناصر الى قصبة فاس سنة ٦٠٠ هـ ولكن دار السكة لم تقتصر على العاصمة أو بلد واحد بل أنشئت دور لسك العملات الموحدية فى كثير من البلاد (عز الدين موسى، المرجع السابق، ص ٢٩٦).

٣٧٦- من انصار الرأى الأول (شارل اندرى چوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ص ١٦١). ويذكر عز الدين موسى أن المدن الايطالية كانت فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى اكثر ارتباطاً من حيث التجارة مع المشرق عنها مع المغرب وذلك بسبب الامتيازات التى حصلوا عليها فى المشرق فى بداية الحركة الصليبية والمخاطر التى كانوا يواجهونها فى التجارة المغربية. ولكن تجار بيزا شرعوا فى تثبيت اقدامهم فى تونس وبجاية وسواحل المرابطين المتوسطية ونقل السلع من صقلية إلى البلاد الشرقية، وربطوا البلاد الشرقية ببيزا والمشرق

تجارياً. وفى هذا الوقت كانت قلة من تجار جنوة تتاجر مع البلاد الشرقية وحدها. ولكن فى العصر الموحدى، حدث تقلص مؤقت لتجارة جنوة مع المشرق سنة ١١٦٣م بسبب الحرب مع بيزا، مما دفع جنوة إلى الاتجاه نحو التجارة المغربية، منتهزة فرصة الأمان الذى فرضه الموحدون والامتيازات التى منحوها لتجارها فسيطرت جنوة على التجارة البحرية المغربية، واتسع حجم التبادل التجارى فى المغرب وجنوة، وكان فى بداية الأمر محصوراً فى بجاية وتونس وطرابلس وقابس مع التركيز على بجاية، ولكن التجارة امتدت حتى شملت جميع مراسى المغرب إلى سلا. (عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٢٩٠ وما يليها).

٣٧٧- ولكنه منع عليهم أن يصدروا القمح والسلاح والخيل والجلود للمغرب (محمد المنونى، ورقات، ص ١٠٨).

٣٧٨- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (محمد المنونى، المرجع السابق، ص ١٠٨).

٣٧٩- عن مراسى المغرب زمن المرينيين انظر الى المرجع السابق، ص ١٠٨).

٣٨٠- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٣٤٩- ٣٥٤ - عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٣١٢.

٣٨١- محمد الأمين بلغيث، الربط، ص ٢٤٠.

Manuela Marin, El Ribat, p 122 - 129.

وتذكر مانويلا مارين أن مصادر الدخل فى الأربطة الاسلامية، كانت متعددة أولهما الثروات الشخصية للمرابطين كما أن بعضهم كان ينتمى إلى طبقات اجتماعية رفيعة المستوى، وفى حالة متيسرة من المال ومنها الهبات التى كان يقذفها الحجاج لنزلاء هذه الحصون والأربطة كما أوقفت فى كثير من الآحيان الأوقاف لصالح هذه الأربطة.

٣٨٢- يذكر هنرى تيراس أن الموحدين تحت قيادة عبد المؤمن بن على ابدوا اهتماماً شديداً بالرباط القديم (رباط بورقراق) اعتقاداً منهم بأن هذه البقعة أرضاً مباركة كان يجتمع فيها المجاهدون فى سبيل الله ضد برغواطة "Terrasse, L'Art hispano - Mauresque, des origines au XIlle, siecle, Paris, 1932, p 285.

Terrasse, op. cit, p 287 Caillé, La Ville, p 83 *

٣٨٣- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Caillé, Ibid, p 83,84 - عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٦٦.

٣٨٤- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Caillé, Ibid, p 83 - 86

٣٨٥- Ibid, p 89.

٣٨٦- Ibid, p 93.

٣٨٧- Ibid, p 95.

وقلعة آمرجو: تقوم على نشز من الأرض، يشرف على وادى ورغة المتفرع من وادى سبو جنوبى قلعة بنى تاودا. وهى من أروع أمثلة العمارة الحربية فى المغرب فى عصر المرابطين، وتتداخل فى بنائها التقاليد المحلية مع التأثيرات الأندلسية التى تدفقت على المغرب الاسلامى فى عصر على بن يوسف (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Terrasse, La Forteresse, Almoravide d' Amergo, Al Andalus, vol VIll, p 389 - 400 - Terasse, L' Art hispano- Mouresque, p 226 - Marçais (Georges), L'architecture musulmane d' Occident , Paris, 1954. p 219

السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، الاسكندرية، بدون تاريخ،

ص ٦٧٩ - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الرباط، ١٩٩٣، حـ٢، ص ١٢١).

٣٨٨- Terrasse, L'Art hispano - Mauresque, p 290

٣٨٩- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Caillé, op. cit, p 93 - 96

٣٩٠- ويذكر بوچندار في مقدمة الفتح، ص ٤٦، والناصرى فى مخطوطه بالخزانة الصبيحية أن بوابة القصبة الرئيسية كان يطلق عليها اسم «باب الساباط» (نفسه ص ١٦٨).

٣٩١- Caillé, op. cit, p 96

٣٩٢- Ibid, p 97

٣٩٣- Terrasse, L'Art hispano - Mauresque, p 294

٣٩٤- Caillé, op. cit, p 99

ويشبهها يتراس في ذلك بأبواب مدينة رباط الفتح نفسها ذات الباشورات والممرات المنكسرة، من ذلك باب الرواح (Terrasse, L'Art, p 294 - 295) ويؤكد بوچندار ذلك الهدف العسكرى من وراء تأسيس القصبة وذلك من خلال ما هو مكتوب على بابى الساباط من الآيات القرآنية المؤذنة بالجهاد والفتح كآية ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ المنقوشة على باب القصبة القبلى بالخط الكوفي وكتب على بابها الشرقى ﴿يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله﴾ إلى قوله تعالى وبشر المؤمنين «بوچندار، مقدمة الفتح، ص ٤٦.

٣٩٥- Terrasse, L'Art, p 290, Caillé, la ville, p 100

٣٩٦- Caillé, Ibid, p 100

٣٩٧- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Ibid, p 100 - 103

٣٩٨- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Ibid, p 103 - 109

٣٩٩- Ibid, p 109 - 110

٤٠٠- Ibid, p 110

٤٠١- البيذق، اخبار المهدى بن تومرت، ص ١٣٢ .

٤٠٢- ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٨ .

٤٠٣- عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١١٩ .

٤٠٤- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٣٥٩.

٤٠٥- Caillé, La Ville, p 255 - عبد الهادى التازى، المن بالامامة ص ٤٤٦ حاشية(١).

٤٠٦- Caillé, op. cit, p 112

٤٠٧- يعرف علماء الآثار المتخصصون هذا الأسلوب فى البناء باسم (آدية وشناوى).

٤٠٨- Caillé, op. cit. p 112 - 114

٤٠٩- لمزيد من التفاصيل ارجع الى Ibid, p 114

٤١٠- Ibid, p 114 وارجع كذلك إلى مخطوط الناصرى بالخزانة الصبيحية، ص ١٤٧.

٤١١- Caillé, la ville, p 114 - عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٣

- محمد محمد الكحلاوى، العمارة الإسلامية فى الغرب الإسلامى، عمائر الموحدين الدينية فى المغرب - دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص ٣١٩.

٤١٢- Caillé, la ville, p 115

٤١٣- اعاد السلطان سيدى محمد بنعبد الله بناءه ونقش على المحراب نصاً قرآنياً نطالع فيه ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ غير أن سقف المسجد لم يلبث أن تصدع، فأعيد بناء اسقفه وأزيلت عنه النقوش الكتابية الجصية التى كان يزدان بها المحراب، وكان المحراب القديم أكبر مما هو عليه الآن، ويرجع السبب فى ذلك إلى تساقط عقوده وسقفه، فقد أعيد بناء المسجد على مساحة أقل مما كان عليها وذلك لقلة عدد سكان القصبة آنذاك وقصور أموال أوقاف المسجد، وقد تسببت هذه التغيرات فى فقدان المسجد لعنصر التنسيق (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (عبد الله الجراوى، ورقات فى اولياء الرباط ومساجده وزواياه، الدار البيضاء، ١٣٩٩، ص ٤٨) وعبد العزيز بن عبد الله، مسجد القصبة، مقالة فى مجلة اللسان العربى، يناير، ١٩٧٢، ص ٢٥١، ٢٥٢ - محمد محمد الكحلاوى، العمارة الاسلامية فى الغرب الاسلامى، ص ٣٢١).

٤١٤- Caillé, la ville, p 114

٤١٥- Ibid, p 115 - محمد محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٣٢٢.

٤١٦- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Caillé, Ibid, p 115 - الكحلاوى، نفسه، ص ٣٢٢.

٤١٧- الكحلاوى، نفس المرجع، ص ٣٢٢. ويذكر Caillé أن المئذنة ظلت منفصلة تماماً عن بيت الصلاة حتى سنة ١٩٤٠ ولكنها اليوم ترتبط به عن

طريق ساباط يمتد من الخارج بحذاء جدار القبلة. ولمزيد من التفاصيل عن المآذن الموحدية ارجع إلى (صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى، دراسة معمارية وفنية، الجزائر، ١٩٨٦، ص ٤٨).

٤١٨- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص ٤٨ وما يليها.

٤١٩- لمزيد من التفاصيل الفنية والوصف المعمارى الدقيق للمسجد من الداخل ارجع إلى Caillé, la ville, p 117 - 120 - محمد محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٣٢٣ - ٣٢٩.

٤٢٠- بوچندار، مقدمة الفتح، ص ١٢٤ - عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١١٩.

٤٢١- عبد الله السويسى، المرجع السابق، ص ١٣٨.

٤٢٢- نفسه، ص ١٣٩.

٤٢٣- Caillé, la ville, p 118 - 119

٤٢٤- Terrasse, L' Art hispano Mauresque, p 294

٤٢٥- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٢٦٦ - الاستبصار، ص ١٤٠ - محمد على ابن دنية، مجالس الانبساط، ص ٣٩ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص ٧٥٠ - شارل اندرى چوليان، تاريخ افريقيا الشمالية ص ١٦٥ - Janet Abu Lughod, Rabats, p 56

٤٢٦- Caillé, la ville, p 125 عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١١٣.

٤٢٧- Caillé, la ville, p 125 - السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١١٤.

وقد سجل كايبه Caillé أطوال الأبواب والمسافات بينها على النحو التالى:

القطاع الغربي:

المسافة من برج الصراط إلى باب العلو	٥٤٤,٣٣ متراً
ارتفاع باب العلو	١٩,٢٠ متراً
المسافة بين باب العلو إلى باب الحد	٥٠٥,٢٣ متراً
ارتفاع باب الحد	٢١,٩٦ متراً
المسافة من باب الحد إلى باب الرواح	١٠٢١,٧٣ متراً
ارتفاع باب الرواح	٢٨,٠١ متراً

المسافة من باب الرواح الى الطرف الجنوبي من ثكنة الحامية السوداء ٥٩٠ متراً

المسافة من الطرف الجنوبي من الثكنة إلى القسم الذى يحاذى القصر الملكى وملحقاته ٧٧٥ متراً.

القطاع الجنوبي:

القسم الممتد بطول الطريق الذى كان يسمى طريق چيوميه	٧٩٢,٢٧ متراً
ارتفاع باب الزعير	١٨,٦١ متراً
القسم الممتد بطول طريق بورقراق ولازال باقياً	٨٧٣,٤٥ متراً
القسم الممتد بحذاء طريق بورقراق (وقد دمر نهائياً)	٧٣,٤١ متراً
ويبلغ جملة محيط السور	٥٢٦٣,٢٠ متراً

٤٢٨ – Caillé, la ville, p 126 - Terrasse, l'Art, p 292- 293

ويذكر د. عثمان عثمان اسماعيل ان بحث الموحدين عن أساليب جديدة

لتقوية صلابة الطابية تكشف عن أهدافهم فى التوسع العمرانى ورغبتهم الملحة فى سرعة الانجاز والاقتصاد فى النفقات مع الصلابة التى تقاوم الزمن فيما اقدموا على تشييده من أسوار وجدران وحصون ومؤسسات ضخمة.

(عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى، حـ٣، ص ١٢٣).

٤٢٩- Caillé, Ibid, p 126. ولكن طبقة الملاط التى كانت تغطى السور فى وجهيه الداخلى والخارجى تساقطت فى الوقت الحاضر فى أجزاء متعددة من السور فظهر البناء بالطابية الذى اتخذ لون الأرض مع مرور الزمن.

٤٣٠- Terrasse, l'Art, p 293، ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى Caillé, p 127.

٤٣١- Ibid, p 128 – عبد الله السويسى، ص ١١٣.

٤٣٢- ارجع إلى الحاشية السابقة.

٤٣٣- Caillé, La ville, p 128

٤٣٤- Ibid, p 128

٤٣٥- Terrasse, l' Art, p 290

٤٣٦- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Caillé, La Ville, p 129

٤٣٧- Ibid, p 130

٤٣٨- Ibid, p 131 - 132

Terrasse, l'Art, p 290

٤٣٩- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، حـ٣، ص ١٢٣.

٤٤٠- Caillé, la ville, p 133 - السويسى، ص ١١٥.

٤٤١- ويذكر الاستاذ عبد الله السويسى بعض الأسماء الأخرى لهذه الأبواب على النحو التالى مثل باب الجديد أو باب التبن، الذى تقوس فى سنة ١٢٠٥ هـ وقد اختفت معالمه بالهدم مع دار البارود عندما قامت المصالح البلدية بتوسيع السوق المركزى الحالى، وباب البوبية المؤدى إلى جامع مولاى سليمان وباب شالة المؤدى إلى الجامع الكبير ومجموعة مدارس محمد الخامس، جدده السلطان مولاى سليمان فى ١٦ جمادى الثانية عام ١٢٢٨ هـ. وفى العصر الحديث (أوائل الاحتلال) فتح باب التيليغراف المؤدى إلى وقاصة والملاح وشارع القناصل، وسمى بذلك لمجاورته لمركز اللاسلكى قبل بناية البريد الجديدة. وباب الملاح الجديد قرب برج سيدى مخلوف، حيث يوجد بداخل السور السوق المعروضة للفواكه والخضروات والاسماك والطيور. كما أشار إلى أبواب السور العلوى مثل باب القبيبات وباب تامسنا أو باب تمارة الذى اختفت معالمه بسبب التطور العمرانى، وباب المصلى. ومن الأبواب المحدثة باب القنانيط أو باب البحر وباب تقويسة الراعى الذى يحمل كتابات يرجع تاريخها إلى عهد السلطان سيدى محمد بنعبد الله وباب آخر يعرف باسم تقويسة الطرافة (الاسكافيين) جدد فى عهد السلطان مولاى عبد العزيز عام ١٣١٥هـ.

ومن الأبواب الثانوية الحديثة باب الجزاء على طريق العلو الذى هدم بعد الاستقلال لتسهيل حركة المرور، وباب سيدى فاتح على طريق العلو كذلك، وباب درب مولاى عبد الله كذلك، وباب سيدى محمد الضاوى على ساحة سوق العزل.

٤٤٣- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية، حـ٣، ص ١٢٧

هذا وقد أشار الناصرى فى مخطوطه بالخزانة – Terrasse, l'Art, p 294 الصبيحية أن القنصل المؤرخ شينيه Chenier كان يطلق على باب العلو «باب البحر» وباب مراكش على «باب الأحد» وباب شالة على «باب زغير» (الناصرى، نفسه، ص ١٧٢ ، ١٧٣).

٤٤٤- لمزيد من التفاصيل عن مادة بناء أبواب سور رباط الفتح، ارجع إلى المرجع السابق، ص ٢٩٥- وعن باب العلو مادة بنائه ارجع إلى Caillé, la ville, p 134, 135.

٤٤٥- Caillé, Ibid, p 135

٤٤٦- Ibid, p 136

٤٤٧- Ibid, p 136 - 138 – عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة، حـ٣، ص ١٢٧.

٤٤٨- Caillé, Ibid, p 139

٤٤٩- Ibid, p 139

٤٥٠- Terrasse, L'Art p 296

٤٥١- Caillé, La ville p 140

٤٥٢- Terrasse, L' Art, p 297 - Caillé, la ville, p 141

عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة، حـ٣، ص ١٢٨.

٤٥٣- Caillé, Ibid, p 141

٤٥٤- Terrasse, p 297

٤٥٥- Caillé, Ibid, p 141

٤٥٦- Caillé, p 142

٤٥٧- Ibid, p 145 - الناصرى، مخطوط الخزانة الصبيحية، ص ١٧٣ - عبد الله السويسى، المرجع السابق، ص ١١٥

٤٥٨- محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٨٦.

٤٥٩- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية، حـ٣، ص ٢٠٩.

٤٦٠- عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٢٥ - عثمان عثمان اسماعيل، مجلة دعوة الحق، عدد السنة ١٩٦٢، ص ٣٩ وما يليها.

٤٦١- ليوبولدو توريس بالباس، الفن المرابطى الموحدى، القاهرة، ١٩٧١، ترجمة د. سيد مصطفى غازى، ص ١٧.

ويذكر الدكتور عثمان عثمان اسماعيل أن مسجد حسان بالرباط لا يكبره من مساجد الاسلام سوى المسجد الجامع بسامرا (عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى، حـ٣، ص٢٠٩.
وارجع كذلك إلى (Janet Abu Lughod, Rabats, p 57)

٤٦٢- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٢٦٦.

٤٦٣- Marçais (Georges), l'Architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954, p 209

٤٦٤- Caillé, Mosqueé De Hassan ARabat, Paris, 1954, p8- .... 94.

٤٦٥- Dieula Foy, la Mosquée De Hassan, Paris, 1914, p 10- 65.

٤٦٦- توريس بالباس، الفن المرابطى الموحدى، ص ١٧ وما يليها.

٤٦٧- Julues (B.) La mosquée D'Hassan De Rabat, a-t-elle ete achevee dans la revue, France-Maroc, 1925, p 103-126.

٤٦٨- Roymond, La mosquée et la Tour Hassan á Rabat dans Bulletin de la societé Française des ingenieurs Coloniaux, 1922, p 80 - 92.

٤٦٩- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، ص ٧٦٣ وما يليها.

٤٧٠- صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى، الجزائر، ١٩٨٦، ص ٨٦ وما يليها.

٤٧١- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، حـ٣، ص ٢٠٩ وما يليها.

٤٧٢- محمد محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٨٦ وما يليها.

٤٧٣- بوجندار، مقدمة الفتح، طبقة الجريدة الرسمية، الرباط، ١٣٤٥، ص ١٠٩- عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٢٥ - محمد محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

٤٧٤- ابراهيم حركات، مجلة دعوة الحق، العدد ١ ص ٣٩ - عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٢٥، الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

٤٧٥- Caillé, Mosquée De Hassan á Rabat, Paris, 1954, p 11

٤٧٦- محمد محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٨٨.

٤٧٧- نفسه، ص ٢٨٨

٤٧٨- Dieula Foy, p 19

ويرى ديلافوى ان بناء الجامع ارتبط بحملة المنصور إلى الأندلس بينما كان بناء المئذنة أو الصومعة لاحقاً لها وان بناء المسجد قد شرع فيه سنة ٥٨٥ هـ أى قبل الغزو الأول إلى الأندلس وفى هذه الحالة يكون البناء قد استمر عشرة اعوام من سنة ٥٨٥ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ أما المئذنة فقد شرع فى بنائها سنة ٥٩٣ هـ.

ويؤكد Caillé أن ربط بناء الجامع بحملة الأرك ليس منطقياً ففى تلك الفترة الوجيزة فى عامى ١١٩٦م، ١١٩٧م (٥٩٣ - ٥٩٤ هـ) لا يمكن بناء جامع بتلك الفخامة، ويرجع كابيه بناء الجامع وصومعته الى نفس عصر بناء مدينة رباط الفتح.

٤٧٩- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت ١٩٦٠، ص ٣٨٠.

٤٨٠- محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٩٠.

٤٨١- الحسن الوزان (ليون الافريقى)، وصف افريقيا، ص ٢٠٢.

٤٨٢- محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٩١.

٤٨٣- عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٢٩- ١٣١ - وعن عدم استكمال بناء الجامع ارجع إلى (Janet Abu Lughod, Rabats, p 57.)

ويذكر الناصرى صاحب مخطوط سلا ورباط الفتح بالخزانة الصبيحية أن البناء ارتفع عن مسجد حسان بعد وفاة المنصور ولم يلتفت اليه أحد فحل عليه الخراب وانشغل الخلفاء الموحدون بعد ذلك بالحروب فيما بينهم.

٤٨٤- Dieula Foy, op, cit, p 28 - محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٩٣.

٤٨٥- Terrasse, Le plan de la mosquée De Hassan, dans comptes Rendus de l' Academie des inscriptions et Belles, 1951, p 26.

٤٨٦- محمد محمد الكحلاوى، المرجع السابق، ص ٢٩٤.

٤٨٧- نفسه، ص ٢٩٤ - ٣١٦.

٤٨٨- من انصار هذا الرأى Caillé, la mosquée, p 48 ود. السيد عبد العزيز سالم، المغرب فى العصر الإسلامى، ص ٣١٦ ود. عثمان عثمان اسماعيل تاريخ العمارة، حـ٣، ص ٢٠٩.

٤٨٩- Marcais, L'architecture, p 209 - السيد عبد العزيز سالم، المغرب فى العصر الإسلامى، ص ٧٦٤ - عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة حـ٣، ص ٢١٢.

٤٩٠- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة، حـ٣، ص ٢٠٩.

٤٩١- والمقصود بالروائع الثلاث الصوامع الثلاثة، الكتبية والجيرالدا وحسان- عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال فى اسبانيا والبرتغال، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٥١ - صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى، الجزائر، ١٩٨٦، ص ٦٨.

٤٩٢- Caillé, la mosquée, p 94 - صالح بن قربة المرجع السابق، ص ٦٩

٤٩٣- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص ٧٠.

٤٩٤- السيد عبد العزيز سالم، المغرب فى العصر الاسلامى، ص ٧٠. ولمزيد من

التفاصيل عن المئذنة وزخارفها ارجع إلى صالح بن قربة، المرجع السابق، ص ٦٨ وما يليها.

٤٩٥- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية، حـ٣، ص ٢١٢.

٤٩٦- سالم، تاريخ المغرب الاسلامى، ص ٣٣٦ - ٣٤٨.

٤٩٧- الخرازون هم صناع الأحذية (عثمان عثمان اسماعيل، وتاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الرباط، ١٩٩٣، حـ٤، ص ١٦٤). وقد استمر هذا الاسم بسبب وقوعه عند ملتقى شارع باب شالة بسوق الرباط.

٤٩٨- عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٣٤.

٤٩٩- محمد بن على بن أحمد دنية، مجالس الانبساط، ص ٤٧ - السويسى، ص ١٣٤- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة، حـ٤، ص ١٦٤. ويميل المؤرخ محمد بن على دنية الى نسبة هذا المسجد الى بنى مرين لوجود المارستان العزيزى المرينى قربه أمام أبوابه الغربية.

٥٠٠- بوچندار، مقدمة الفتح، ص ١١٤.

٥٠١- عثمان عثمان اسماعيل، تاريخ العمارة، حـ٤، ص ١٦٩.

ويذكر الناصرى فى مخطوط سلا والرباط أن هناك اسطورة بشأن الجامع الكبير تشير إلى أن سيدة كانت قد تطوعت ببنائه ولما ماتت دفنت بمحرابه ولا يُعرَف تاريخ هذه السيدة ولا اسمها ولا عصرها ولكن لما جدد المحراب واعيد بناؤه لم يعثر على أى أثر لهذا الخبر المزعوم (الناصرى، مخطوط سلا ورباط الفتح، ص ٣١٧).

٥٠٢- عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، حـ٤، ص ١٦٤.

٥٠٣- لمزيد من التفاصيل عن التطورات والتجديدات التى طرأت عليه فى العصر الحديث ارجع إلى (عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٣٥).

٥٠٤- الناصرى، مخطوط سلا ورباط الفتح، ص ٣١٨.

٥٠٥- بوچندار، مقدمة الفتح، ص ١٣٧ - السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ١٣٨ وعن أهتمام السلطان أبى عنان بن أبى الحسن المرينى ببناء المارستانات فى كل بلد من بلاده وتخصيص الأوقاف الكثيرة لعلاج المرضى وتعيين الأطباء لمعالجتهم ارجع الى (محمد بن على الدكالى، الاتحاف الوجيز، ص ٦١). ويذكر الناصرى صاحب مخطوط سلا ورباط الفتح أنه كان هناك سلطانان من بنى مرين يحملان اسم عبد العزيز، الأول هو عبد العزيز بن أبى الحسن (٧٦٧ هـ - ٧٧٤ هـ) والثانى هو عبد العزيز بن أبى العباس بن أبى سالم (٧٩٦ - ٧٩٩ هـ). ويرجح الناصرى أنه عبد العزيز الأول الذى رحل من فاس إلى مراكش مرتين، مرة لمحاربة الأمير ابى الفضل بن ابى سالم الذى كان ثائراً عليه ومرة لمحاربة عامر بن محمد الهنتاتى حتى ظفر به، ماراً برباط الفتح. ويعتقد الناصرى أنه بنى المارستان أو المدرسة فى ذلك الوقت. ويستبعد الاحتمال الثانى بأن يكون عبد العزيز الثانى هو مشيد المارستان، فقد كانت مدته قصيرة ولم يعرف عنه قيامه بعمل مهم فى الدولة (الناصرى، المخطوط السابق، ص ٣٢٢).

٥٠٦- الناصرى، المخطوط السابق، ص ٣٢٣.

٥٠٧- السويسى، ص ١٣٩.

٥٠٨- محمد بن على دنية، مجالس الانبساط، ص ٤٧، السويسى، ص ١٤٠.

٥٠٩- مخطوط الناصرى، ص ٣٢٤ - وقد نقل بوچندار فى مقدمة الفتح نص ما وجد على تلك اللوحة الرخامية (ارجع الى مقدمة الفتح، ص ٣٥.

٥١٠- ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، طبعة بيروت، حـ٧، ص ٩.

٥١١- الناصرى السلاوى، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، الدار البيضاء، ١٩٥٤ حـ٢، ص ١٨١ - وارجع كذلك إلى محمد بن على دنية، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، الرباط، ١٩٨٦، ص ٤٢.

٥١٢- عبد الواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٦٦.

٥١٣- يذكر بعض المؤرخين ومنهم الدكتور محمد الأمين بلغيث أن الخليفة المنصور الموحدى أراد ببنائه جامع حسان على غرار منار الاسكندرية واتمامه بناء المدينة على نفس نسق المدينة المصرية، منافسة مدينة الاسكندرية (محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى ودورها فى عصرى المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، اشراف عبد الحميد حاجيات، الجزائر، معهد التاريخ، ١٩٨٧، ص ٣١٧.

٥١٤- قصبة الودايا هى موضع القصبة الأولى التى بناها الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على على انقاص رباط تاشفين بن على.

٥١٥- عن برغواطة ارجع إلى سحر سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامى، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص ١- ١٠٠.

٥١٦- ابن صاحب الصلاة، وتاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق د. عبد الهادى التازى، بيروت، ١٩٦٤، ص ٤٤٧.

٥١٧- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٣٥٩.

٥١٨- Henri Terrasse, L'Art Hispano- Mauresque Des Drigines au XIIIe Siecle. Paris, p 288.

وإن كانت الباحثة جانيت أبو لغد لا ترى أى تشابه بين المدينتين وتعتبر أن ما ذكره المؤرخون عن أوجه هذا الشبه إنما هو من قبيل الدعاية لمدينة رباط الفتح لتركيز الأنظار عليها وعلى ما قام به المنصور الموحدى عندما اهتم ببنائها (Janet Abu Lughod, Rabats, p 56- 57.

وفى تصورى أن ما أوردته الباحثة أبو لغد مبالغ فيه، ومجافٍ للحقيقة التاريخية فما جدوى ما يذكره ابن خلكان وهو مؤرخ مشرقى من تسليط الأضواء على مدينة رباط الفتح وتشبيهها بمدينة الاسكندرية اللهم إلا إذا كانت هناك أوجه تشابه بين المدينتين، وهذا ما سنحاول ابرازه وتوضيحه على الصفحات التالية.

٥١٩- زكى على، الاسكندرية، تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها فى عصر البطالمة، مجلة كلية الآداب، الاسكندرية، ١٩٤٤، المجلد الثانى، ص ١٢١ - ١٢٢ - محمد عواد حسين، مقال عن تخطيط المدينة فى كتاب محافظة الاسكندرية، ص ١٣ - السيد عبد العزيز سالم، تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها فى العصر الاسلامى، بيروت، ١٩٦٣، ص ٣٩ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى، الاسكندرية، ١٩٨٢، ص ١٣ - مصطفى العبادى، مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، الاسكندرية، ص ٢٠.

٥٢٠- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ١٣.

٥٢١- Breccia. Alexandria ad Eegyptum. Bergamo, 1922, p 78.

* Jacques Caillé, La Ville De Rabat. Paris, 1946, vol I,p

٥٢٢- لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات فى تاريخ مصر، عصر البطالمة، الاسكندرية ١٩٦٧، ص ٢٦٤.

٥٢٣- Breccia, Alexandria, p 72

السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٢١.

٥٢٤- Breccia, Alexandria, p 74

٥٢٥- عن دفن الاسكندر ارجع إلى لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات فى تاريخ مصر عصر البطالمة، ص ١٢٠. وهناك رأى أخذ به بل عن دفنه في واحة سيوة Bell, Egypt From Alexander the Great to the Arab conquest p 32 وقد تردد هذا الرأى من جديد بعد أكتشاف مقبرة مقدونية كبيرة في واحة سيوة، رجحت رئيسة البعثة الأثرية اليونانية التى اكتشفتها أنها للأسكندر، أو مقبرة وهمية له، ولا زال البحث جارياً لحسم هذه القضية، وأن كان أغلبية العلماء يرجحون دفنه بالاسكندرية.

٥٢٦- لطفى عبد الوهاب، عصر البطالمة، ص ١٢٢ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية ص ٢٢.

٥٢٧- لطفى عبد الوهاب، نفسه، ص ١٢١، ١٢٢.

٥٢٨- المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ، القاهرة، ١٩٥٨، تحقيق محى الدين عبد الحميد، حـ١، ص ٣٧٣.

٥٢٩- ابن جبير، رحلة ابن جبير، تحقيق وليم رايت، ليدن، ١٩٠٧، ص ٤١.

٥٣٠- رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن يتخذ قائده عمرو بن العاص الاسكندرية عاصة لمصر فى العصر الاسلامى لعدة اعتبارات منها أن الاسكندرية مدينة ساحلية، والعرب كانوا لا يزالوا بعد حديثى عهد بالدفاع

عن السواحل الاسلامية بوسائل بحرية كاستخدام السفن الحربية فى محاربة أساطيل الروم، وحرصاً منه على القرب من المصريين الذين احسنوا استقبال العرب الفاتحين، فلو اتخذ العرب الاسكندرية عاصمة لهم وهى التى كان ينظر اليها ابناء مصر على أنها عاصمة احتلال اجنبى، لاعتبر المصريون العرب حلقة جديدة من حلقات الاحتلال الأجنبى، وكذلك لاعتبار ادارى حيث ان الاسكندرية بعيدة عن الصعيد، فى حين أن موقع مدينة الفسطاط التى أسسها عمرو بن العاص واتخذها حاضرة لمصر يتيح لها أن تكون فى قلب مصر فهى أفضل ادارياً من الاسكندرية المتطرفة (لمزيد من الاسباب عن عدول العرب من اتخاذ الاسكندرية عاصمة لمصر الاسلامية، وارجع الى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٥٨ وما يليها).

٥٣١- البيذق، اخبار المهدى بن تومرت، ص ١٣٢.

٥٣٢- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٢٦٦.

٥٣٣- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٩.

٥٣٤- تتشابه كل من مدينتى القاهرة والمهدية مع رباط الفتح فى ذلك.

٥٣٥- Terrasse, L'Art, p 288, 289

٥٣٦- البيذق، اخبار المهدى، ص ١٣٢.

٥٣٧- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٦.

٥٣٨- ابن ابى زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق توربنرج، اوبسالة، ١٨٤٣، ص ١٢٥.

٥٣٩- راجع ما ذكره ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٦- وما يليها.

٥٤٠- الاستبصار فى عجائب الامصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول الاسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٤٠ - الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩.

٥٤١- الحلل الموشية، ص ١٥٧.

٥٤٢- ابن ابى زرع، روض القرطاس، ص ١٣١.

٥٤٣- الغبرينى، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، تحقيق وعادل نويهض، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٨.

٥٤٤- محمد بوجندار، الاغتباط بتراجم اعلام الرباط، تحقيق د. عبد الكريم كريِّم، الرباط، ١٩٨٧، ص ٣٩٧.

٥٤٥- ابن عذارى، البيان المغرب، القسم الخاص بالموحدين، ص ١٦٥.

٥٤٦- المصدر السابق، ص ١٧٢.

٥٤٧- ابن الخطيب، رقم الحلل، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

٥٤٨- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ١٠١ وما يليها - السيد عبد العزيز سالم، بحوث اسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار، بحث بعنوان «تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس»، بيروت، ١٩٩٢، حـ٢، ص ٤١٩. ولمزيد من التفاصيل عن الأوصاف العديدة التى وصلتنا لهذا المنار ارجع إلى (اليعقوبى، كتاب البلدان، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية، ليدن، ١٨٩١، ص ٣٣٨ - ابن الفقيه الهمذانى، مختصر كتاب البلدان، الجرء الخامس من المكتبة الجغرافية العربية، ليدن، ١٨٨٥، ص ٨٢ - المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٧٥- ابن حوقل، صورة الأرض، تحقيق كرامرز، ليدن، ١٩٣٢، ص ١٥١ - ياقوت، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٥ حـ١، ص ١٨٣ - ابن جبير، رحلة ابن

جبير، تحقيق وليم رايت، ليدن، ١٩٠٧، ص ٤١ - رحلة بنيامين التطيلى، مدريد، ١٩١٨، ص ١١٣ - الهروى، الاشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، دمشق، ١٩٥٣، ص ٤٨ - ٤٩ الاستبصار فى عجائب الامصار، ص ٩٦ - المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ١٩٥٩، حـ١، ص ١٥٥ - بتلر، فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أو حديد، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٣٤٥.

٥٤٩- المسعودى، التنبيه والاشراف، بيروت، ١٩٦٥، ص ٤٧، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٢٧٧.

٥٥٠- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٣١، السيد عبد العزيز سالم التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامى فى مجال الفنون والعمارة والزخرفة من أبحاث كتاب «بحوث فى التاريخ والحضارة والآثار»، حـ٢، ص ٤٣٣.

٥٥١- المقريزى، الخطط، حـ١، ص ١٥٧، ١٥٨ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٣١.

٥٥٢- المسعودى، التنبيه والاشراف، ص ٤٨.

٥٥٣- السيوطى، حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة، طبعة مصر، ١٣٢١ هـ، حـ١، ص ١٧٨ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٣٢

٥٥٤- رحلة ابن بطوطة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٤٠.

٥٥٥- وهذا الموضوع يتعلق بمناقشة قضية لم تحسم بعد بين علماء الآثار، وهى قضية التشابه العام بين شكل المآذن الاسلامية، وشكل المنار السكندرى مما دفع العالم تيرش Thiersch إلى الادلاء بنظريته التى ارجع فيها أصل نظام

المئذنة إلى منار الاسكندرية، وقد تبعه فى ذلك العالم الاسبانى فيليث ارناندث خيمينث (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Felix Hernandez Gimenez, el Alminar de Abd. Rahman lll en la Mezquita Mayor De Cordoba, Genesis y Repercusiones, Granada, 1975, p 43, 133.

وقد عرض لهذه الآراء الدكتور السيد عبد العزيز سالم فى بحثه عن تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، ص ٤٢١ وما يليها. ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ كريزويل اعترض على نظرية ترش ورفض الأخذ بها وانتهى الى القول بأن أصل نظام المآذن يتمثل فى الصوامع المسيحية التى كانت قائمة فى سوريا قبل الفتح الاسلامى. (Creswell, The evolution of the minaret, Burlington Magazine, Mars, Mai Juin, 1926, p 9).

وقد أيد لفيف من علماء الآثار العرب رأى كويسويل وعلى رأسهم الدكتور أحمد فكرى (المسجد الجامع بالقيروان، القاهرة، ١٩٣٦، ص ١١١، هامش ٢) والدكتور السيد عبد العزيز سالم، المآذن المصرية، القاهرة، ١٩٥٩ ص ٨، والدكتور صالح بن قربة، المئذنة المغربية الاندلسية فى العصور الوسطى، ص ٦٩ حيث اعتبروا الأبراج السورية المصدر الذى استلهمت منه المئذنة الاسلامية بوجه عام نظامها المعمارى.

أما الدكتور سعد زغلول عبد الحميد فقد ذهب إلى أن المنار كان له تأثير على بناء أبراج الكنائس فى مصر والشام، وأن هذه الأبراج أوحت إلى المسلمين بناء مآذن المساجد (سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية منذ الفتح الاسلامى إلى بداية العصر الفاطمى، من كتاب تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور، الاسكندرية، ١٩٦٣، ص ٢٣٦).

وعاد الدكتور عبد العزيز سالم الى ترجيح تأثير منار الاسكندرية على بعض مآذن المغرب والأندلس، وسجل ذلك فى دراسته القيمة بعنوان تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس.

٥٥٦- السيد عبد العزيز سالم، تأثير منار الاسكندرية، ص ٤٢٣ وما يليها.

٥٥٧- المرجع السابق، ص ٤٢٥.

٥٥٨- Felix Hernandez, op. cit, p 113 Terrasse, l'Art Hispano Mauresque, Paris, 1932, p 321). ويجعلها تيراس ١٦ متراً

٥٥٩- Ibid, p 172

٥٦٠- هنرى رياض وآخرون، دليل آثار الاسكندرية، الاسكندرية، ١٩٦٥، ص ١٢ - زكى على، الاسكندرية، تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة منها فى عصر البطالمة، مقال بمجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، المجلد الثانى، ١٩٤٤ ص ١٦٠ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها، ص ٢٠.

٥٦١- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٢٥.

٥٦٢- المقريزى، الخطط، حـ١، ص ١٦٥.

٥٦٣- سيدة كاشف، مصر فى عصر الولاة منذ الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٥٦.

٥٦٤- السيد عبد العزيز سالم، حول الكشف عن مدخل دار الصناعة الغربية بالاسكندرية، بحث ألقى فى ندوة عن Europe and Egypt, Co-operation in Archeology symposium, 7-8 Decemer, 1994.

٥٦٥- الطرطوشى، سراج الملوك، القاهرة، ١٩٨٩ هـ، ص ٩٧ - حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٢٨ - محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط وتطوره وأهمية نظام المرابطة فى تاريخ المسلمين، من مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية، ١٩٦٨، ص ٢٧، ٢٨.

٥٦٦- آية ١٩٩ من سورة آل عمران.

٥٦٧- Manuela Marin, El Ribát en Al-Andalus y el Norte De Africa, Estudis Regionals, l Congrés de la Rapitas de l'Estat Espanyol, 7-10 setembre 1989, Sant Carles de la Rapita Tarragona. Catalunya, Espanya, 1989, p 112.

٥٦٨- حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص ١٢٨ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٩١ - Manuela Marin, op. cit, p 127.

ويذكر الدكتور ميكل دى ابالثا «أن المسلمين الذين رسخت فى نفوسهم الأهمية التى يوليها الاسلام للجهاد وما تنجم عنه من وعود بالجزاء بوصفه مسعى جماعياً للخلاص، كما تؤكد ذلك آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية، يشعرون بنوع من الاحباط بسبب عدم استطاعتهم اتمام جميع ما يسعون الى تحقيقه من الواجبات الاسلامية عن طريق الجهاد، لذا مارس المسلمون المرابطة باعتبارها نشاطاً معوضاً لعدم امكانية قيامهم بالجهاد...»

(ميكل دى ابالثا، الرباط والرابطات فى الاسماء والآثار الاسبانية، تعريب الحسين اليعقوبى، مجلة دراسات أندلسية، عدد ١٣، شعبان ١٤١٥/ جانفى ١٩٩٥، ص ٧٩).

٥٦٩- آية ٦٠ من سورة الانفال. كما أورد الدكتور محمد توفيق بلبع بعض الأحاديث النبوية عن رسول الله ﷺ تشيد بأهمية الخيل وفضائل الجهاد

والمرابطة (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى محمد توفيق بلبع، المرجع السابق، ص ٢٩).

٥٧٠- محمد توفيق بلبع، نفسه ٢٧، ٢٨، ٢٩ - محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصرى المرابطين والموحدين، ص ٣٦.

٥٧١- عرفت الأربطة في مصر الإسلامية باسم «المواحيز» وقد انتشرت على طول الساحل من العريش حتى الحدود الليبية وقد أشار الكندى فى كتاب الولاة والقضاة ص ٤١٨، ٤١٩ الى هذه المواحيز (بلبع، ص ٣٤).

٥٧٢- ابن الصباغ، فضائل الاسكندرية، نسخة مصورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، محفوظة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية رقم ٧٧٩م، ص ٤ ب- ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الامصار، طبعة بولاق، ١٠٣٩ هـ، حـ٥، ص ١١٦.

٥٧٣- ابن الصباغ، نفس المصدر، ص ٤ب، ٥ أ.

ولمزيد من هذه الأحاديث، ارجع إلى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية ص ٩٣ وما يليها.

٥٧٤- حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص ١٢٩.

ويتفق كل من الدكتور محمد توفيق بلبع والدكتور محمد الأمين بلغيث مع الدكتور حسن محمود فى أن فجر الربط والمرابطة في بلاد المغرب هى قصور طرابلس والقيروان التى كانت نقطة ارتكاز سارت منها الفتوحات الاسلامية (محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط، ص ٤٤ - بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى، ص ٩٩).

٥٧٥- حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص ١٢٩ وما يليها.

٥٧٦- Ferhat Dachraoui, Le Róle des Ribats dans le Gihad maritime en Ifrigya au mayen âge, p 179 من أبحاث ندوة

Sant Carles De la Rapita, 1989.

ويتفق الدكتور السيد عبد العزيز سالم مع الدكتور الدشراوى فى أن أول رباط أغلبى هو رباط سوسة (سالم، المغرب الكبير، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٤٩).

ولمزيد من التفاصيل عن رباطى سوسة والمنستير وتخطيطهما الداخلى ارجع إلى (بلبع نشأة الرباط، ص ٤٤ - ٥١ والدكتور السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٤٤٩ وما يليها).

٥٧٧- Jaime Oliver Asin, Origen Arabe De Rebato Arrobda y sus Homonimes, Madrid, 1928, p 19

Manuela Marin, op. cit, p 122

٥٧٨- Manuela Marin, op. cit, p 122

وقد ركزت مانويلا مارين فى بحثها على الأربطة فى تونس وعلى الأخص رباطى سوسة والمنستير وإن كانت اشارت فى بعض مواضع من بحثها عن الرباط فى الأندلس ولم تشر إلى الأربطة فى المغرب الأقصى.

٥٧٩- Manuela Marin, op. cit, p 122, 123

٥٨٠- Jaime Oliver Asin, Origen Arabe, p 17

٥٨١- راجع البحث القيم للدكتور جمعة شيخة عن الرباط فى كتب الطبقات

Jemaa Cheikha, les Ribâts d'aprés les livres de Tabaqát, Sant Carles De la Rapid, 1989- 1993

أحد ابحاث مؤتمر الرباط الاسلامى من ٧ - ١٠ سبتمبر ١٩٨٩ - قطلونية - اسبانيا.

* سحر سالم ، من جديد حول برغواطة هراطقه المغرب فى العصر الإسلامى، وكان المغرب الأقصى تتقاسمه أربعة قوى مثل ظهور المرابطين هى غمارة فى الشمال وبرغواطة فى المغرب وزنازنة تكون نطاقاً حول هذه القبائل بغير سقوط الإدارية ثم طوائف الشيعة الرافضة والوثنين فى الجنوب بتارودانت عاصمة السوس الأقصى (محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى، ص ١٤٣.

٥٨٢- هو أبو يعقوب يوسف بن يحى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلى، عرف بابن الزيات ويعتبر كتابه التشوف من أهم الكتب التى تدرس الحياة الدينية والتصوف فى عهد المرابطين والموحدين (انظر التادلى الزيات، التشوف الى رجال التصوف، نشر وتصحيح ادولف فور، مطبوعات افريقيا الشمالية، الرباط، ١٩٥٨، ص ١).

٥٨٣- السيوطى، حـ١، ص ٢١٥ - محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط، ص ٤٢.

٥٨٤- محد الأمين بلغيث، الربط، ص ٢٢٦.

٥٨٥- المرجع السابق، ص ٢٢٧.

٥٨٦- نفسه، ص ٢٢٨.

٥٨٧- محد الأمين بلغيث، الربط، ص ٢٢٩.

٥٨٨- يقول خايمى أوليفر آسين أن هذه الأربطة أو الحصون كانت تتكون عادة من فناء مركزى مع غرف للخلوة والتعبد محيطة بها، ومسجد أو بيت للصلاة وإقامة الخطب والمواعظ الدينية وبرج مرتفع أو منار للاتصال مع المناطق البعيدة ولإرسال أشارات إلى المراكز المماثلة على طول الساحل، كما يذكر أنها من الممكن أن تتخذ كدور لصناعة السفن واعدادها للقتال البحرى مثلما كان الحال فى رباط سوسة. ويرجح خايمى أوليفر آسين أن المسلمين استخدموا فى كثير من الآحيان القرى أو المبانى البيزنطية السابقة كأربطة (وارجع كذلك إلى محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط، ص ٣٠).

وكان انشاء الأربطة يعتبر من اعمال االبر. وقد شارك الخلفاء والناس من مختلف الطبقات فى أعمال ترميم وصيانة الأربطة، وكانت الأربطة تتلقى المعونات السخية من كل طبقات وفئات المسلمين، ووجدت فى كثير من الأحيان ببعض الأربطة شواهد وأضرحة لشخصيات اسلامية هامة فتحولت حينذاك الى زوايا حيث يعيش هؤلاء المرابطين حول قبر أحد الابطال المسلمين أو الصحابة. وفى بعض هذه الزوايا كانت توجد قاعة تستخدم كمسجد، وقاعة ثانية لتدريس العلوم الدينية، وثالثة تتخذ كمدرسة أولية، ورابعة ليجلس فيها الطلاب لحفظ واتقان دروسهم كما كانت توجد غرفة لاستقبال المسافرين الذى لا عائل لهم، كما كانت توجد مقبرة للأشخاص المتدينين وخان أو فندق يقيم فيه النزيل بالمجان و (Jaime Oliver Asin, Origen Arabe de Rebato, p 16-18).

وكان الدكتور محمد توفيق بلبع قد ذكر انه لم تصل الينا صورة واضحة لما كان عليه شكل الرباط وتخطيطه بالمشرق بعكس ما هو عليه الحال بالنسبة لأربطة المغرب، ولكنه استخلص من روايات المؤرخين عن وظيفة الأربطة ومعيشة أهلها أن الرباط أقيم غالباً على مساحة مربعة أو مستطيلة الشكل، وكانت تتكون من صحن مركزى يحيط به من جوانبه الأربعة حجرات صغيرة منفصلة فى طابق أو أكثر، كما كان يحتوى على بيت للصلاة أو مسجد صغير ومنارة مرتفعة كما كانت اسواره الخارجية سميكة وعالية، وكان يشتمل على طاحون وخزان للمياه وخزان للسلاح والمؤن لاستخدامها فى مقاومة الحصار (المرجع السابق، ص ٣٠) كما اهتم الدكتور بلبع بتأكيد دور المنارات فى الأربطة الاسلامية كأبراج للمراقبة وارسال اشارات التحذير حتى انتشر بناؤها وحدها فى كثير من الأحيان دون بقية أجزاء الرباط فى مناطق عديدة من الدولة الاسلامية وقد اقتبس المسلمون هذه المنارات من أهل بلاد الهند وأطلقوا عليها اسم «المناور» التى قامت بنفس دور المنارات فكان

يخصص لها الحراس لمراقبة الاعداء وتحركاتهم بالنهار والليل لذلك عرفوا بالسمار (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى بلبع، المرجع السابق، ص ٣٢ وما يليها).

٥٨٩- كان رباط البغدادية من أكثر اربطة القاهرة شهرة، أمرت ببنائه الأميرة تذكار باى خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥م). وكان مخصصاً لاقامة السيدات المطلقات أو اللاتى هجرهن أزواجهن، وكن يخضعن فيه لنظام صارم ودقيق تحت اشراف العالمة الفقيهة زينب بنت أبى البركات المعروفة بالبغدادية التى (نسب الرباط إليها) فكانت تلقى عليهن الدروس الدينية وتعرفهن بمبادئ وأصول الدين الإسلامى (لمزيد من التفاصيل عن هذا الرباط والخانقاوات والأربطة المخصصة لكبار السن ارجع إلى محمد توفيق بلبع ونشأة الأربطة، ص ٦٤.

٥٩٠- محمد الأمين بلغيث، الربط، ص ٢٥٠، ٢٥١.

Manuela Marin, op. cit, p 122- 129.

٥٩١- محمد الأمين بلغيث، الربط، ص ٢٥٣.

٥٩٢- اهتم ميكل دى ابالثا بدراسة الرباط كمؤسسة اسلامية فى الأندلس على وجه الخصوص على أساس أن المرابطة نشاط مكمل للجهاد، وقام بدراسة المسميات الاسبانية المختلفة المشتقة من كلمة الرباط العربية مثل Rápita, Rápida, Rabita، كما قام بدراسة الهيئات والمؤسسات التى تشابهت فى وظائفها مع الرباط مثل المنستير وجمعها المنستيرات Almosteres Almonachiles - Almonastires - Almonacides فى اللغتين الاسبانية والبرتغالية، ويذكر أن أصل هذه الكلمة يونانى استعمل فى البداية للدلالة على المواضع التى يرابط فيها المسلمون باستمرار فى مجموعات يكثر عددها

أو يقل، والزاوية فى الاسبانية القديمة Zaguias، وتدل في رأيه على مصلى صغير للخلوة الروحية، والجامعة (Algimia أو Aljama فى الاسبانية القديمة) وهى مسجد يجتمع فيه الناس للصلاة، وقد فرّق دى ابالثا فى دراسته هذه بين الجيوش النظامية للدولة الاسلامية فى العصور الوسطى ولا سيما منذ عصر المرابطين (٦ هـ/ ١٢ م)وبين حشود الزهاد المسلمين المصاحبين لهم، فالجنود يمضون الى ساحة المعركة للقتال، والزهاد يذهبون للاستشهاد ولعل هذا يفسر من وجهة نظره الهزائم العسكرية التى تعرض لها الجيش الإسلامى فى مواقعة مسيحى الأندلس مثل موقعة كتندة Cu:anda (٥١٤ هـ/ ١١٢٠م) التى أدت إلى ضياع وادى نهر ابره، فقد افسدت جماهير الصلحاء المسلمين الذين انضموا الى صلب الجيش النظامى برغبتهم فى الاستشهاد، الخطة الدفاعية وكذلك الهجومية فى صفوف الجيش الاسلامى (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى ميكل دى ابالثا، الرباط والرابطات فى الاسماء والآثار الإسبانية، مجلة دراسات اندلسية العدد ١٣، يناير ١٩٩٥، ص٦٩- ٨٦).

أما خايمى أوليڤر آسين فقد اهتم بدوره بدراسة الأصل العربى للرباط وما اشتق من هذا الاسم من مسميات أخرى، وركّز أيضاً فى دراسته تلك على الأربطة فى الأندلس مشيراً إلى ان مصطلح الرباط وجد بكثرة فى لغة شبه جزيرة ايبيريا ففى البرتغال توجد كلمة rebato وفى القعطلانية reb ıt وباللغة الاسبانية rebato, arrebato, rebata, arrebata, rebate, arrebate وبلهجة أهل بلنسية arrebat (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Jaime Oliver Asin, Origin arabe De Rabato, p 6)

٥٩٣- حسن عبد الوهاب، الاسكندرية فى العصر الإسلامى، مجلة الكتاب، يناير ١٩٤٧، ص ٣٧٩ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٩٢.

٥٩٤- ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن هذا المخطوط بمكتبة آيا صوفيا ولكنه فقد (تاريخ الاسكندرية، ص ٩٢).

٥٩٥- سالم، المرجع السابق، ص ٩٣ وهذا المخطوط صورة شمسية محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالاسكندرية تحت رقم ٧٧٩م مصورة من النسخة المحفوظة فى المكتبة الظاهرية بدمشق.

٥٩٦- السيوطى، حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة، طبعة مصر، ١٣٢١، حـ١، ص ٩٧.

٥٩٧- ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، تحقيق الدكتور محمد زكى محمد حسن والدكتور شوقى ضيف والدكتورة سيدة كاشف، القاهرة، ١٩٥٣، حـ١، ص ٥٥ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٩٥.

٥٩٨- السيوطى: حسن المحاضرة، حـ١، ص ٩٨.

٥٩٩- الكندى، كتاب الولاة و كتاب القضاة، بيروت، ١٩٠٨، تحقيق الاستاذ رفن جست، ص ٣٦ - السيوطى، حسن المحاضرة، حـ١، ص ١٠٤.

٦٠٠- السيوطى، المصدر السابق، حـ١، ص ١١٨، ١٢١.

٦٠١- نفسه، حـ١، ص ١٢٤، ١٢٥- سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٩٥، ٩٦.

٦٠٢- ابن رسته، كتاب الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٨١، ص ١١٨.

٦٠٣- ابن بطوطة، الرحلة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٠ - سالم، تاريخ الاسكندرية ص ٩٦ - بلبع: نشأة الرباط، ص ٣٤، ٣٥.

٦٠٤- ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ١١٨ - بلبع، نشأة الرباط، ص ٢٦.

٦٠٥- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٤٨١.

٦٠٦- سحر عبد العزيز سالم، شاطبة الحصن الامامى لشرق الأندلس فى العصر الاسلامى (التاريخ السياسى والحضارى)، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص ٣٢٦ وما يليها.

٦٠٧- عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٤٨٢.

٦٠٨- المرجع السابق، ص ٤٨٣.

٦٠٩- أحمد مختار العبادى، فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٨٣ - محمد زنيبر، كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس، دور السوس فى عهد الفتوح الأول، مجلة البحث العلمى، العدد ٣، السنة الأولى، المغرب، ١٩٦٤، ص ١١٩ - محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى، ص ١٤٣).

٦١٠- محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط وتطوره، ص ٥٣).

٦١١- لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (Marçais, Note sur les Ribats en Berberie (Melanges René Basset) edition Ernest leroux, Paris, 1925, p8 - محمد الأمين بلغيث، الربط، ص ١٤٤).

٦١٢- لمزيد من التفاصيل ارجع الى محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط، ص ٥٤، ٥٥.

٦١٣- هاجرت فى القرن ١٧م جماعات مختلفة من الموريسكيين إلى رباط الفتح من بلنسية وقشتالة واسترا ما دورة ولا سيما من مدينة Hornacho التى تقع جنوبى شرقى ماردة ومن ارجون ومن قطلونيا ومن مرسية. وقد استقر مهاجرو Hornacho بقصبة الأودايا. وانضموا إلى الجاليات الأندلسية التى هاجرت اليها من قبل. وبمرور الوقت اشتدت شوكة هؤلاء المهاجرين

الأندلسيين ولم تعد السلطة المركزية قادرة على اخضاعهم وكونوا ما عرف في تاريخ المغرب بجمهوريات ابى رقراق، وبدأ هؤلاء المهاجرون فى مهاجمة الاسبان والبرتغاليين من رباط الفتح وسلا وتعدوهم الى غيرهم من فرنسيين وانجليز وهولنديين، وكانت أوروبا تلقبهم بالقراصنة ولصوص البحر وكان الرواد فى هذا الجهاد البحرى هم الجماعة أندلسية الأصل المعروفة بالحرناشيين وهى كلمة محرفة من كلمة هرناشو نسبة إلى مدينة Hornacho الأسبانية. وكان الأندلسيون قبيل مجرد الحرناشيين يخضعون لسلطة القائد الذى تعينه الدولة ولكنهم بتحريض الحرناشيين خلعوا طاعته وتولوا الحكم بأنفسهم واختاروا عاملاً من بينهم وكونوا مجلساً للحكم يعرف بالديوان نصف أعضائه من الرباط والنصف الآخر من سلا، وهكذا تشكلت جمهورية بحوض ابى رقراق ابتداء من سنة ١٠٢٣ هـ/ ١٦١٤م (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى بوچندار مقدمة الفتح، ص ٥٤ وما يليها - عبد الله السويسى، تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٩٧٩، ص ١٠٤ وما يليها).

٦١٥- راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٢٢٥ وما يليها - سحر سالم، تجارة عمان فى الكارم وصداها على سياسة مصر حتى طليعه القرن السابع الهجرى، مسقط، ١٩٩١، ص ٢.

٦١٦- Heyd, Histoire du Commerce du Levant au moyen Age, t.I, Leipsig, 1923, p 384.

٦١٧- المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٠٦.

٦١٨- حدد بنيامين التطيلى أسماء دول كانت تتعامل مع الاسكندرية تجارياً وكان لكل منها فندق بالاسكندرية منها البندقية ولمباردية وتسكانه واماالفى وصقلية وقلورية وورومانية وكازارية وهنغارية وبلغارية ورراكوفيه وكرواتيه وروسيا

وألمانيا وسكسونية وايسلندا والنرويج. (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى Viajes de Benjamin De Tudela Madrid, 1918, p 115).

وكانت للبندقية بالاسكندرية جالية كبيرة، يدير شئونها، قنصل. وكان في الحي البندقي فندقات وحمام ومخبز وكنيسة (شارل ديل، البندقية جمهورية ارستقراطية، ترجمة د. أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، ١٩٤٨ ص ٥٩) ولمزيد من التفاصيل عن مكانة الاسكندرية التجارية في العصر الاسلامي، ارجع إلى (السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٢٥٧ وما يليها، ص ٥١٥ وما يليها).

٦١٩ - ارجع الى عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٢٥٧ وما يليها.

620- Kruger, The wars of exchange in Speculum 12, Berkelley, 1967, p 61, 212, 215 - Goitein, Studies in Islamic history and Institutions, Leiden, 1966, p 297.

٦٢١- سحر عبد العزيز سالم، علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها، من أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، زغوان، ١٩٩٣، حـ٢، ص ٨٤.

٦٢٢- ابن حجر العسقلاني، الدور الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، طبعة القاهرة، حـ٤، ص ٣٣ ترجمة ٣٦١٨.

٦٢٣- المصدر السابق، حـ٣، ص ٨٠ ترجمة ٢٦٥١.

٦٢٤- السخاوي، الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع، مجلد ٤، حـ٨، ص ٢٨٩.

٦٢٥- بوچندار، مقدمة الفتح، ص ٧٧.

أولا- المصادر العربية.

١- ابن الأبار: كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق فرنثيسكو كوديرة مدريد، ١٨٨٦.

٢- ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، جزأن، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٦٤.

٣- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، المجلد الرابع، نشر دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦١.

٤- ابن الأحمر: روضة النسرين فى دولة بنى مرين، الدار البيضاء، ١٩٦٢، القاهرة.

٥- الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، جزآن، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ.

٦- ابن أبى زرع: كتاب الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، نشر دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢.

٧- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق تورنبرج، أو بساله، ١٨٤٣.

٨- أبو بكر الطرطوشى: كتاب سراج الملوك، القاهرة، ١٢٨٩هـ.

٩- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار صادر بيروت، ١٩٦٠.

١٠- بكر بن إبراهيم الإشبيلى: التيسير فى صناعة التفسير، نشر الأستاذ عبد الله كنون، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد ٧، ٨، مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠.

١١- البيذق: كتاب أخبار المهدى بن تومرت، تحقيق ليفى بروفنسال، باريس، ١٩٢٨.

١٢- التادلى الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، نشر وتصحيح أدولف فور، مطبوعات أفريقيا الشمالية، الرباط، ١٩٥٨

١٣- ابن جبير: رحلة ابن جبير، تحقيق وليام رايت، ليدن ، ١٩٠٧.

١٤- جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، طبعة مصر، ١٣٢١هـ.

١٥- ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قدح الآداب، في الحركة السعيدة إلى قسنطينه والزاب، تحقيق د.رضوان البارودي، و د. أحمد الطوخي، الإسكندرية ١٩٨٥.

١٦- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق الأستاذ محمد سيد جاد الحق، ج٤، القاهرة.

١٧- الحسن محمد الوزان الفاسي (ليون الأفريقي): وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، بيروت، ١٩٨٣.

١٨- الحميري: كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤.

١٩- ابن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، نشر دار الحياة، بيروت ، ١٩٦٣.

٢٠- ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٤، بيروت، ١٩٦٨.

٢١- ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق د.عبد الحميد حاجيات، ج١، الجزائر، ١٩٨٠.

٢٢- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، ٧ مجلدات بيروت، ١٩٧٠ - ١٩٧١.

٢٣- الدكالي: الإتحاف الوجيز، تاريخ العدوتين، تحقيق مصطفى أبو شعراء، سلا، ١٩٨٢.

٢٤- ابن دقماق: الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق، ١٣٠٩هـ.

٢٥- ابن رسته: الأعلاق النفيسه، نشره دى غويه ليدن، ١٨٨١ -١٨٨٢.

٢٦- الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق وتقديم المنجي الكعبى، تونس، ١٩٦٨.

٢٧- ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق ليڤي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٨.

٢٨- سالم عبد رب بن على جعفر بن أحمد الناصرى، سلا ورباط الفتح وأسطولهما الجهادى، مخطوطة محفوظة بالخزانة الصبيحة بسلا، رقم ٤٠٢، ج١.

٢٩ - السخاوى : الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع، مجلد ٤،ج٤، طبعة دار الكتاب اللبناني.

٣٠- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. زكى محمد حسن، ود. شوقى ضيف، ود. سيدة كاشف، ج١، القاهرة ١٩٥٣.

٣١- ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق د. عبد الهادى التازى، بيروت، ١٩٦٤.

٣٢- ابن الصباغ: فضائل الإسكندرية، نسخة مصورة من مخطوطة بمكتبة كلية الآداب، جامة الإسكندرية ، تحت رقم ٧٧٩م.

٣٣- أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويض، بيروت، ١٩٦٩.

٣٤- أبو العابس أحمد بن خالد السلاوى الناصرى: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولتان المرابطية والموحدية، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

٣٥- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، فى أخبار المغرب، تحقيق ليڤى بروفنسال وكولان، ج١ ليدن، ١٩٤٨، والجزء الثالث نشر ليڤي بروفنسال، باريس، ١٩٣٠، والقسم الخاص بدولة الموحدين.

٣٦- أبو عبيد الله البكرى: كتاب المغرب ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشره دى سلان، الجزائر ١٩١١، (مكتبة المثنى بغداد)

٣٧- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشره الأستاذان محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة ١٩٤٩.

٣٨- ابن عبد الملك الأنصاري: كتاب الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، تحقيق د. محمد بن شريفة، الرباط، ١٩٨٤، والسفر الثامن، الجزءان الأول والثاني، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، ١٩٨٤.

٣٩- ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، الجزء الخامس من المكتبة الجغرافية العربية، ليدن، ١٨٨٥.

٤٠- ابن القاضي: درة الحجال في غرة أسماء الرجال، الرباط، ١٩٣٤.

٤١- ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط، ١٩٧٤.

٤٢- الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت، ١٩٠٨.

٤٣- لسان الدين بن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، تعليق وتقديم د. عدنان درويش، دمشق، ١٩٩٠.

٤٤- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤.

٤٥- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج١، د. أحمد مختار العبادي، والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، ١٩٦٤.

٤٦- مجموع رسائل موحدية: نشرها الأستاذ ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٤١.

٤٧- مجهول: نبذ تاريخية منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤.

٤٨- مجهول ______: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق د. سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٩

٤٩- مجهول ______: كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار لكاتب مراكشى من كتّاب القرن السادس الهجرى، نشره وعلق عليه د. سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨ .

٥٠- ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق د. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١ .

٥١- المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق الأستاذ محيي الدين عبد الحميد، ج١ ، القاهرة، ١٩٥٨ .

٥٢- المسعودى: التنبيه والإشراف، بيروت، ١٩٦٥ .

٥٣- المقرى: أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، تحقيق سيد أحمد أعرابى، ومحمد بن تاويت، الرباط، ١٩٧٨ .

٥٤- المقريزى: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١ ، بيروت - صيدا، ١٩٥٩ .

٥٥- الهروى: الاشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، دمشق، ١٩٥٣ .

٥٦- ياقوت الحموى: معجم البلدان، خمس مجلدات، بيروت، ١٩٥٧ .

٥٧- اليعقوبى: كتاب البلدان. ليدن، ١٨٩٢ .

ثانيا- المراجع العربية والمعّربة.

٥٨- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، ١٩٦٥ .

٥٩- أحمد فكرى: المسجد الجامع بالقيروان، القاهرة، ١٩٣٦

٦٠- أحمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٧٢

٦١- الفريد بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد، القاهرة، ١٩٣٣.

٦٢- امبرسيواويثى ميراندا: «رفع الحجج المستورة فى محاسن المقصورة»، ملحق نشره أويثى ميراندا فى بحثه عن وقعة الأرك.La Campana de Alarcos صدرت فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد ٢، مدريد، ١٩٥٤.

٦٣- ثريا لهى: أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي: حياته وآثاره، الرباط، ١٩٩٤.

٦٤- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرفة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧.

٦٥- حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، ١٩٥٩.

٦٦- حمدى عبد المنعم حسين: مدينة سلا فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، ١٩٩٢.

٦٧- خليل السامرائى، وعبد الواحد ذ نون طه، وناطق صالح مطلوب: تاريخ المغرب العربى، الموصل، ١٩٨٨.

٦٨- رجب عبد الحليم: دولة بنى صالح فى تامسنا بالمغرب الأقصى، القاهرة، ١٩٦١.

٦٩- رشيد الناضورى: المغرب الكبير، ج١، الإسكندرية، ١٩٦٦.

٧٠- رضوان البارودى: أضواء على المسيحية والمسيحيين فى المغرب فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٧١- زكى على: الإسكندرية: تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها فى عصر البطالمة، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، المجلد الثانى، الإسكندرية، ١٩٤٤.

٧٢- سحر السيد عبد العزيز سالم: شاطبة الحصن الأمامى لشرق الأندلس فى العصر

الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩٥ .

٧٣- سحر السيد عبد العزيز سالم: الألوية والرايات والبنود والأعلام في الأندلس في العصر الإسلامي، دورية كلية الآداب جامعة المنصورة، العدد ١٦ ، يناير، ١٩٩٥ .

٧٤-سحر السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقا وغربا، الإسكندرية، ١٩٩١ .

٧٥- سحر السيد عبد العزيز سالم: علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها، من أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، ج٢ ، زغوان، ١٩٩٣ .

٧٦- سحر السيد عبد العزيز سالم: من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩٣ .

٧٧- سعد زغلول عبد الحميد: الإسكندرية منذ الفتح الإسلامي إلى بداية العصر الفاطمي، من كتاب «الإسكندرية منذ أقدم العصور»، الإسكندرية، ١٩٦٣ .

٧٨- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، ١٩٦٥ ، وطبعة ثانية ١٩٧٨ .

٧٩- سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الولاة، منذ الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة، ١٩٥٩ .

٨٠- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٨٢ .

٨١- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٨٢ .

٨٢- السيد عبد العزيز سالم: التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال

الفنون والعمارة والزخرفة، من أبحاث كتاب «بحوث فى التاريخ والحضارة والآثار الإسلامية، مجلد ٢ ، بيروت، ١٩٩٣ .

٨٣- السيدعبد العزيز سالم: المآذن المصرية، القاهرة، ١٩٥٩ .

٨٤- السيد عبد العزيز سالم: حول الكشف عن مدخل دار الصناعة الغربية بالإسكندرية، بحث ألقى فى ندوة-Europe and Egypt: Coopera tion in Archeology Symposium, 7.8 December 1994.

٨٥- شارل أندريه جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، ج٢ ، تونس، ١٩٧٨ .

٨٦- شارل ديل: البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة د. أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، ١٩٤٨ .

٨٧- صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى، دراسة معمارية وفنية، الجزائر، ١٩٨٦ .

٨٨- عباس الجراوى: الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدى، الدار البيضاء، ١٩٧٤ .

٨٩- عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ شالة الإسلامية، بيروت، ١٩٧٥ .

٩٠- عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج٢ ,٣ ,٤ ، الرباط، ١٩٩٣ .

٩١- عبد العزيز بن عبدالله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٧٧ .

٩٢- عبد العزيز بن عبد الله: مسجد القصبة، مجلة اللسان العربى، يناير، ١٩٧٢ .

٩٣- عبد الله الجراوى: ورقات فى أولياء الرباط ومساجده وزواياه، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ.

٩٤- عبد الله السويسى: تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٩٧٩ .

٩٥- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، بيروت ١٩٧٥.

٩٦- عبد الكريم كريم: رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٦.

٩٧- عبد الهادي التازي: أبو عبد الله اليابرى فقيه مغربي من القرن الرابع عشر، مجلة المناهل، العدد ٢٥، الرباط، ١٩٨٢.

٩٨- عز الدين موسى: النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي، دار الشروق، ١٩٨٣.

٩٩- عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، بيروت، ١٩٩١.

١٠٠- لطفي عبد الوهاب يحيى: دراسات في تاريخ مصر: عصر البطالمة، الإسكندرية، ١٩٦٧.

١٠١- ليوبولد وتوريس بلباس: الفن المرابطي الموحدى، ترجمة د. سيد مصطفى غازى، القاهرة، ١٩٧١.

١٠٢- محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير إشراف د. عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، ١٩٨٧.

١٠٣- محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في عصر الموحدين، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٨٠ وتم طبعها في ١٩٦٦ بدار المعرفة الجامعية تحت عنوان «شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥-٦٨٦هـ/١١٢١-١٢٨٧م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري».

١٠٤- محمد بوجندار: مقدمة الفتح، طبعة الجريدة الرسمية، الرباط، ١٣٤٥هـ.

١٠٥- محمد بوجندار: الإغتباط بتراجم أعلام الرباط، تحقيق د. عبد الكريم كريم، الرباط، ١٩٨٧.

١٠٦- محمد توفيق بلبع: نشأة الرباط وتطوره وأهمية نظام المرابطة فى تاريخ المسلمين، مجلة جمعية الآثار بالإسكندرية، ١٩٦٨.

١٠٧- محمد زنيبر: كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس، دور السوس فى عهد الفتوح الأولى، مجلة البحث العلمى، عدد ٣، السنة الأولى، ١٩٦٤.

١٠٨- محمد بن شريفة: أسرة بنى عشرة، مجلة البحث العلمى، محرم ١٣٧٨هـ.

١٠٩- محمد بن شريفة: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومى: حياته وآثاره، منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى.

١١٠- محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى، القاهرة، ١٩٦٠.

١١١- محمد عواد حسين: تخطيط الإسكندرية، بحث منشور فى كتاب الإسكندرية عبر العصور، نشرته محافظة الإسكندرية.

١١٢- محمد العروسى المطوى: السلطنة الحفصية، منشورات دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٦.

١١٣- محمد عيسى الحريرى: تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، المغرب، ١٩٨٥.

١١٤- محمد محمد الكحلاوى: العمارة الإسلامية فى المغرب الإسلامى: عمائر الموحدين الدينية فى المغرب، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآثار جامعة القاهرة سنة ١٩٨٦.

١١٥- محمد المنونى: تاريخ الوراقة المغربية، الرباط، ١٩٩١.

١١٦- محمد المنونى: تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، مجلد ١٥، ج١، لسنة ١٩٦٩.

١١٧- محمد المنونى: ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين الرباط، ١٩٧٩.

١١٨- محمد ولد داده: مفهوم الملك فى المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، بيروت، ١٩٧٧.

١١٩- محمد بن على بن أحمد دينية: مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، الرباط، ١٩٨٦.

١٢٠- محمود إسماعيل: حقيقة المسألة البرغواطية، مغربيات، الرباط ١٩٧٧.

١٢١- مراجع عقيلة الغناى: سقوط دولة الموحدين، بنغازى، ١٩٧٥.

١٢٢- مصطفى أبو ضيف: أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبنى مرين، الدار البيضاء، ١٩٨٢.

١٢٣- مصطفى عبد الحميد العبادى: مصر منذ عهد الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، الإسكندرية.

١٢٤- ميكيل دى ابيالثا: الرباط والرابطات فى الأسماء والأثار الاسبانية، ترجمة الحسين اليعقوبى، مجلة دراسات أندلسية عدد ١٣، ١٩٩٥.

١٢٥- ميلود عشاق: ملاحظات حول المسألة البرغواطية، مجلة العلم الثقافى، العدد ٩٧٢، الرباط، مايو ١٩٩٠.

١٢٦- هنرى رياض وآخرون، دليل أثار الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٦٥.

ثالثا- المراجع الأوروبية.

127- Antonio Vives Y Escudero, Monedas de Las dinastias arabigo-espanolas, Madrid, 1893.

128- Ballesteros Bretta, La toma de salé en tiempos de Alfonso el Sabio, al-Andalas, 1945, fasc.1.

129- Basset (Henri), & Léve-Provencal, Chella: une nécropole meri-nide, Paris, 1923.

130- Benjamin de Tudela, Viajes de Benjamin de Tudela, Madrid, 1918.

131- Bourouiba (Rachid), Abd al-Mumin Flambeau des Almohades, Alger, 1974.

132- Berccia, Alexandria Ad Eagyptum, Bergamo, 1922.

133- Mac Burry (C.B.), The stone age of Northern Africa, London, 1960.

134- Caillé (Jacques), La Ville de Rabat, Paris, t.1, 1945.

135- Creswell, The evolution of the minaret, Burlington Magazine, Mar-Juin, 1926.

136- Dachraoui (Ferhat), Le role des Ribats dans Le Gihad Maritime en Ifriqya au Moyen age, San Carlos de La Rapita, Tarragona, 1989.

137- Deverdum (G.), Inscriptions arabes de Marrakech, Rabat, 1956.

138- Dieulafoy, La Mosuquée de Hassan, Paris, 1914.

139- El Fasi (M.) & Herbec, Stages in The development of Islam and its Dissemination in Africa, (General History of Africa), Vol.III, Unesco, 1988.

140- Felix Hernandez (Gimenez), El Alminar de Abd al-Rahman III en La Mezquita Mayor de Cordoba; Genesis Y Repercusiones, Granada, 1975.

141- Goitein, A Mediterranean Society, vol.I, Berkelley, 1967.

142- Goitein, Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, 1966.

143- Heyd, Histoire du Commerce du Levant au Moyen age,T.I, Leipsig, 1923.

144- Huici Miranda (A.), La toma de Salé por La escuadra de Alfonso X: Nuevos Datos, Hespéris, 1952.

145- Jaime Oliver Asin, Origen arabe de Rebato, Arrobda,Y sus Humonimes, Madrid, 1928.

146- Janet Abu Lughod, Rabats Urban aparthed in Morocco, New Jersey.

147- Jemaa Cheikha, Les Ribats d'aprés Les livres de Tabaqat, San Carlos de La Rapida, 1989 - 1993.

148- Julues (h.), La Mosquée d'Hassan de Rabat, a-t-elle été ache-

vée?, dans la Revue Franco Maroc, 1925.

149- Kruger, The Wars of Exchange, in Speculun, 12, 1973.

180- Lieutenant Roset, Rapport sur le chella, 1914.

181-Manuela Marin, El Ribat en al-Andalus y el Norte de Africa, San Carlos de la Rapita, Tarragona, 1989.

182- Marcaines (H.), Découverte des Restes Humains fossiles dans les grés quaternaires de Rabat, L'Anthropologie, t. XLIV, 1934.

183- Marcais (Georges), Notes sur ks Ribats en Berberie, Mélanges Réné Basset, Paris, 1925.

184- Marcais (Georges), L'Architecture musulmane d'occident, paris, 1954.

185- Pauty (E.), Cella a travers Les Ages, Rabat, 1944.

186- Roymond, La Mosquée et la tour Hassan a Rabat, Bulletin de la société Francaise des Ingenieurs Coloniaux, 1922.

187- Talbi (M.), The Independence of the maghrib, General History of Africa, vol. III, Unesco, 1988.

188- Terrasse (H.), Histoire du Maroc, dés origines a l'établissement du protectorat Francais, T.I, Casablanca, 1949.

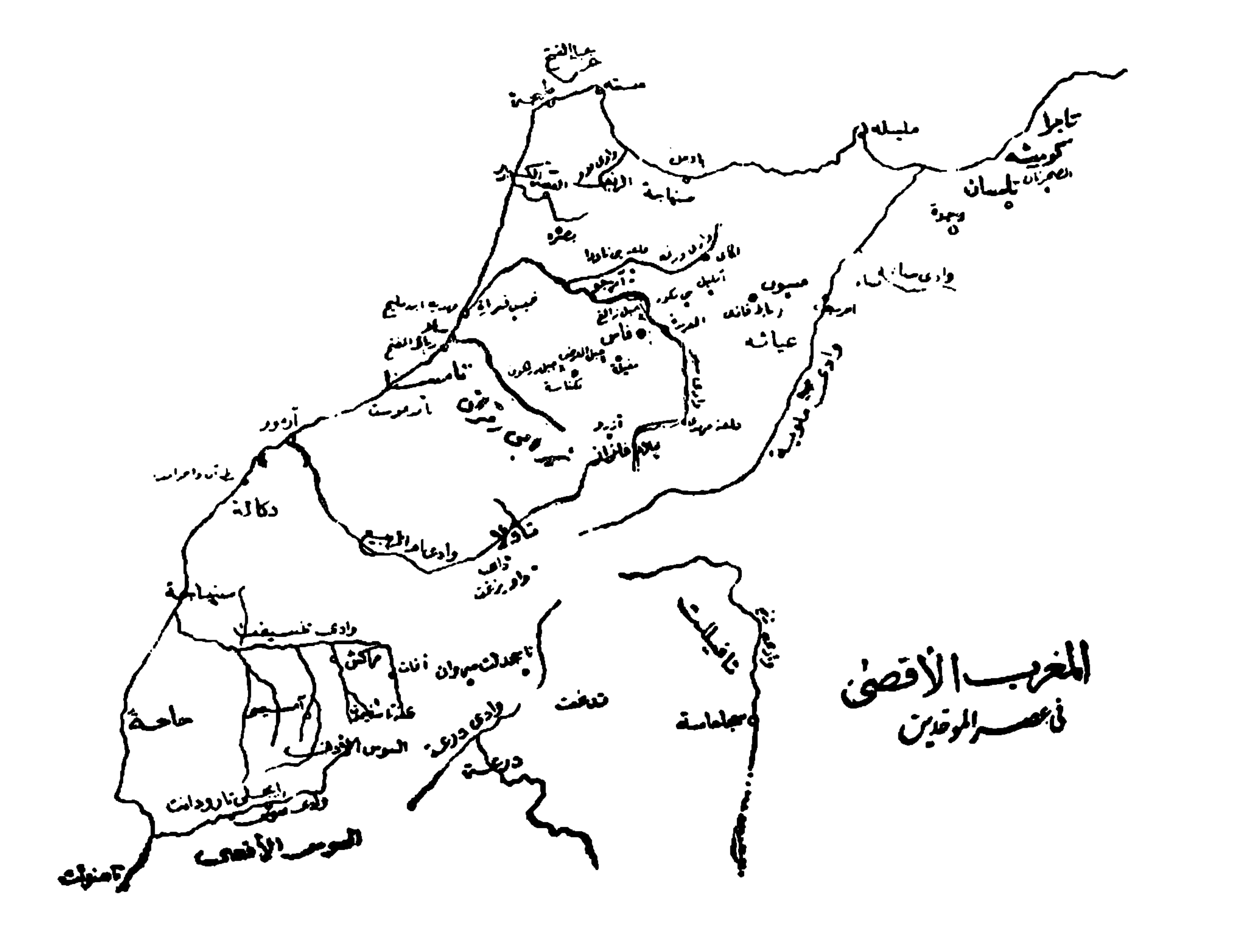
189-Terrasse (H.), L'art Hispano-Mauresque dés origines au XIII siécle, paris, 1932.

190- Terrasse (H.), L'office chérifienne du tourisme a travers Rabat, Casablance., 1938.

191-Terrasse (H.), Le plan de la Mosquée de Hassan, dans Comptes Rendus de pacademie des Inscriptions et Velles letters, 1951.

192-Terrasse (H.), Les Portes de L'arsenal de Salé, Hespéris, T.II, 1922.

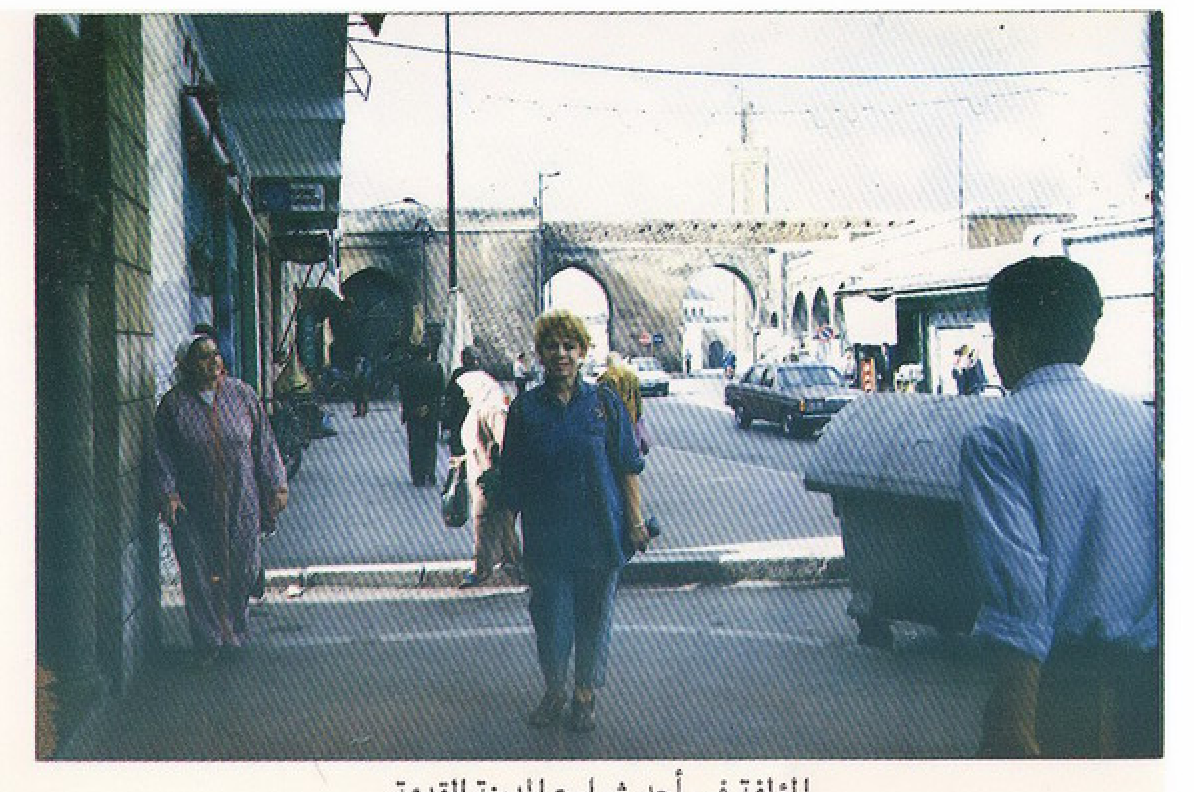
193- Terrasse (H.), La forteresse almoravide d'Amergo, al-Andalus, vol. III.



المغرب الأقصى
في عصر الموحدين
تلمسان
وجدة
مليلة
بادس
سبتة
طنجة
سنهاجة
فاس
تامسنا
آزمور
دكالة
تادلا
مراكش
أغمات
حاحة
السوس الأقصى
وادي درعة
درعة
تافيلالت
سجلماسة



المؤلفة أمام مئذنة جامع حسان



المؤلفة فى أحد شوارع المدينة القديمة



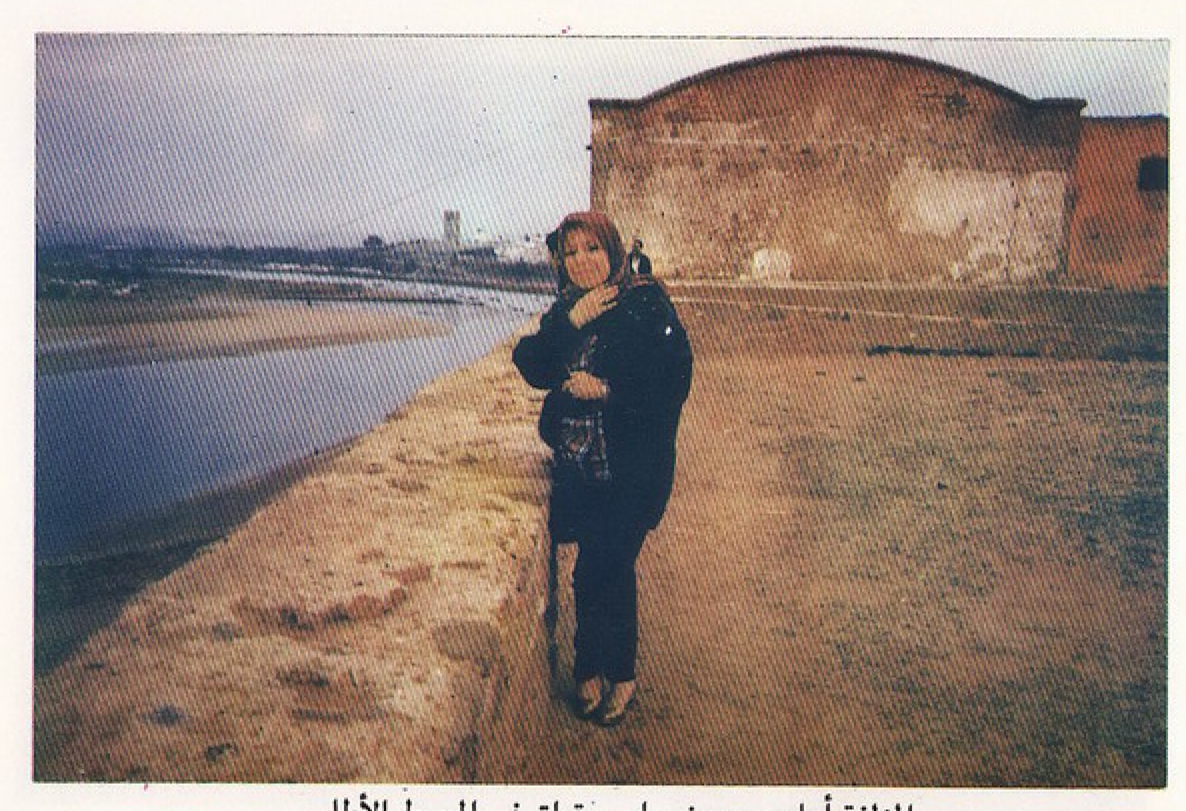
مئذنة جامع حسان بالرباط



المؤلفة أمام باب الرواح

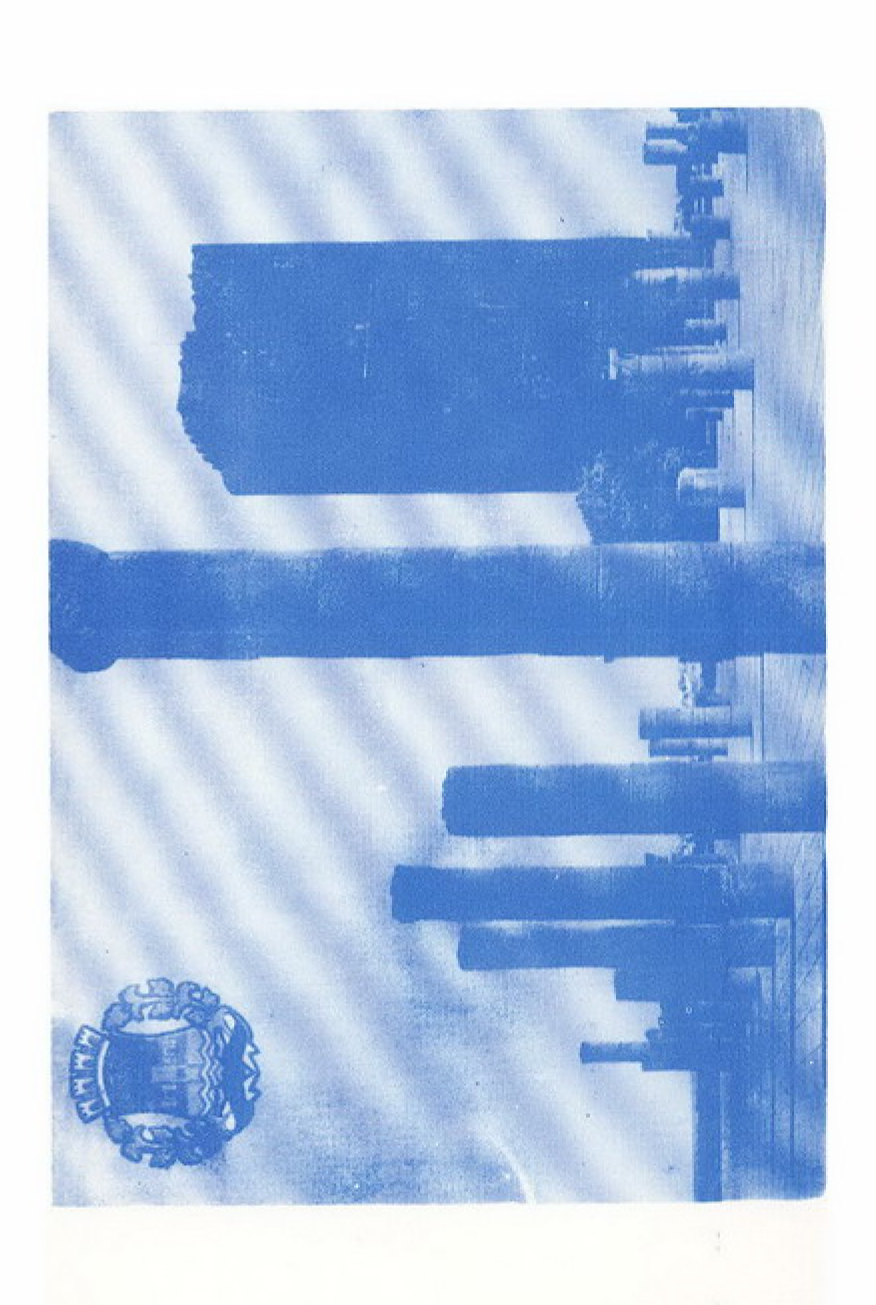


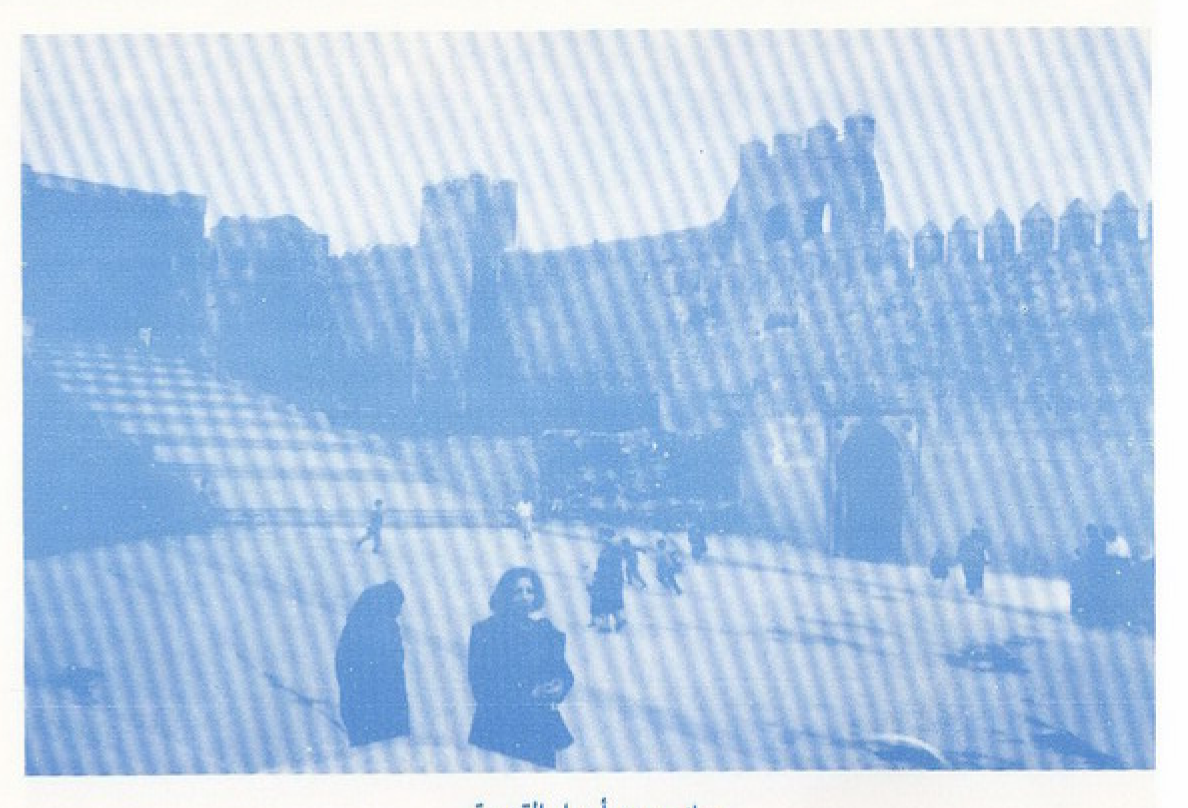
المؤلفة أمام جانب من أسوار القصبة



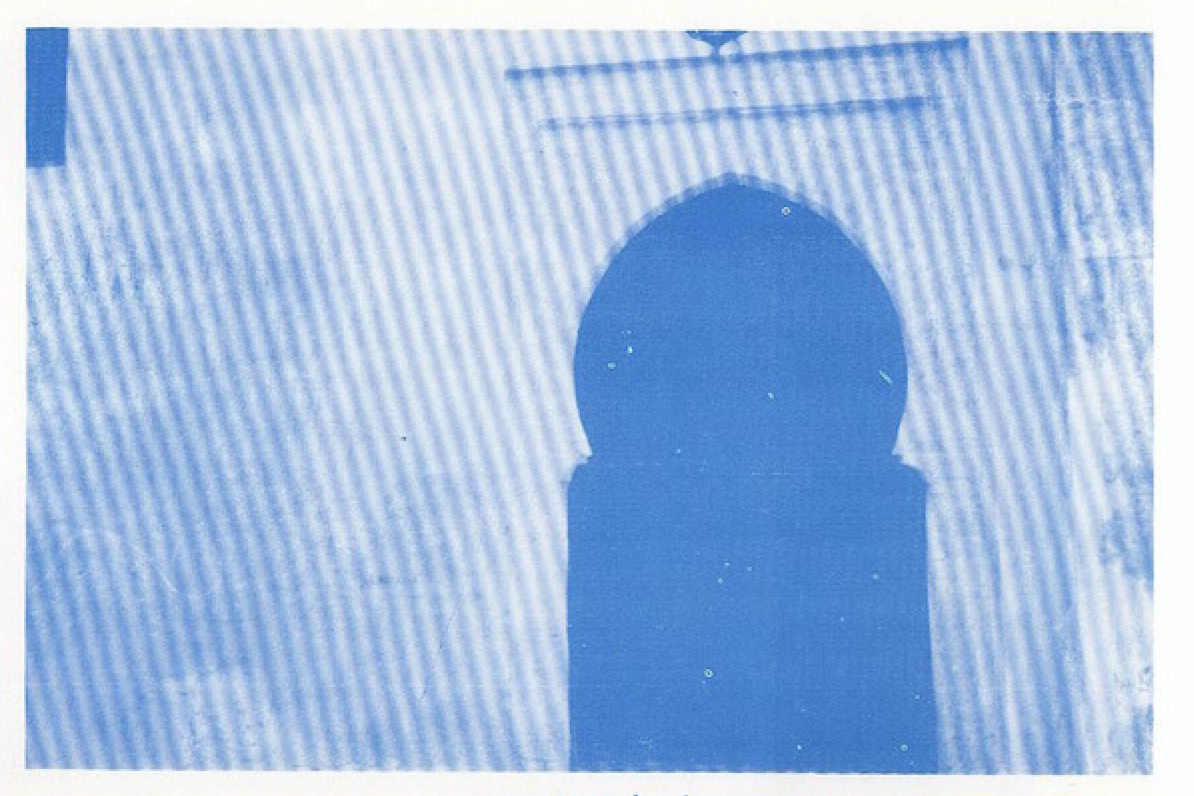
المؤلفة أمام مصب نهر ابى رقراق فى المحيط الأطلسى،



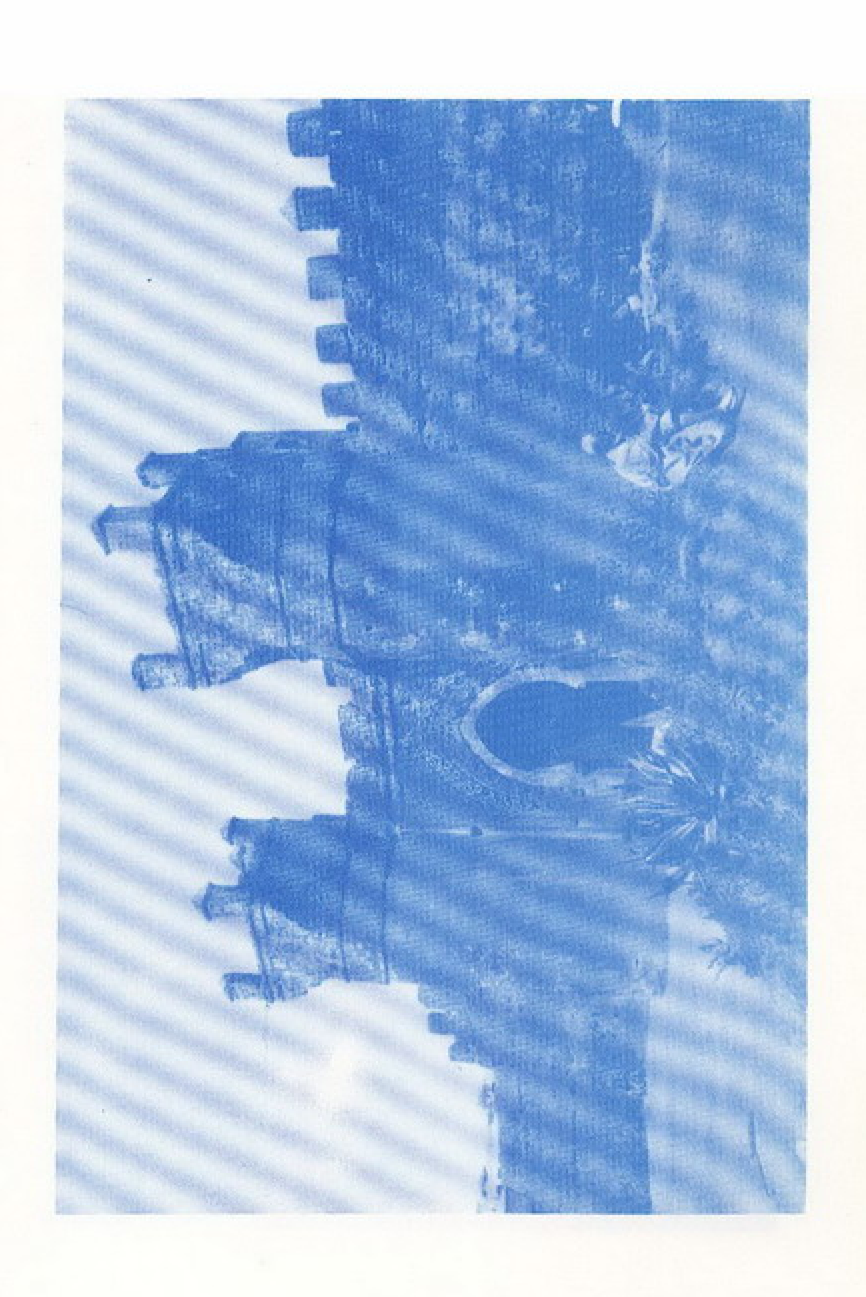


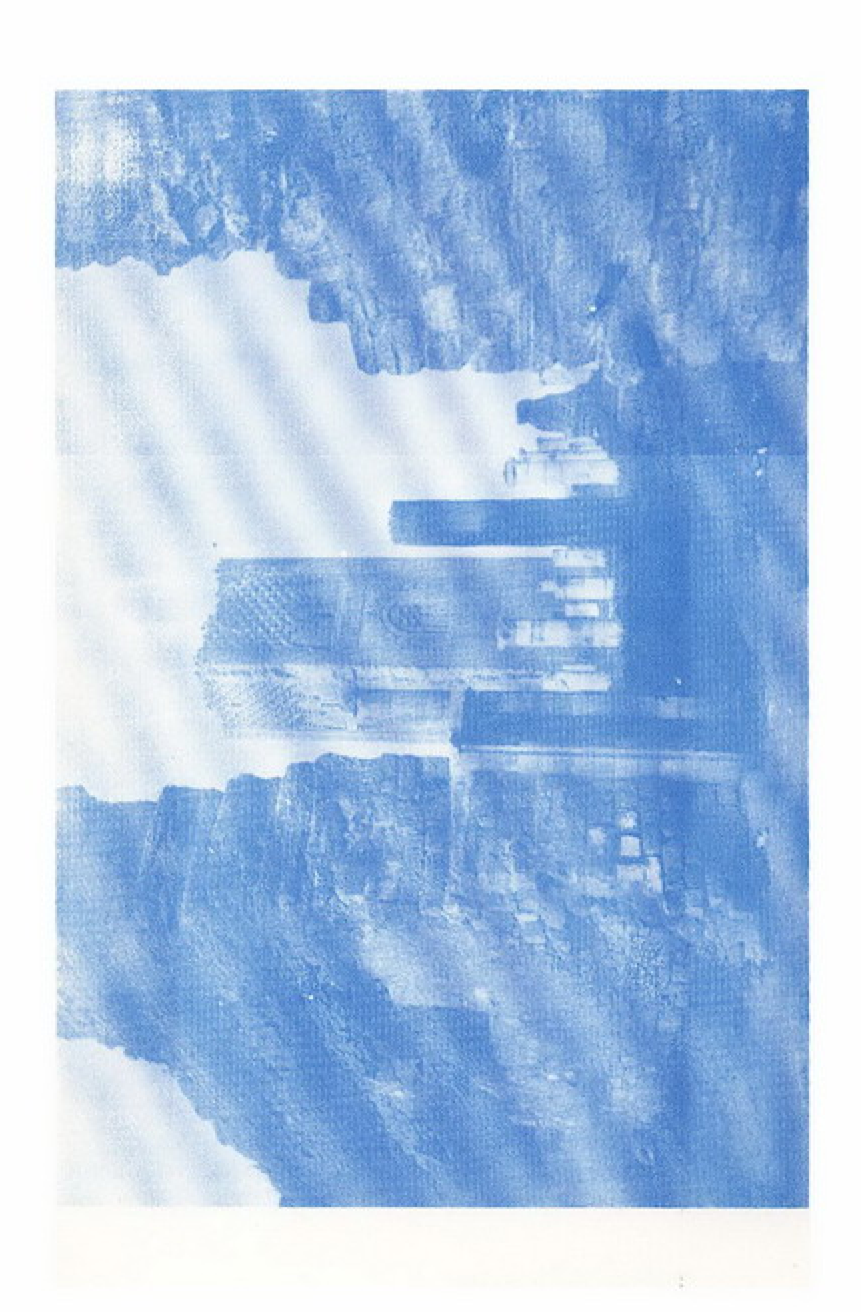


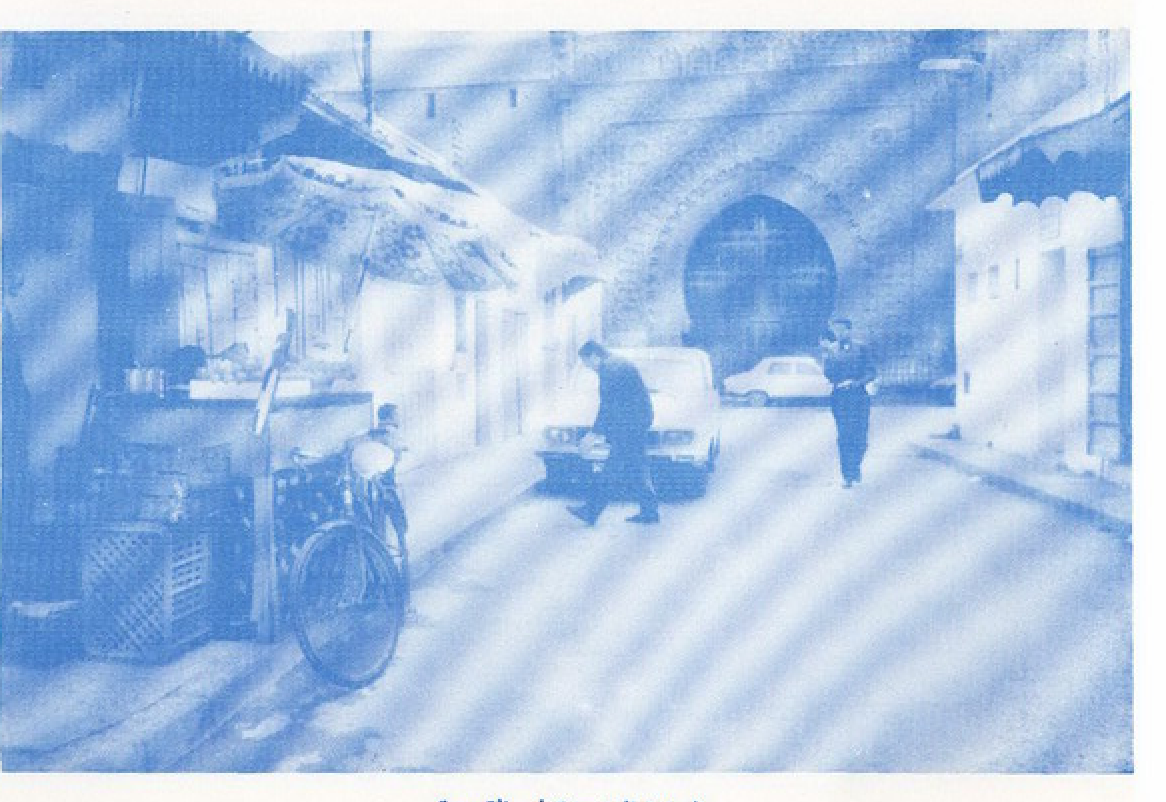
جانب من أسوار القصبة



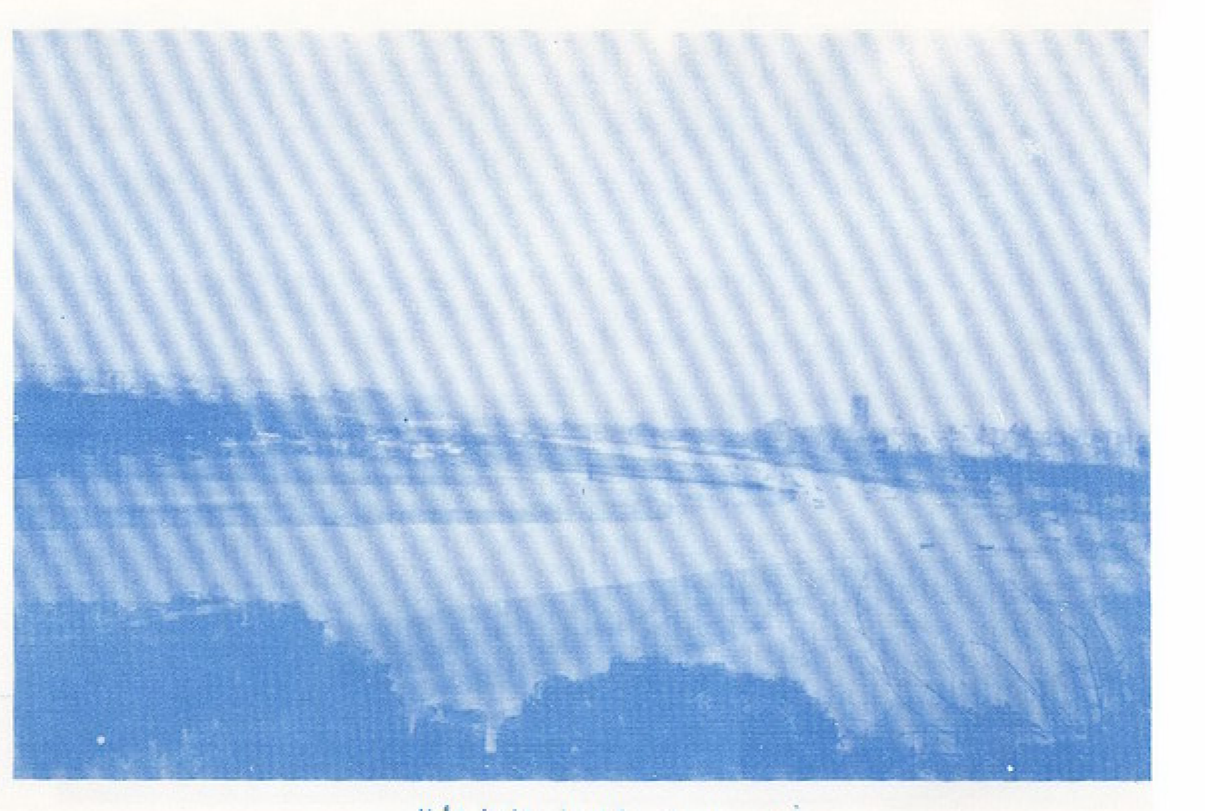
أحد أبواب القصبة



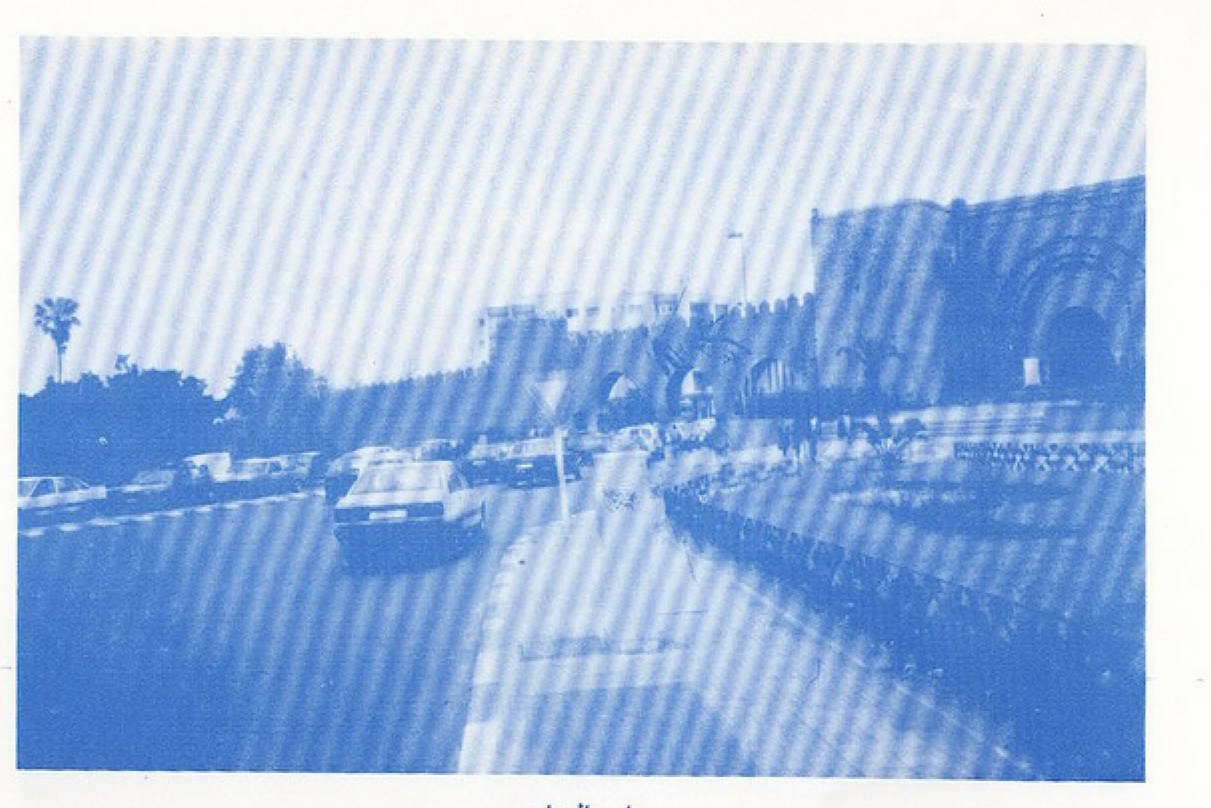




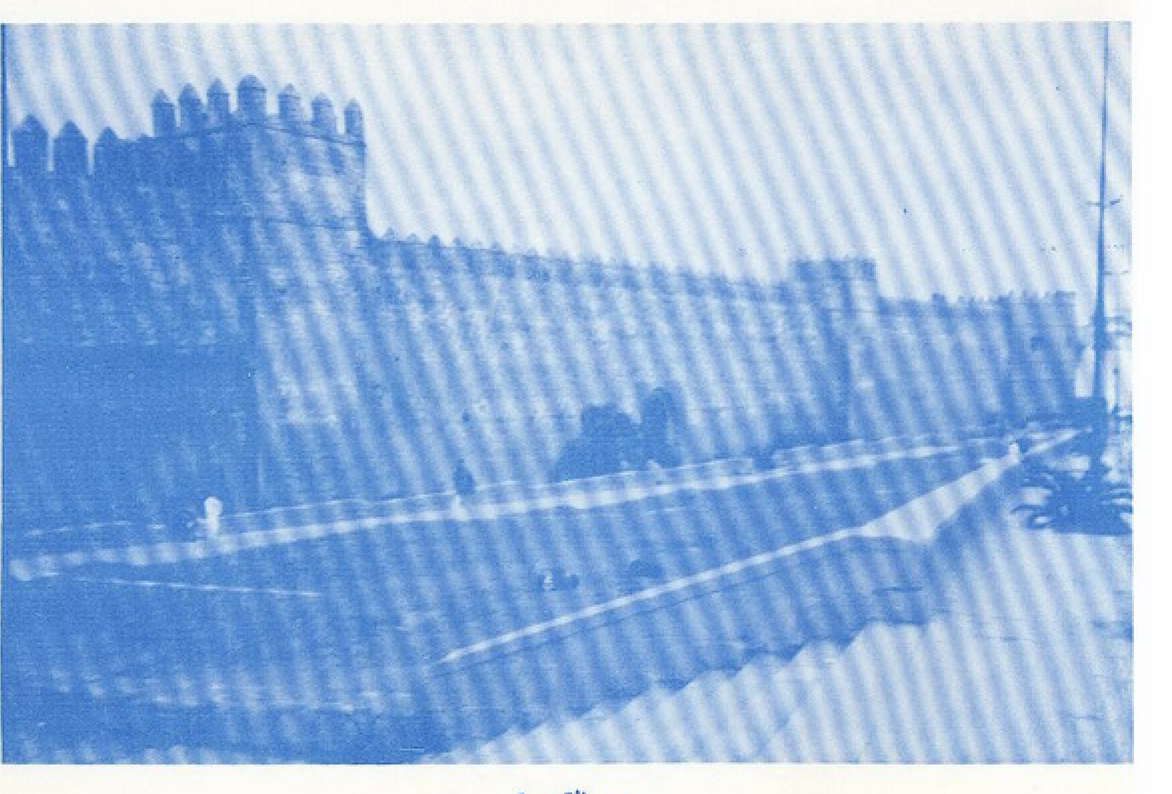
البوابة الرئيسية فى القصبة



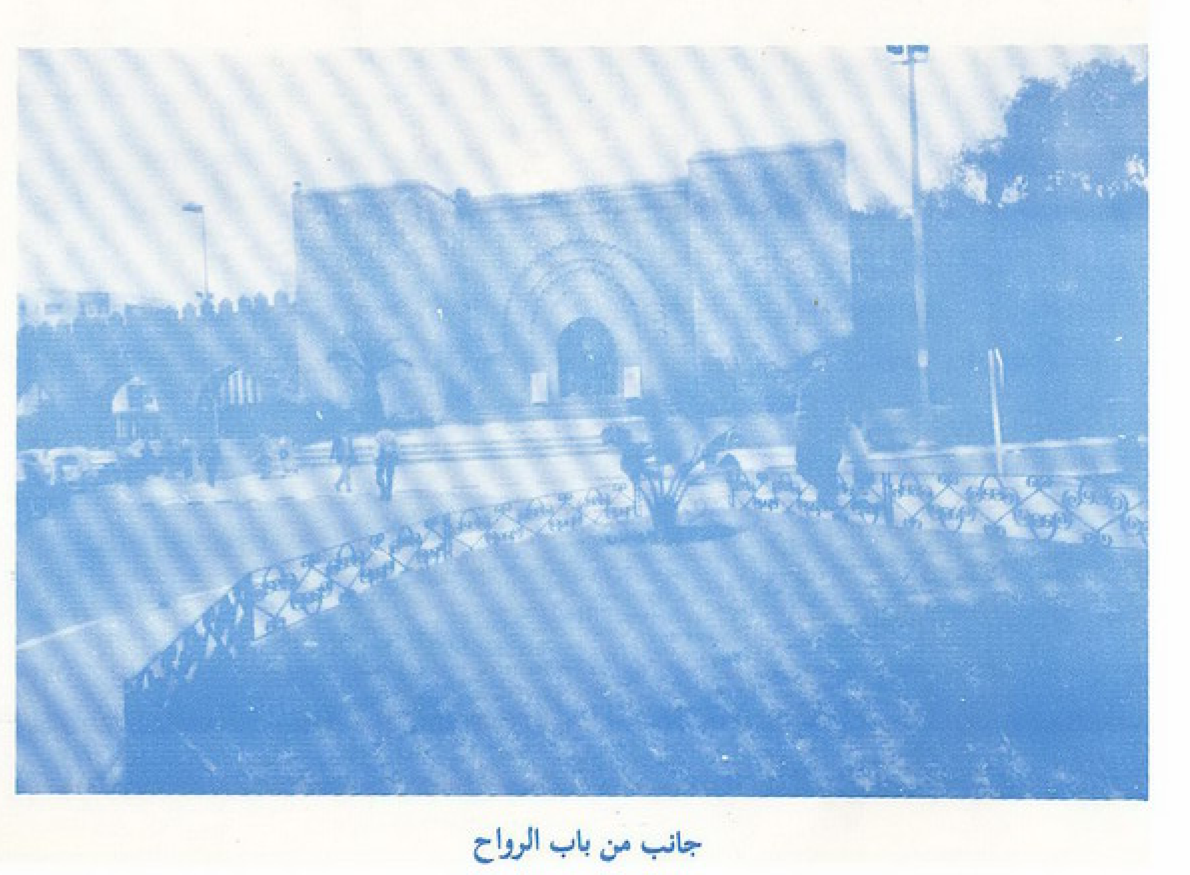
مُصب نهر ابى رقراق فى المحيط الأطلسى



باب الرواح



سور القصبة



جانب من باب الرواح

فهرس موضوعات الكتاب

الباب الأول

التاريخ السياسي لمدينة رباط الفتح

زمن الموحدين وزمن بني مرين

الباب الثاني

أهم مظاهر الحضارة في رباط الفتح

في عصر دولتي الموحدين وبني مرين

الباب الثالث

دراسة ختامية عن أوجه الشبه بين كل من مدينة الاسكندرية ومدينة رباط الفتح

رقم الايداع ٩٦/٢٤٩٣

الترقيم الدولى .I.S.B.N

977 - 212 - 532-1



صاحبها ومديرها : محمد بسيونى
خلف ١٦١ ش فرنسا ت : ٨٠٩٠٠٥ اسكندرية

المؤلفــــة

- الإسم بالكامل: د/ **سحر السيد محمود عبد العزيز سالم.**
- حصلت على شهادة الثانوية العامة بترتيب الثانية على الجمهورية شعبة أدبى عام ١٩٧٨ بمجموع ٩٦٪ وحصلت على الدكتوراة فى الآداب بمرتبة الشرف الأولى من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٧.
- شاركت فى العديد من المؤتمرات الدولية منها مانظمته هيئات عالمية مثل اليونسكو واليكسو فى مدريد والرباط ومراكش ومسقط ودمشق وبغداد والقاهرة والإسكندرية.
- حصلت على جائزة **الدكتور محمد فاتح عقيل** فى عامى ١٩٧٩، ١٩٨٠ وجائزة **الدكتور أحمد فكرى** عام ١٩٨٢ وجائزة الجمعية التاريخية المصرية عام ١٩٨٢.
- عضو فى اتحاد المؤرخين العرب والجمعية التاريخية المصرية وفى اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الآسيوية / الأفريقية وعضو فى هيئة تحرير مجلة دراسات أندلسية بتونس وعضو بالجميعة الأثرية بالإسكندرية.
- القت المؤلفة مجموعة من المحاضرات عن المرأة فى الإسلام والحضارة الإسلامية بجامعة مدريد المستقله والمعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد وفى معهد المرأة باسبانيا.
- للمؤلفة عدة كتب منها «شاطبة الحصن الأمامى لشرق الأندلس في العصر الإسلامى» و «أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقاً وغرباً» و «من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب فى العصر الإسلامى ومنها «تاريخ بطليوس الاسلامية وغرب الأندلس فى العصر الإسلامى» فى مجلدين، و «مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس فى العصر الإسلامى» و «بنو خطاب بن عبد الجبار التدميرى، أسرة من المولدين فى مرسية» وعشرات الأبحاث باللغات العربية والانجليزية والاسبانية ومنها مانشر فى الهند والمغرب وأسبانيا واليونسكو وسلطنة عمان والعراق وتونس.

الناشــر

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

الإسكندرية ت : ٤٨٣٩٤٧٢